doc. 953-09/03
تاريخ الوصول 06/06/2006

الجمهــــورية الجــزائـــرية الديمقــراطية الشعبية
وزارة التعليــم العــالــي والبحــث العلمــي
جامعة أبي بكر بلقا يد ـ تلمــسان ـ
كليــة الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ

العلاقــات الثقافيــة و التجاريــة بين المغــرب الأوســط و الســودان الغربــي فــي عهــد دولــة بنــي زيــان

رسالــة لنيــل درجــة دكتوراه دولــة فــي التاريــخ

إعداد الطالب الباحث
بودواية مبخوت

إشراف
أ. د عبد الحميد حاجيات

لجنة المناقشة :

أ.د شايف عكاشة........................... رئيسا
أ.د عبد الحميد حاجيات...........................مشرفا مقررا
أ. د دحو فغرور........................... مناقشا
د. محمد مجاود........................... مناقشا
د. معروف بلحاج .... مناقشا
د. عبدلي لخضر........................... مناقشا

السنة الجامعية 1426- 1427 هـ / 2005-2006 م

الإهداء

إلى الذين جاهدوا من أجل الجزائر ...

إلى روحي أمي و أبي الطاهرتين ....

إلى زوجتي الفاضلة التي تحملت معي مشقة العمل وعانت من غيابي و أنا حاضر .

إلى كمال الدين العيد ، سميرة و الطفلة المدللة هديل ...

إلى أفراد العائلة الكبيرة :

أخي و رفيقي محمد ، إلى أبناءه و زوجته ....

إلى أخوتي و أبنائهن ....

إلى خيرة و فاطمة و لطيفة و الهوارية ....

أهدي ثمرة جهدي المتواضع ....

شكر و تقدير

أتقدم بخالص الشكر و العرفان لأستاذي الدكتور عبد الحميد حاجيات أطال الله في عمره ، الذي تفضل بقبول الإشراف على الدراسة ومتابعتها متابعة مستمرة و الذي هداني إلى كثير من التعديلات في المتن و الحاشية كما أشكره على التوجيهات و الرعاية التامة التي لم يبخل بها علي في سبيل العلم و المعرفة .

كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة و أتقدم بالشكر إلى كل الذين وضعوا بصماتهم على هذا العمل .

مبخوت بودواية

مقدمـــة

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كانت اهتماماتي و أنا طالب في مرحلة الليسانس ، بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء و ما عرفه من تطورات ثقافية و اقتصادية ، وتساءلت يومها هل كان للمغرب الأوسط دور في ذلك ؟ أم كان ذلك للمغرب الأقصى فقط كما يري مؤرخوه ، وقد لاحظت أن جل الدراسات التي تكلمت عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي) هي دراسات سياسية فقط تجاهلت الحياة الاقتصادية و الثقافية ومدى أثر العالم الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة في ذلك، هذا ما دفعني إلى اختيار موضوع دراستي هذه و والموسومة بالعلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان .

إشكالية البحث

إنه ليس من السهل تقديم توقيت زمني لمختلف مظاهر الترابط و التواصل التي وطّدت العلاقات التاريخية (الثقافية و التجارية) بين السودان الغربي و المغرب الأوسط في عهد أزهى فترات تاريخ المغرب الأوسط و المتمثلة في الفترة الزيانية 633-962 هـ 1236/1554م، هذه الفترة تعد بحق أبرز حقبة في تاريخ الصلات والروابط التي طبعت ببصماتها سجل التطورات الثقافية و الاقتصادية و السياسية

التي عرفها المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة مالي الإسلامية ومملكة سنغاي في عهد الاسيقيين .

لقد سيطرت الدولة العبد الوادية على المغــرب الأوســط طوال الثلاثة قرون ؛ عرف فيها المغرب الأوسط استقرار سياسيا وتطورا اقتصاديا و ثقافيا ، الأمر الذي دفع بسلاطين الدولة إلى التطلع إلى أماكن بعيدة وغريبة عنهم لنشر ثقافتهم العربية الإسلامية وتشجيع التجار لتسويق منتجات دولتهم و استيراد مواد و سلع ثمينة . وهنا يمكننا أن نطرح بعض التساؤلات : ما هي الطرق والأساليب التي مكنت التاجر المغربي من الوصول إلى أسواق ومدن السودان الغربي ؟ وما مدى أثر الفقهاء و علماء المغرب الأوسط في ازدهار الثقافة العربي الإسلامية بالسودان الغربي ؟

للإجابة على هذه التساؤلات قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة أبواب ، قسمت الباب الأول إلى فصلين تناولت في الفصل الأول دولة بني زيان سياسيا و أهم التطورات السياسية التي طرأت على المنطقة بعد أفول السيطرة الموحدية ،أما في الفصل الثاني فقد خصصته للحياة السياسية بالسودان الغربي وظهور الممالك الإسلامية بعد أفول سيطرة إمبراطورية غانة الوثنية .

أما الباب الثاني فقد عنونته بالحياة الثقافية والتعليمية بالمغرب الأوسط وقسمته إلى ثلاثة فصول تناولت في الفصل الأول أهم المؤسسات الثقافية

والتعليمية من مساجد وزوايا ومدارس ابتدائية ومعاهد عليا ، أما الفصل الثاني فقد خصصته للعلوم الدينية من فقه وتصوف أما الفصل الثاني فقد خصصته للتحدث عن العلوم اللسانية من أدب وعلم اللغة بالإضافة إلى التحدث عن العلوم العقلية .

أما الباب الثالث فقد عنونته بالحياة الثقافية والتعليمية بالسودان الغربي ومدى تأثرها بثقافة المغرب الأوسط الإسلامية وقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، تطرقت في الفصل الأول إلى أهم المؤسسات الثقافية من مساجد ومدارس ومعاهد عليا ، وأهم العلوم التي كانت تدرس بها من علوم نقلية من أدب و نحو و لغة وفقه و منطق وتاريخ وعلوم عقلية من حساب وجبر وفلك، أما في الفصل الثاني فقد تطرقت فيه إلى أهم الأعلام السودانيين الذين كان لهم دور كبير في الإشراف على التعليم بالمدارس و الجامعات و الكتاتيب خاصة بحواضر السودان الغربي المشهورة (تمبوكتو وغاو و جني) كما تطرقت في هذا الفصل أيضا إلى أهم الكتب والتأليف المتداولة بالسودان الغربي لفقهاء و علماء ينتمون إلى عائلات سودانية مشهورة كعائلتي آقيت وبغبغ بالإضافة إلى المؤلفات التي كانت متداولة بالبلاد الإسلامية كمؤلفات التفسير و الحديث و المنطق و التصوف والتاريخ و الأدب و غيرها كثير. أما الفصل الثالث فقد خصصته إلى الروابط الثقافية بين السودان الغربي و المغرب الأوسط ودور العلماء و الطرق الصوفية والزوايا في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي .

أما الباب الرابع فقد عنونته بالعلاقات التجارية بين السودان الغربي و المغرب الأوسط في عهد الزيانيين وقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، تناولت في الفصل الأول الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان من نشاط فلاحي وصناعي وتجاري، أما الفصل الثاني فقد خصصته للحياة الاقتصادية بأهم مدن السودان الغربي من نشاط فلاحي وصناعي وتجاري أيضا، أما الفصل الثالث فقد خصصته للعلاقات التجارية بين الإقليمين و بينت فيه أهم المسالك و الطرق التجارية الرابطة بين الإقليمين ودورها في المبادلات التجارية والتي عرفت بالتجارة الصامتة،وأنهيت دراستي هذه بخاتمة تطرقت فيها إلى أهم النتائج المتوصل إليها .

المنهج المتبع

لقد اتبعت منهجا وصفيا تحليليا لتحقيق هذا الإنجاز المتواضع ، وهو الوقوف عند بعض المصادر القديمة المتصلة بموضوع الدراسة من كتب الرحلة والجغرافيا وكتب التاريخ المتصلة بموضوع البحث ، مقتبسا منها المادة بعد مقارنتها و تحليلها إلى جانب الاعتماد على المؤلفات الحديثة العربية منها والأجنبية التي حاول مؤلفوها تحليل تاريخ الإقليمين .

صعوبـــات البحـــث

لقد واجهني أثناء عملي صعوبات عديدة منها قلة المصادر و المراجع التي أرّخت لهذه الفترة الهامة من تاريخ العالم الإسلامي من الناحية الاقتصادية والثقافية و لم أعثر على أي علاقات دبلوماسية أو معاهدات حدثت بين الزيانيين والسودانيين سواء كانت سياسية أو تجارية .

دراسة في المصادر والمراجع .

1- المصادر المطبوعة:

إن دراسة العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي يتطلب من الباحث الوقوف مطولا عند المصادر المتصلة و المعاصرة لفترة البحث سواء كانت مصادر تاريخية أو جغرافية أو مصادر الرحلة، ومن بين المصادر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة هي :

🕮 كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية المغرب أو المعروف بالمسالك وممالك لأبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (تـ 478 هـ / 1113 م) يعد كتابه من المصادر الجغرافية الهامة ولقد وصف لنا بالتدقيق الطرق التجارية والأسواق وحركة التجارية و السلع الصادرة و الواردة و الأسعار و المكاييل والموازين ، كما وصف لنا المدن المغربية ومدن السودان الغربي وصف دقيقا .

🕮 كتاب وصف إفريقيا الشمالية عن نزهة المشتقات في اختراق الآفاق لصاحبه أبي عبد الله محمد الشريف المعروف بالإدريسي توفى حولي سنة 562 هـ / 1166 م وهذا الكتاب صححه ونشره هنري بيرس في الجزائر سنة 1376 هـ وقد حققه وترجمه إلى الفرنسية محمد الحاج صادق وعنونه بالمغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق سنة 1983 ، وتحدث فيه عن الأنشطة الاقتصادية ، و الطرق التجارية والبرية و بعض المراسي و المدن المغربية .

🕮 كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا لمؤلفه الشيخ "أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي" المتوفى سنة 821 هـ/ 1418 م وقد وقف مطولا عند إمارات المغرب الإسلامي في القرنين السابع و الثامن الهجريين (13 – 14 م) .

📖 كتاب الرحلة المسماة : تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، لصاحبه محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة و الملقب بشمس الدين (704/ 779 هـ / 1304- 1377 م) ، وقد سجل فيه صاحبه مشاهداته أثناء رحلته عبر عدد كبير من أقاليم المشرق و المغرب الإسلاميين وممالك بلاد السودان الغربي خلال القرن الثامن الهجري (14 م) وقد استغرقت رحلاته الثلاث كلها زهاء تسع وعشرين سنة ، أطولها السفرة الأولى التي لم يترك فيها ناحية من نواحي المغرب و المشرق إلا زارها ، وقد جاءنا هذا المصدر بأهم المعاملات في الأسواق وعن السلع المتوفرة من صادرات وواردات .

📖 كتاب وصف إفريقيا لصاحبه محمد بن الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي واختلف المؤرخون في تحديد سنة ولاته ، فيجعلها بعضهم عام 901 هـ / 1495 م بعضهم عام 906 هـ / 1500 م ، ألف كتابه حوالي سنة 1526 باللغة الإيطالية و ترجمة إلى الفرنسية A Epaulard وقد ضم هذا الكتاب تسع رحلات ويهمنا هذا الرحلة الثالثة وهي رحلة إلى بلاد السودان وقف فيها عند أهم الأسواق و المعاملات التجارية و السلع و البضائع التي كانت يقبل عليها الناس وبعض الأسعار كما تكلم عن أهم مدن السودان الغربي و التي كان لها ذلك الدور الكبير في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، بالإضافة تحدثه عن المدن المغاربية كتلمسان و فاس و تدلا و وهران و تنس ...

📖 كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 1406 هـ و يتضمن معلومات هامة عن تاريخ الدولة العبد الوادية اعتمدنا عليها.

في موضوع الدراسة وما كان لها من علاقات مع الحفصيين و المرينيين بالإضافة إلى اعتمادنا على مقدمته .

🕮 كتاب " أنس الفقير وعز الحقير " لصاحبه أبي العابس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (تـ 810 هـ / 1408 م) الذي اعتنى بنشره الأستاذ محمد الفاسي و أدولف فور، وتكمن أهمية هذا المصدر في التحدث عن كثير من فقهاء وعلماء المغرب و الأندلس ، ومنهم على سبيل المثال الفقيه العلامة سيدي أبي مدين الغوث .

🕮 كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لصاحبه أبي زكرياء يحيى بن خلدون (734 هـ / 780 هـ) في جزأين حقق و نشر الجزء الأول الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات سنة 1980 أما الجزء الثاني نشره ألفريد بال سنة 1910 .

فقد بدأ يحيى بن خلدون حياته السياسية في سنة 757هـ في خدمة الحفصيين أولا ثم انتقل لخدمة بني زيان واتخذه أبو حمو موسى الثاني كاتبا للرسائل في ديوانه ، ثم التحق بخدمة بني مرين أيضا ثم عاد لخدمة أبي حمو الذي رحب به و أعاده لمنصبه إلى أن قتل في شهر رمضان سنة 780 هـ/1378 م.

وتكمن أهمية مؤلفه بغية الرواد في غزارة المادة التاريخية ، وأهمية هذا المؤلف ترجع إلى تناول تاريخ دولة بني زيان وركز فيه على فترة حكم أبي حمو موسى الثاني، ويعد مؤلفه هذا مصدر تاريخي اعتمد عليه كل من كتب عن تاريخ المغرب الأوسط في عهد الزيانيين .

🕮 كتاب تاريخ بني زيان ملوك بني زيان مقتطف من كتاب نظم الدر و العقيان في بيان شرف بن زيان لصاحبه أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني الذي ولد سنة 830 هـ نشأ بتلمسان ودرس بها وقد حقق هذا المقتطف محمود بوعياد سنة 1985 وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام خصص القسم الأول لحياة المؤلف وآثاره ووقف مطولا عند المؤلف الأصلي نظم الدر و العقبان في بيان شرف بني زيان وقد اعتمدنا على هذا القسم لماله من صلة بموضوع بحثنا.

🕮 كتاب الرحلة المغربية لصاحبه محمد العبدري البلنسي إثر ترحاله نحو المشرق سنة 689 هـ / 1289 م وقد حقق هذا الكتاب أحمد بن جدو وقد أفادني في التعريف ببعض المدن كمدينة تلمسان التي قال عنها " تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر ... لها جامع عجيب مليح متسع".

🕮 كتاب البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب " بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني منشأ ومولدا ودارا ، ترجم العلامة ابن مريم في البستان لاثنين و ثمانين ومائة عالم ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها ، وقد أفرد المؤلف نفسه قائمة لمصادر البستان في خاتمة الكتاب فذكر منها:

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبوكتي .
- بغية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون.
- التقييد في مناقب الأربعة للعلامة السيد محمد السنوسي ، روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين للسيد ابن صعد.

- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب للسيد ابن صعد الكواكب الوقادة فيمن كان نسبته من العلماء . والصالحين القادة ، ولم يعرف مؤلفه.

📖 كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لصاحبه أحمد بابا التنبكتي (963 / 1036هـ) ، وضع هذا الكتاب ليكون نيلا على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المدني المتوفى سنة 799 هـ فهو مشارك للديباج في جوانبه الثقافية و الفكرية التي ساقها صاحب الديباج في ثنايا تراجمه .

وكتاب الديباج معروف لتراجم علماء المالكية وقد ترجم لأكثر من ثمانمائة عالم وفقيه من فقهاء المالكية ، وقد اعتمدنا على جانب منه في التعريف ببعض الفقهاء و العلماء الذين كان لهم دور كبير في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب الأوسط أو السودان الغربي .

📖 كتاب إفريقيا لصاحبه مارمول كربخال ، يعرض من المؤلفات المهمة التي كتبت في القرن السادس عشر عن إفريقيا عامة و شمالها خاصة ، ويحتل الدرجة الثانية بعد وصف إفريقيا للحسن الوزان ، وقد تعاصرا هذان المؤلفان ولم يفصل بين كتابهما غير نحو أربعين سنة ، وإذا كان كتاب الحسن الوزان لا يثير أي أشكال من حيث محتواه لكفاءة الرجل العلمية و نزاهته الفكرية والدينية فان مارمول على العكس من ذلك كان متعصبا لمسيحيته ضد الإسلام ، ولقد اعتمد في تأليفه لكتابه على الوثائق التي استقاها من مكتبات

الأديرة وحوليات القساوسة وهي مليئة بالأساطير طافحة بالكراهية والحقد والتحامل.

📖 كتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس لصاحبه محمود كعت وبعض حفدته حققه و ترجمه إلى الفرنسية . موداس ودولافوس، الكتاب غني بمادته التاريخية إذ يسلط الأضواء على تاريخ بلاد السودان منذ ما قبل الإسلام إلى عصر المؤلف .

📖 كتاب تاريخ السودان لصاحبه عبد الرحمن السعدي السوداني يحتوي إضافة إلى الأحداث التاريخية ، على تراجم العلماء و الملوك و الباشوات والأئمة و القضاة المغاربة والمشارقة والسودانيين وقد اعتمدنا على هذا المؤلف في التحدث عن آثار و الروابط الثقافية و الدينية بين العالم الإسلامي والسودان الغربي وفضل العلماء و الفقهاء المسلمين في بناء الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي .

📖 كتاب إنفاق الميسور في تاريخ التكرور من تأليف أحمد بلو بن عثمان فودي حققته بهيجة الشاذلي سنة 1996 م، الكتاب بمتنه النظري الذي خصصه للتراجم وتاريخ وسط إفريقيا (كانم برنو) و التي كانت لها صلات بالسودان الغربي .

📖 كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور لصاحبه محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (1727 – 1804) من فقهاء ولاتة ترجم في مؤلفه للعلماء المغاربة و السودانيين المالكين.

📖 كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لصاحبه أحمد ابن يحيى بن فضل الله العمري 700- 749 هـ / 1301 – 1349 م) يعد أهم مصدر اهتم مباشرة لمملكة مالي فهو مصدر أساسي و موثوق به و هو يهتم أيضا بالعلاقات العربية المشرقية مع السودان .

📖 كتاب سورة الأرض لصاحبه (أبو القاسم محمد الناصبي) المعروف بابن حوقل عاش في القرن الرابع للهجري ، العاشر الميلادي زار شمال إفريقيا والصحراء و الأندلس و الغالب في الذكر زار مدينة أودغشت ، وتبقى أهميته مؤلفه بالنسبة للفترة السابقة على مالي.

2- المراجـــــع :

📖 كتاب لأبي حمو موسى الزياني حياته و آثاره ، طبع في الجزائر 1982 للأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات ، وهو يغطي الفترة الواقعة ما بين بداية الدولة الزيانية إلى غاية حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني وقد تطرق فيه المؤلف إلى مختلف الأحداث العسكرية و الصراع المريني الزياني ، والصراع الزياني الحفصي .

📖 كتاب مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591 لصاحبه عبد القادر زبادية ، عالج فيه تاريخ بلاد السودان في عهد مملكة سنغاي و علاقاته بالشمال الإفريقي ، وقد وقف مطولا عند الحياة الاقتصادية و التجارية لمملكة سنغاي و أوضح فيه أهم الطرق و المسالك التجارية الرابطة بين أسواق السودان الغربي و الشمال الإفريقي .

📖 كتاب الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي من 400 هـ إلى 1100 م في عهد الممالك الإسلامية ، غانة و مالي و صاحبه (أبو بكر إسماعيل ميغا) و تحدث فيه على دور العلماء و الفقهاء المغاربة في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في السودان الغربي .

📖 كتاب مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الأفريقي (15/13 م) لصاحبه الهادي المبروك الدالي وقد أشار في مؤلفه لدولة مالي الإسلامية و لأهم المدن الحضارية كتومبوكتو و جني و غو وعلاقاتها بأسواق الشمال الإفريقي .

3- المراجع الأجنبية

لقد اعتمدت في هذا البحث على بعض المراجع باللغة الاجنبية خاصة الفرنسية ومنها كتاب لـ Dhina (A) , le royaume Abdel ouadide à l'époque d'Abdou – Hammou Moussa 1er et D'Abou – Tachefin 1 er

ولقد أشار فيه صاحبه إلى تاريخ الدولة الزيانية ، ووضعية تلمسان أثناء تعرضها للحصار المريني الأول ، وقد أشار أيضا بأهمية التجارة بين تلمسان الزيانية و بلاد السودان الغربي أما كتابه الثاني و المعنون بـ Les états de l'occident musulman au XIII et XIV siècle

وأشار فيه إلى العلاقات التجارية بين المسيحيين في جنوب أوروبا و المسلمين في بلاد المغرب .

كتاب Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest des origines à la fin XVI siècle لصاحبه Cuoq أشار فيه إلى أهم المراكز الإسلامية في

السودان الغربي وقد تكلم أيضا على الممالك الإسلامية كمملكة غاو وسنغاي في عهد الاسيقيين .

كتاب l'Afrique noire dans les relations internationales au XVI siècle لصاحبه Zakari issifou وقد أشار فيه إلى أهم المراكز الإسلامية ودور فقهاء و علماء الشمال الإفريقي في نشر الثقافة العربية الإسلامية و إنشائهم للمعالم الحضارية من مساجد و مدارس و معاهد عليا بالسودان الغربي .

وفي الأخير أوجه شكري إلى الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي تتبع خطوات هذا البحث بكل عناية ، فساعدني بملاحظاته القيمة .

و لا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي يد العون و المساعدة في إنجاز هذه الرسالة .

و الله ولي التوفيق

الباب الأول

المغرب الأوسط و السودان الغربي سياسيا

الفصل الأول

المغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان سياسيا

تمهيد

أولا: نشأة بني زيان

ثانيا : العلاقات الزيانية بالدولتين الحفصية و المرينية

1. العلاقات الزيانية الحفصية
2. العلاقات الزيانية المرينية

حركة الموحدين الكبرى عبر مناطق المغرب الأقصى و المغرب الأوسط، استولوا خلالها على بلاد تادلا و فازار و الريف وكلها مناطق جبلية ثم توجه الموحدون نحو المغرب الأوسط، وحلوا بقرية تاجرا مسقط رأس **عبد المؤمن بن علي** وتمكنوا من هزم المرابطين مستغلين الفتنة التي ظهرت ما بين لمتونه و مسوفة بعد وفاة **علي بن يوسف** و الصراع الذي كان قائما بين قبيلتي بني يلومي حلفاء المرابطين وبني ومانو[1] التي التحقت "**بعبد المؤمن بن علي**" وقد هزم الموحدون المرابطين في عدة مواقع ما بين سنة 539هـ 540هـ، و احتلوا تلمسان سنة 539 وقتلوا عدد كبير من أهل أغادير وأشياخ تاجرارت.[2]

و لم تلبث دولة الموحدين تتقوى و تزدهر حتى عرفت عدة مشاكل و اضطرابات و فوضى عجلت في سقوطها كالثورة التي عرفتها إفريقية و التي دارت رحاها ناحية قفصة 574-575هـ[3] ولم تنته هذه الثورة إلا بعد أن توجه الخليفة الموحدي **يوسف بن عبد المؤمن** بنفسه و تمكن من إخمادها.

---

(1) بني ومانو وبني يلومي هما من الطبقة الأولى من قبيلة زناتة و كانتا من أوفر بطون زناتة و أشدهم شوكة وموطنهما جميعا بالمغرب الأوسط فكان بنو وامانو في الجهة الشرقية من واد مني ، بينما بنو يلومي بالعدوة الغربية من جهة الجعبات و البطحاء وسيك، وجبل هدارة وبن راشد إلى أن تغلب عليهم بنوا عبد الواد وتوجين من بن بادين. أنظر العبر ج7، ص 54-55.

(2) يحي بن خلدون ج1 المصدر السابق، ص 170-171.

(3) نفس المصدر، ص 309.

و ثورة بني غانية[1] 580هـ و الذين حاصروا و استولوا على قلعة بن حماد وقسنطينة [2] إضافة إلى موقعة العقاب 609هـ 1212 التي أنهزم فيها الموحدين[3] أمام النصارى الأسبان.

لقد أدت هذه العوامل مجتمعة على إضعاف سلطة الدولة الموحدية وظهور دويلات على أنقاضها وهي:

الدولة الحفصية (بالمغرب الأدنى) 627-923 هـ الموافق 1229- 1536هـ والجزائر الحفصية وهي عمالتا قسنطينة و الجزائر إلى ما بعد مليانه و الجنوب نحو ورقلة، والدولة المرينية 668-961هـ الموافق/ 1235-1554م، و هي تشمل المغرب الأقصى. و الدولة الزيانية أو العبد الوادية 633- 962 / 1235-1554 وكانت تمتد طولا من البحر إلى الصحراء (توات) و عرضا من ناحية واد مينة وجبال سعيدة حيث تجاور توجين ومغراوة إلى نهر ملوية و فقيق وبلغت حدودها الغربية إلى سجلماسة وشمالا إلى البحر المتوسط.

---

(1) بنو غانية ينسبون إلى أمهم غانية من العائلة المرابطية الحاكمة وكان والدهم علي بن يوسف من أعيان قادة مسوفة (من قبائل الملثمين)، تربى والده يحيى ومحمد في بلاط يوسف بن تاشفين، و قد تزوجت أمهما بعد وفاة والدهما أبا عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني والي قرطبة، ولقد لمع نجم يحيى ببراعة في قيادة الجيوش فولاه يوسف المرابط على مدينتي بلنسية و قرطبة، و عندما حدثت اضطرابات في جزيرة ميورقة نتيجة لتذمر سكانها من واليها المرابطي ونور بن أبي بكر فعزله علي بني يوسف وولى عليهم محمد بن علي بن غانية، فوصل إلى الجزيرة سنة 520هـ 1126م بصحبة أولاده عبد الله و إسحاق وعلي و الزبير وطلحة وإبراهيم لما قضى الموحدون على المرابطين رفض محمد بن غانية الولاء لهم وأعلن استقلال ولايته وتفرد بالحكم إسحاق بعد قتله لأبيه و أخيه 546هـ/ 1151 ثم اعتقال علي بن إسحاق بن غانية للولي الموحدي ابن الربرتير، انظر العبر ج6، 12ص 505-507، أنظر أيضا الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء 1955، ص 159.

(2) نفس المرجع ص 309، انظر أيضا محمد بن عمر و الطمار تلمسان عبر العصور، الجزائر 1984، ص 79.

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، بروض القرطاس في أخبار ،ملوك المغرب، وتاريخ، مدينة فاس، 1843، ص 160.

أولا: نشـأة الدولـة الزيانيـة.

- يغمرسن بن زيان و تأسيس الدولة الزيانية:

لقد تمكن **يغمراسن بن زيان**[1] من تأسيس دولة مستقلة عندما كان واليا من قبل الدولة الموحدية بالمغرب الأوسط حيث اغتنم فرصة تراجع جبل بني راشد وضعف سلاطين كل دولة و اضمحلال سلطتهم.

و ينتمي يغمراسن إلى قبيلة بني عبد الواد[2] وهي في الأصل من القبائل الرحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط ينتجعون المراعي الخصبة بمواشيهم و يترددون ما بين فقيق و مديونة إلى جبل بن راشد ومصاب، ولم يزالوا على ذلك الحال حتى فتح الموحدون أعمال المغرب الأوسط، فكانوا عونا لهم على ذلك، و صاروا من أخلص قبائل زناتة ولاء لهم[3] .

---

(1) تولي يغمراسن بن زيان الحكم من سن 633هـ/1236 إلى سنة 681هـ/ 1283 كان قد عين من قبل الخليفة الموحدي عاملا على تلمسان وبلاد زناتة، وبعد نحو أربعين سنة زالت دولة الموحدين، واستقل يغمراسن بن زيان بالإقليم الذي يحكمه وكان استقلاله بالإمارة في أيام الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون 630- 640/1232-1242، انظر التنسي (محمد بن عبد الله)، نظم الدر و العقيان في بيان شرف بن زيان تحقيق محمود بوعياد الجزائر 1985، ص 116.أنظر بغية الرواد المصدر السابق،ص 205-206.

BERGES, Histoire des BENI –ZEYAN Roi de Tlemcen, Paris 1852.
BERGES , Tlemcen, Ancienne capitale du royaume de ce nom, Paris, 1859.
LAROUI (ABDALLAH) , l'histoire de Magreb Librairie François Maspero 1976, p181.

(2) بنو عبد الواد فرع في فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة، استقر هذا الفرع منذ أزمنة طويلة بمنطقة الغرب للمغرب الأوسط، وتمتد مواطنهم من تاهرت إلى نهر ملوية وهذا الفرع بن ولد باديس بن محمد أخوة بن توجين، ومصاب وزردال، وبن راشد، ويرتبط المرينيون معهم بالمعاصرة، وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون ذكر منها بن خلدون ستة وهي: بنوياتكين وبنو أرلو وبنو ورهطف، ، ونصوحة، وبنو تومرت وبنو القاسم و الفرع الأخير هو الذي كانت إليه الرئاسة خلال عهد الموحدين، ويتألف من عدة بطون، بن يكمثين، و عبد الحق بن منخفاج، و بني مطهر وبن علي. انظر يحي بوعزيز المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية، 1236-1554،بحلة الأصالة عدد 26، 1975 ص 13.

(3) بن خلدون بغية الرواد، ج1 ص 198، العبر ج7، ص 148-150.

فكان منهم، لعهد بن عبد المؤمن عدوي بن بكنمين وعبد الحق بن منغفاد فمنحهم الموحدون جزاء إخلاصهم ضواحي المغرب الأوسط بلاد ومانو وبني يلومي، وتركوا الصحراء و استقروا في التل بما وجدوه من خصبه و غضارة عيشه فاتخذوه مرتعا ومصطافا و وضعوا رجالهم في خدمة الموحدين و اتخذوهم أنصار وحماة لبلاد المغرب الأوسط، و كانت الحرب بينهم وبين بن مرين سجالا إلى سنة 623 هـ حيث حدثت فتنة بين بني طاع الله و بني كمي من بطونهم فقتل كندوز من بني كمي زيان بن ثابت بن محمد كبير بني طاع الله فخلفه ابن عمه حاجر بن يوسف، وقد بعث برأس كندوز إلى يغمراسن بن زيان و أثناء تلك الفتنة لحق عبد الله بن كندوز في قومه إلى تونس أيام أبي زكريا، الحفصي.

و لم يسيطر بنو عبد الواد على تلمسان إلا بعد أن حدثت اضطرابات خطيرة بها، وثار أحد رجال لمتونه للمستخدمين آنذاك في الجند على الوالي و اعتقله، فكان دخول بن عبد الواد تلمسان سنة 627هـ[1]، بقيادة جابر بن يوسف، خطوة أولى نحو تأسيس الدولة الزيانية وبعد وفاة جابر آل حكم الدولة إلى ابنه الحسن 629هـ[2] فأخيه عثمان 630-631هـ ثم إلى ابن عمه زيدان بن زيان 631-633 و لم يبايع هذا الأخير من بني عبد الواد سوى بني مطهر، الذين استعانوا ببني راشد فحاربوه فقتل زيدان[3] أثناء معركة دارت رحاها خارج تلمسان 633هـ فخلفه يغمراسن و أول عمل سياسي قام به إعلانه لاستقلال قبيلته بالحكم واتخاذ تلمسان عاصمة لدولته وذلك راجع إلى طبيعة موقعها الجغرافي وقدرة هذا الموقع

(1) بغية الرواد، ص 199.

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 200.

(3) عبدلي لخضر: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط عهد بني زيان 633- 962هـ/ 1236-1554. رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ كلية الأدب والعلوم الإنسانية و العلوم الاقتصادية، جامعة تلمسان 2004-2005، ص 30-31.

على مقاومة عوامل الانهيار (الهجمات الخارجية)، وكانت تلمسان(1) قاعدة المغرب الأوسط(2) اشتهرت بأسواقها المكتظة بالبضائع وبمساجدها العامرة وقصورها العجيبة حتى صارت مقصدا للتجار من الشرق و من الغرب ومن الجنوب (السودان) و الشمال (أوربا) ودارا لطلب العلم.(3)

- الحدود السياسية للدولة الزيانية:

كانت حدود الدولة الزيانية * تشمل المغرب الأوسط يحدها شالا البحر المتوسط و جنوبا الصحراء الكبرى الفاصلة بينها وبين بلاد السودان الغربي(4) أما غربا كان يفصلها عن الدولة المرينية نهران هما وادي ملوية ونهر زا(5) وشرقا يحدها عن بلاد صنهاجة الواد الكبير (6) وتمتد دولة بن زيان على مسافة تسعمائة وثلاثين كم من الشرق إلى الغرب لكنها تضيق من الشمال إلى الجنوب إذ لا تتعدى المسافة

(1) تلمسان : قاعدة المغرب الأوسط، مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مهمة لأمم سالفة ، وبينها وبين وهران مرحلتان، هي في سفح جبل ، وكان لها ماء مجلوب من عمل الأول من عيون تسمى لوريط ولها نهر كبير يسمى سطفسيف لها سور متقن الوثاقة و هي مدينتان في واحدة،و لها نهر، كانت تلمسان دار مملكة زناتة في هذه العصور القريبة و حواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر و هي كثيرة الخصب و الرخاء كثيرة الخيرات، و النعم ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام وباب وهيب وباب خوخة وفي الشرق باب العقبة و في الغرب باب أبي قرة وفيها بقية النصارى ولهم بها كنيسة معمورة، ولها أسواق ومساجد. انظر الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في أخبار الأقطار تحقيق إحسان عباس، ط1، 1975ط 2، 1980 ص 607 ، انظر أيضا البكرى ص 76.

(2) الحميري المصدر السابق ص 608

(3) مولاي بالحميسي، نهاية دولة بن زيان بجلة الأصالة عدد26، 1975، ص 30 انظر أيضا مؤنس (حسين): تاريخ المغرب وحضارته المجلد الثاني العصر الحديث للنشر و التوزيع ط1 لبنان 1992، ص 123.

* انظر الملحق رقم -01-

(4) الوزان : وصف إفريقيا ، ص 7.

(5) نفس المصدر، والصفحة عينها.انظر أيضا ابن خلدون،مجلد11، ص 202.

(6) العبر، مجلد11 ، ص 203.

خمسة و عشرين ميلا في بعض النقاط من البحر الأبيض المتوسط إلى تخوم صحراء نوميديا وكان ملوك تلمسان دائما مضطرين إلى أن يهدئوهم بأداء إتاوات جسيمة وتقديم الهدايا لهم لكن لم يستطيعوا قط إرضائهم جميعا وقلما توجد في البلاد سبل آمنة ، ولهذه المملكة ميناءان مشهوران ميناء وهران و ميناء المرسى الكبير، اللذان لعبا دورا كبيرا في الناحية الاقتصادية للمجتمع الزياني بالإضافة إلى هذين الميناءين كانت دولة بني زيان تتشكل من مدن كان لها أدوار سياسية واقتصادية وثقافية ومن بينها مدينة وهران، مليانة، ندرومة، أرشكول، البطحاء، مستغانم، مازونة، وغيرها.

ثانيا: العلاقات الزيانية بالدولتين الحفصية والمرينية

1ـ العلاقات الزيانية الحفصية:

غلب على العلاقات الزيانية الحفصية(1)الصراع والتنافس للاستحواذ على أكبر قسم من الدولة الموحدية، ولقد حاول حاكم الدولة الحفصية أبو زكرياء الحفصي الاتصال بحاكم الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان لقطع الصلة بمراكش والانضمام إليه غير أن الحاكم الزياني رفض ذلك، لأنه كان يدرك مدى خطورة حاكم مراكش عليه من ناحية، وقرب تلمسان من مراكش أكثر من تونس من

(1) تنسب الأسرة الحفصية إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي المصمودي، من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة وهم المسمون بالجماعة وهم عبد المؤمن بن علي، وعمر بن علي أزناق، إسماعيل بن مخلوف، و أبو إبراهيم، وإسماعيل ابن موسى، و أبو يحيى أبو بكر بن تنحيت، و أبو عبد الله بن سليمان، و عبد الله بن ملويات، و أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي، و أبو محمد عبد الله البشير، و أن اسم أبي حفص عمر كان قد سماه به المهدي بن تومرت و اسمه و اسمه الأصلي هو فاصكة بن ومزال.

انظر المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب القاهرة ط1 – 1914، ص 189-190، انظر أيضا العبر مج 12، ص 983-594، انظر أيضا الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 108.
593

ناحية أخرى[1] الأمر الذي دفع بالحفصين إلى شن حملة عسكرية خرجوا بها من تونس العاصمة 639هـ - 1241 صوب مدينة تلمسان و كانت هذه الحملة مشكلة من الجيش النظامي الحفصي ورجال القبائل وقد وصلت أسوار مدينة تلمسان 640هـ[2] 1242 بزعامة أبي زكرياء الذي تمكن من الدخول إلى تلمسان وإرغام يغمراسن بن زيان على الهروب نحو الجبال المجاورة[3] و أصبحت تلمسان تابعة للحفصين إلى أن عزم الخليفة الموحدي أبو الحسن علي السعيد 640-646/ 1242-1248 على التحرك نحو إفريقيا للقضاء على الدولة الحفصية في نهاية سنة 645هـ وبعد مقتل السعيد الموحدي عاد الزيانيون إلى سابق ولائهم للحفصين، وأعلنوا تمسكهم لخليفة أبي زكرياء الحفصي أبي عبد الله محمد.[4]

لقد استغل الزيانيون الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الحفصية، و المتمثلة في الحملة التي قام بها ملك فرنسا سان لويس على تونس، بهدف توسيع نفوذهم في المغرب الأوسط فتمكنوا من الاستيلاء على مدينة مليانة 668هـ 1269م ثم محاصرة مدينة بجاية سنة 686هـ/1287م و إخضاع قبيلتي مغراوة و توجين اللتين كانتا تؤيدان الحفصيين غير أن المرنيين حاصروا تلمسان سنة 698هـ 1298م.

ولقد حاول الزيانيون بعد فك الحصار المريني الطويل من 698هـ/1298م إلى غاية 706هـ/1306م مهاجمة تونس مستغلين أوضاع الحفصيين المتردية و قد تمكنوا من

(1) عاشور بوشامة: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس 626/981هـ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1991 ص 127-128.

(2) باقة السوسان، المرجع السابق ،ص 80.

(3) الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ) تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق، منور، ط2، 1966م، ص 29.

(4) العبر، مج 12، ص 620.

السيطرة على مدينتي تدلس و الجزائر 712[1] ،وبعد هذه السنة توالت حملات الزيانيين العسكرية على الدولة الحفصية كالحملة التي جهزها أبي تاشفين الثاني بقيادة موسى بن علي الكردي الذي التقى بالجيش الحفصي بقيادة أبي يحيى أبي بكر الحفصي برغيس قرب مرماجنة[2] سنة 723هـ/1323م غير أن الزيانين فشلوا في حملتهم هذه الذي لم ينقص من عزيمتهم في استرجاع المدن الواقعة تحت السيطرة الحفصية كبجاية و قسنطينة بإرسالهم لحملات عسكرية صوب الدولة الحفصية كحملة سنوات 726هـ -728 و729هـ، أي بمعدل حملة كل سنة و تمكن الجيش الزياني من دخول تونس في سنة 730هـ/1329م و لم تسلم الدولة الحفصية من التهديدات الزيانية حتى تولى أبو الحسن المريني الحكم 732-749هـ /1331-1348م الذي سيحاصر تلمسان كما سيأتي بيانه لاحقا – لتنتهي مؤقتا – المتاعب الحفصية بعد الجلاء الزياني عن القسم الغربي من الدولة الحفصية.

و لم تسلم الدولة الزيانية من التحرشات الحفصية بعد التخلص من التبعية المرينية 814هـ/1411م على عهد أبي مالك عبد الواحد الزياني 814-827هـ/1411-1423م الذي كان المرنييون قد نصبوه خلفا لأخيه سعيد 1411/814م[3] لتبدأ حملات عسكرية أخرى على تلمسان وأول حملة حفصية كانت في سنة 827هـ/1422م[4] في عهد أبي فارس عبد العزيز الحفصي الذي عزل حاكمها – تلمسان

---

(1) الزركشي، المصدر السابق، ص 61-62.

(2) مدينة تقع بشرق الجزائر ما بين مدينتي بونة و قسنطينة، و ذكر الإدريسي ما بين مرماجنة إلى مدينة مجانة مرحلتان خفيفتان و هي مدينة صغير تشتهر بالقمح و الشعير انظر الإدريسي المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ص 155، انظر مجهول الاستبصار تحقيق سعد زغلول عبد الحميد بغداد، 1986، ص 162.

(3) يحي بن خلدون المصدر السابق، ص 218.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص 149.

– أبا مالك عبد الواحد بن أبي حمو الزياني ونصب عليها الأمير أبا عبد الله[1] محمد الزياني، ليعزل فيما بعد ولينصب بدله أخوه أبو العباس أحمد بن أبي حمو الزياني الذي سيعزل فيما بعد[2] . و منذ أن تولى أبو عبد الله محمد الثابتي الحكم بتلسمان 881-911هـ/1476-1505م طبع على العلاقات الحفصية الزيانية الفتور وذلك راجع للظروف التي تغيرت في حوض البحر المتوسط منذ سقوط مدينة غرناطة الإسلامية تحت سيطرة النصارى المسحيين 897هـ/1492[3] فاشتدت التحرشات الإسبانية و البرتغالية على بلاد المغرب الإسلامي بالإضافة إلى ظهور الدولة العثمانية بالمنطقة في بداية القرن السادس عشر.

2- العلاقات الزيانية المرينية:

لقد اتسمت العلاقات الزيانية المرينية[4] بالعداء الشديد فلم تسلم الدولة الزيانية من الحملات الحفصية فحسب بل عانت من الحصار المريني لتلمسان لمرات عديدة فأول حملة كانت على يد الخليفة الموحدي أبي الحسن السعيد صاحب السلطة الشرعية بمراكش على تلمسان و كانت سنة 646هـ/1248م تمكن الجيش الزياني خلالها من الانتصار على الجيش المريني في معركة كانت حامية الوطيس

---

(1) نفس المصدر، الصفحة عينها.

(2) ابن أبي دينار (القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد سمام، تونس 1967، ص 160.

(3) التنسي، المصدر السابق، ص 119.

(4) المرينيون و هم فخذ من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة ، ينتسبون إلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن حديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتانيص بن المعز بن إبراهيم بن ساحيك بن واسين اخوة بنو يلومي، و مديونة و مواطنهم بواد ملوية و الذين تولوا الملك فرعان ينتسبان إلى وزير قبيلة بن عبد الحق، وبنو وطاس بن فحوس بن برماط بن مرين، أنظر العبر مج 13، ص 343.

قرب قلعة تامزدكت[1] و الاستيلاء على جميع ما كان مع الخليفة الموحدي أبي الحسن السعيد من أموال وذخائر نفسية ومن جملة هذه الذخائر المصحف العثماني والعقد اليتيم المعروف "بالثعبان" و كان لهذا الانتصار صدى عظيم في جميع أقطار المغرب الأمر الذي دفع بالمرنيين و الحفصين إلى الإسراع لاحتلال تلمسان وبالتالي القضاء على الدولة الزيانية، فانتهز لهذا الصدى بنو مرين الذين كانوا قد استولوا على جميع ما كان للموحدين بالمغرب الأقصى فأسرع سلطانهم الأمير أبو بكر ابن عبد الحق المريني إلى تلمسان لمحاربة السلطان يغمراسن و كسر شوكته قبل أن يعظم شأنه فالتقى الجمعان بنهر إسلي[2] قرب مدينة وجـدة عام 646هـ/ 1248م فانكسر في هذه المرة جيش بن عبد الواد وولي الأدبار [3]بعد مقتل ابنه يغمراسن أبو عنان[4] و كان مع يعقوب شاعره الملزوزي فرفع إليه قصيدة منها هذه الأبيات :

هنيئا لكم نصر مبين على العدا ❖ وصول سعـود شأنـها متداوم

أمير "تلمسان" أبدت جيوشـه ❖ و ما هو مظلـوم و لا أنت ظالم

---

(1) تقع في الحد بين قفر أنجاد وبلاد المغرب الأوسط، شيد قديما على صخرة وكان ملوك تلمسان يجعلونه في حالة تأهب دفاعي لحراسة أماكن للمرور لجند ملك فاس، و يسيل في سفحه نهر تافنة انظر الوزان المصدر السابق، ص 11 -12.

(2) قصر قديم شيده الأفارقة في سهل يحاذي قفر أنجاد و تحيط به بعض الأراضي التي يزرع فيها الشعر و الدخان و كان في القديم كثير السكان محاطا بأسوار متينة دمرت أثناء الحروب ، ثم سكنه رجال يعيشون على طريقة الزهاد المنقطعين ويتمتعون باحترام كبير من ملوك تلمسان و من الأعراب أيضا، و هم يقدمون الطعام و الشراب مجانا و لا يشتمل القصر إلا على أكواخ سيئة ذات جدران من الطين وسقوف من القش ويمر به جدول ما يسقي المزروعات. انظر الوزان المصدر السابق ، ص 12.

(3) باقة السوسان، المرجع السابق ص 80؛ انظر أيضا الطمار، المرجع السابق ص 86.

(4) مؤنس (حسين) تاريخ المغرب و حضارته المجلد الثاني، ط1 دار العصر لبنان 1992، ص 129.

فديتك يا يغمور هل لك زاجر ❖ أيقضان حس أنت أم أنت نائم ؟
أ في كل عام تترك ابنك للقنى ❖ وتسبى لك الغيد الحسان الكرائم
أتيت لأخذ الثأر ويحك منهـــم ❖ وقلت عســـى الأيام يوما تسالم
فخلفت أيضا للصوارم فارســـا ❖ وليدك لن تشفق عليه الضراغـــم
فها أنـــت كالعير الذي يبتغـــي ❖ بحرمانـــه قرنا فمـــر يزاحـــم[1]

و قد أحصى المؤرخون أفخاذ العرب الذين انضمت جماعات منهم إلى حسين يعقوب بن عبد الحق:

- قبائل جشم أهل تامسنا، وهم سفيان و الخلط و العاصم وبنو جابر و من معهم من الأثبج.
- قبائل ذوي حسان و الشبانات من المعقل أهل السوس الأقصى.
- قبائل رياح أهل أزغار وبلاد الهبط.[2]

و لقد طال حصار يعقوب بن عبد الحق لتمسان دون أن ينال منها منالا، فقرر رفع الحصار و العودة إلى سلطنته 670هـ/ 1272م و هكذا نجت تلمسان من القبضة المرينية، و أتيحت لسلطانها يغمراسن بن زيان الفرصة لأن يعاودا نشاطه

(1) الطمار، المرجع السابق، ص 86.
(2) مؤنس، المرجع السابق ،ص 129.

ويلم شعت إمارته [1] ، و أمن ناحية جاره القوي يعقوب بن عبد الحق الذي شغل بعد ذلك بأمر سبتة و طنجة ثم أمر الجهاد في الأندلس.[2]

الحصار المريني الثاني لتلمسان:

مرض **يعقوب بن عبد الحق** وكانت وفاته سنة 1286م[3]، 687هـ ليخلفه ابنه **أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق**، فحدث أن ابنا له يسمى أبا عامر كان قد ولاه مراكش فثار بأبيه، وظاهره في ذلك وزير له يسمى **ابن عطوا**، فسار إليه أبوه وهزمه، فانتهب الأمير و وزيره مال مراكش و فرا إلى تلمسان 688 /1269 فما كان من **أبي سعيد عثمان**،[4] الذي خلف أبا المتوفى 681هـ، إلا أن أكرمهما و أجار أبا عامر على أبيه ثم عفا السلطان أبو يعقوب يوسف المريني عن ابنه و أعاده إلى فاس[5]، ثم طلب أبو يعقوب أن يمكن من ابن عاطوا فأبى عليه الملك أبو سعيد[6] فعزم على غزو تلمسان وسار إليها في جنوده حتى هزها فتحصن أبو سعيد عثمان بأسوارها فحاصره أبو يعقوب يوسف و نصب عليها المجانيق ثم سار يعيث في نواحيها مخربا القرى و محطما الزرع و لقد أدار على تلمسان سورين بينهما فيصل، وشدد في الحصار حتى لم يخطر إليها الطير لا بل الطيف، وابتنى مدينة كاملة إلى جوارها و أقام على الحصار مائة شهر و عندما

---

(1) ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة ،ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة 2001. ص 24.

(2) ابن خلدون العبر مج 13 ص 406.

(3) الطمار، المرجع السابق، ص 98 انظر مؤنس 131.

(4) بعد وفاة السلطان يغمراسن بن زيان 681هـ بايع بنو عبد الواد ابنه الأمير أبا سعيد عثمان في أوائل ذي الحجة 681هـ/ 1283 واستمر حكمه إلى غاية 703هـ/1303 م. انظر التنسي مصدر سابق، ص 129.

(5) التنسي المصدر السابق، ص 131.

(6) التنسي المصدر السابق 131، مؤنس المرجع السابق، ص 131، باقة السوسان المرجع السابق ص81.

دخلت 702هـ/1302م اختط إلى جانب ذلك السور بمكان فسطاطة وقبابه قصر لسكانه و اتخذ به مسجدا لصلاته و أدار عليهما سورا يحرزهما، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك، فبنوا الدور الواسعة و المنازل الرحيبة و القصور الأنيقة، واتخذوا البساتين، وأجروا المياه و أمر السلطان باتخاذ الحمامات و الفنادق و المارستان، وابتنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير، شيد له منارا رفيقا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب سير عليها سبعمائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله، فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها، ونفقت أسواقها ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الأفاق وسماها "المنصورة"[1] أو تلمسان الجديدة ،و كانت تلمسان أثناء ذلك تذوق الأمرين الخوف و الجوع كما أن جنود بني مرين احتلوا في ذلك ندرومة، و هنين و وهران و جميع ما كان بيد بني عبد الواد بالمغرب الأوسط وبلاد بني توجين وبلاد مغراوة ولم يستسلم السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن حتى الموت[(2)]، وقد خلفه ابنه محمد بن عثمان و اجتمعوا عليه وبايعوه ودام حكمه أربع سنوات 703هـ 1303م إلى سنة 707هـ 1308م[(3)] و قد دافع عن عاصمته تلمسان بكل بسالة، وكان لموت أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني أثناء الحصار عام 706هـ (1307م) وكان موته إنقاذا لبني زيان من الهلاك المحقق وقد دام الحصار ثمانية أعوام و أربعة أشهر وبضعة أيام ولقد كان لهذا الحصار آثار وخيمة على أهل تلمسان حيث أنه ماتت من الخلق ما يربو على

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون العبر 256-257، التنسي المصدر السابق ص 129.

(2) قال عبد الرحمن بن خلدون "العبر" ج7، 90-97:« أخبرني شيخنا العلامة محمد ابن إبراهيم الآبلي وكان في صباه قهرمان دراهم (أي بني زيان) قال :« هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس و كان قد أعد لشربه لبنا، فلما أخذ منه الديماس و عطش دعا بالقدح شرب اللبن ونام، فلم يكن لأوشك أن فاضت نفسه، و كنا نرى معشر الصنائع أنه داق فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم إياهم ».

(3) انظر التنسي المصدر السابق، ص 131.

مائة ألف نسمة وتدهورت الحياة الاقتصادية فيقال أن صاع القمح بيع بتلمسان بدينارين وربع [1] وحتى أنهم اضطروا إلى أكل القطط و الفئران و الجيف.[2]

وكان لهذه الوضعية وقع في نفوس الشعراء كالشاعر أبي عبد الله محمد بن خميس[3] فقد أشار في همزيته ما حل بتلمسان من هلاك ولاتكاد تنقضي ليلة إلى وهو مشدد إليها مشتاق إلى رؤيتها يقول:

سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء ❖ فعند صباهـا من تلمسان أنبـاء
وفي خفقـان البرق منهـا إشارة ❖ إليك بما تنمـي إليهـا و إيماء
تمـر الليـالي ليلـة بعـد ليلـة ❖ و للأذن إصغـاء و للعين إكلاء
وإني لأصبو للصبا كلما سرت ❖ وللنجم مهما كان للنجم إصباء
و أهـدي إليها كل يـوم تحيـة ❖ وفي رد إهـداء التحيـة إهداء

إلى أن يقـول:

و إني لمشتـاق إليهـا و منبـئ ❖ ببعض اشتياقي لو تمكن إنبـاء
و كم قائـل تغنى غرامـا بحبهـا ❖ وقد أخلقت منها ملاء و إملاء

(1) التنسي، المصدر السابق، ص 134، انظر باقة السوسان ، ص 83.

(2) يحي بن خلدون: بغية الرواد. المصدر السابق، ص 87،86 ، انظر ابن خلدون مج 7 المصدر السابق ص 93.

(3) هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري الحجري الرعيني التلمساني :

و إن انتسبت فإنني من دوحة		تقتيل الأقيال برد ظلالا
من حمير من ذي رعين من دري		حجر من الغطاء من أقيالها

انظر الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (لسان الدين) تحقيق محمد عبد الله عنان ط1 القاهرة، 1974م، ص 556.

ثم انتقل إلى الحديث عن حالتها وهي تحت الحصار الذي ضربه عليها السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني و الذي دام أكثر من ثماني سنوات[1]فيذكر أنه قد عبث فيها فسادا وعم أرجاؤها الدمار و الخراب و شرد أهلها وسلبت أحوالهم يقـــــول:

لعشـــرة أعـــوام عليهـــا تجرمت ❖ إذا ما مضى قيظ بها جاء إهراء

يطنب فيهـــا عابثـــون و خـــرب ❖ ويرحـــل عنها قاطنون وأحيـــاء

كـــأن رمـــاح الناهبيـــن لملكهـــا ❖ قداح و أمـــوال المنازل أبـــداء

فلا تبغيـــن فيهـــا مناخـــا لراكب ❖ فقد قلصت منها ضلال وأفياء[2]

لم تسلم تلمسان من الخطر المريني فحوصرت مرة أخرى من قبل السلطان أبو الحسن المريني[3] ودام هذا الحصار سنتين استولى عليها سنة 1337[4] وإعادة بناء مدينة المنصورة التي خربها الزيانيون[5] بعد فك حصار 706هـ، وتأسيسه لمدينة ملكوية غربي مدينة تلمسان.

لقد اقتحم الجيش المريني العاصمة الزيانية، وملكها عنوة و ألحق الهزيمة بالزيانين وكان ذلك أول انتصار هام حققه بنو مرين في المغرب الأوسط، عظم به نفوذ أبي الحسن المريني و ظهر بمظهر الملك القوي[6]، و أصبحت مدينة المنصورة مركز

(1) فرحات الشريف خوالد أبو عبد الله ، ابن خميس التلمساني (650- 708هـ) حياته و أدبه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1993، ص 95-96.

(2) الخطيب، المصدر السابق ص 539

(3) التنسي المصدر السابق، ص 149.

(4) عطاء الله دهينة و آخرون، الجزائر في التاريخ، م.و.ك الجزائر 1984، ص 376.

(5) الطمار، المرجع السابق، ص 132.

(6) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني المرجع السابق، ص 21.

الحكم لأبي الحسن المريني وقد بعث الأوربيون سفراءهم إلى أبي الحسن المنتصر واتصل بتهاني و هدايا ملك قشتالة سلطان مالي الإسلامية،و لقد استغل الزيانيون وعلى رأسهم أبي سعيد و أبي ثابت هزيمة أبي الحسن المريني على مشارف القيروان أبريل 1348م فقد احتاز الأميران وجمعهما إفريقية و المغرب الأوسط حتى وصلوا إلى سكاك في ملتقى وادي الصفصيف بوادي يسر قرب تلمسان، وهناك اعترضت سبيلهم فرقة أرسلها بن جرار[1] لصدهم بقيادة أخيه ولكنها هزمت وتابع الأميران سيرهما، فدخلا تلمسان في 749هـ[2] و أعادا لقبيلتهما ملكها و استرجعا بعض مدن المغرب الأوسط كوهران ثم غزا ناحية شلف 750هـ، مازونة، وتمكن أبو ثابت من هزم الناصر ابن أبي الحسن المريني بتعزيزن[3] ناحية شلف 751هـ.

لقد تمكن أبو ثابت أبعاد الخطر المريني عن المغرب الأوسط و استرجاع نفوذ أجداده فسيطر على برشك[4] ومليانة[5] و المدية[6] و الجزائر[7] وبذلك تمكن بنو زيان من جمع شتات قبائل المغرب الأوسط و تكوين قوة عسكرية و إبعاد الخطر المريني عن قطرهم و أصبحت حدود دولة بني زيان تمتد بين إفريقية و المغرب

---

(1) عثمان بن يحيى بن جرار من شيوخ بني عبد الواد و أولاد تيدوكسن بني طاع الله، نزل بتلمسان بعد اندثار دولة بني عبد الواد سنة 737هـ/1337 وقد أغرق أبا عنان بعد نكبة أبيه في القيروان.

(2) التنسي، ص 154.

(3) التنسي، ص 154.

(4) برشك عند التنسي وبريشك عند الوزان، مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط بعيدة عن مدينة مستغانم بعدة أميال يسكنها أناس خشنون معظمهم يشتغلون بحياكة الأقمشة، ويكثر فيما التين، الكتان و الشعير، و لم يبق لبريشك أثر وقد اندثرت بسبب زلزال عام 1531م انظر الوزان المصدر السابق،ج2، ص 32..

(5) مدينة قديمة بناها الرومان و أطلقوا عليها اسم ماكنانة، تقع في سفح جبل زكار الغربي على بعد نحو أربعين ميلا من البحر، وجبل زكار مليء بالعيون ومكسو بالأشجار الجوز، انظر الوزان مصدر سابق، ص 33.

(6) المدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد نحو ثمانين ميلا من البحر المتوسط وتقع في سهل خصيب جدا، سكانها أثرياء، انظر الوزان المصدر السابق، ص 41.

(7) التنسي. المصدر السابق، ص 153.

الأقصى[1] وسرعان ما تلاشت هذه السيطرة ، بعد انهزام بنو زيان في موقعة أسلي على يد الجيش المريني 11 جمادى الأول 753هـ/ يونيو 1352م [2] وقبض أثر ذلك، على الأمير أبي سعيد ليقتل سنة 1352م[3] على يد أبي عنان المريني الذي أعلن نفسه خليفة لأبيه أبي الحسن 1348-1358م، لتبقى تلمسان تابعة لسلطة بني مرين مدة سبع سنوات أخرى إلى أن تمكن أبو حمو موسى الثاني من انتزاعها من المرينيين عام 760هـ-1359م.[4]

و السلطان أبو حمو موسى الثاني هو بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بني يحي بن يغمراسن بن زيان، ولد بالأندلس في مدينة غرناطة سنة 723هـ، و قد نشأ أبو حمو في تلمسان لينتقل إلى فاس أثناء الاستيلاء المريني على تلمسان سنة 737هـ ليعود إلى تلمسان ويستقر بندرومة، و عاش هناك بعيدا عن كل نشاط سياسي إلى غاية تنقله إلى تونس 753هـ/ 1352م "ونزل بها على الحاجب أبي محمد بن تافرجين فأكرم نزله" وقد أمدت إقامته إلى أوائل 758هـ-1357م، و قد استغل انشغال السلطان المغربي أبي عنان في مهاجمة بلاد إفريقية و راح يشن الغارات على جنوب المغرب الأوسط سجلماسة[5] رفقة أولاد عثمان بن سباع وبن عامر ثم تمكن أبو حمو من اقتحام أسوار تلمسان محققا بذلك آمال قبيلته و إنهاء الاحتلال المريني و إحياء الدولة الزيانية 760هـ[6] وكان على تلمسان آنذاك محمد بن

---

(1) حاجيات المرجع السابق، ص 30.

(2) حاجيات، المرجع السابق، ص 32، انظر عطاء الله دهينه المرجع السابق،ص392.

(3) العبر مج، 7 ص 399، انظر أيضا الزركشي المصدر السابق ص 94.

(4) ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص 34.

(5) مدينة سجلماسة: مدينة كبيرة هي مقصد للوارد و الصادر كثيرة الخضر و الجنات، رائقة البقاع و الجهات ولا حصن عليها و إنما هي قصور وديار متصلة على نهر كثير الماء انظر الإدريسي ص 76، انظر أيضا البكري ص 148.

(6) انظر عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ص 88.

السلطان أبي عنان، يتولى شؤونها بمساعدة مربية سعيد، و الأمير يغمراسن بن عثمان بن سليمان المريني.

وقد شرع أبو حمو في تنظيم شؤون دولته وبسط سلطته على نواحي القطر غير أنه لم يتمكن من استرجاع وهران ومليانة و المدينة و الجزائر التي كانت لا تزال تحت السيطرة المرينية و لم يكن له ذلك إلا في 762هـ حيث فتح وهران عنوة و تدلس 763هـ و لم تدم سيطرة أبي حمو موسى على المغرب الأوسط طويلا إذا سرعان ما تمكن سلطان المغرب السلطان عبد العزيز في 10 محرم 772هـ/ 1370م و الاستيلاء على تلمسان وبقي بها حتى وفاته عام 776هـ-1374 وقد أرغم أبا حمو موسى الاعتصام بالصحراء بتيقورارين (قورارة) مما يتاخم بلاد السودان [1] .

و لقد تمكن أبو حمو بعد وفاة السلطان المريني عبد العزيز 776هـ من الرجوع إلى تلمسان و استرجاع عرش أسلافه و استرداد المناطق الأخرى كالمنطقة الشرقية، مازونة 775هـ وشلف، مليانة، الجزائر، إلى أن ولى عليها الوزير السابقين ابن برغوث و أخذت أحوال الدولة الزيانية السياسية تسير سيرها الطبيعي، بعد أن شمل المغرب الأوسط الهدوء و الاستقرار، و تواصل تنظيم شؤون الدولة، و تحسين العلاقات مع مختلف القبائل إلى أن تأزم الوضع [2] في المغرب الأقصى في سنة 784 هـ، و نهض ضد السلطان أبي العباس المريني ابن عمه عبد الرحمن بن أبي يفلوس بمراكش الذي كان ينافسه على مدينة سجلماسة و مراكش، فتحالف أبو حمو مع

ث

(1) باقة السوسان، المرجع السابق، ص 206، أنظر أيضا عبد الحميد حاجيات ،ص 129.

(2) انظر عبد الحميد حاجيات المرجع السابق، ص 137.

هذا الأخير، وظاهره على خصمه مما أثار حفيظة أبي العباس على أبي حمو و أدى هجومه على تلمسان[1] .

- الصراع المريني الزياني على مدينة تلمسان في عهد السلطان أبي العباس المريني.

كان عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بمراكش يعاني من حصار السلطان أبي العباس منذ أشهر ما فاستصرخ بأبي حمو و أرسل إلى ابن عمه أبا العشائر، رفقة يوسف بن علي بن غانم شيخ أولا حسين من المعقل[2] وأجاب أبو حمو صرختها فأرسل معه ابنه أبا تاشفين و توجهوا إلى ناحية مكناسة[3] لشن الغارة عليها، بينما أغار أبو حمو على ناحية تازا قصد شغل أبي العباس المريني و حمله على رفع الحصار عن مراكش و الإفراج عليها إلا أن السلطان المريني اقتحم مراكش في تلك الأثناء، و استولى عليها و قضى على منافسيه أواسط سنة 785هـ، فما كان من أبي تاشفين و أبي العشائر و يوسف بن علي بن غائم إلى الرجوع كما عاد إليها أبو حمو بعد أن هدم قصر تازروت و مسجدها قرب تازا، وخرب قصر مرادة الذي كان بناه ونزمار بن عريف السويدي[4] في ناحية بطوية من أحواز تازا وقد أدى

---

(1) عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ص 416 انظر عبد الحميد حاجيات، ص 140.

(2) المغفل من العرب النازحين إلى المغرب في القرن الخامس هـ/ 11م برفقة بني هلال وبني سليم و قال عنهم ابن خلدون في العبر، ج6 ص 118- 119 و هذا القيل لهذا العهد بن أوفر قبائل تلمسان، وينتهون إلى البحر الأقصى من جانب الغرب. انظر التنسي المصدر السابق، ص 268.

(3) مدينة هي مسماة بـ أقرارت و مكناسة باسم مكناس البربري لما نزلها مع بنيه عند ملوكهم بالمغرب وبين مكناسة وفاس أربعون ميلا في جهة الغرب. انظر الإدريسي ص 96.

(4) من شيوخ قبيلة سويد بقي على طاعة السلطان أبي الحسن المريني قال ابن خلدون (العبر)، ج 6، ص 99، "عقد السلطان أبو الحسن لونزمار بن عريف على سويد وسائر بني مالك وجعل له رئاسة البدو حيث كانوا من أعماله". انظر التنسي، ص152.

هذا العمل من قبل أبي حمو وما صاحبه من تخريب إلى تأزم الوضع بينه وبين أبي العباس المريني من جهة و إلى استياء سويد الشديد وغضبه من جهة أخرى، فما عاد السلطان المريني إلى عاصمته بعدما تمكن من القضاء على الفوضى التي كانت بالجنوب حتى أخذ يعد العدة للنهوض إلى تلمسان، انتقاما لموقف أبي حموالعدائي[1] وعندما اطلع أبو حمو على ما كان يدبره أبو العباس من استعدادات للزحف، استنجد بابن الأحمر، و كان لهذا الأخير نفوذ كبير على الدولة المرينية، فقد نصح أبا العباس على مهادنه و مسالمة أبي حمو غير أن السلطان المريني لم يتأخر عن تنفيذ خطته فهاجم المملكة الزيانية، و استولى على تلمسان، بعد أن غادرها أبو حمو متوجها إلى البطحاء[2] ثم إلى حصن تاجحمومت في أراضي بني سعيد وكان رد فعل ابن الأحمر أن أنهض منافس للسلطان أبي العباس أبي عنان، وبعث مع قوة عسكرية نزل بها سبتة [3] في غرة الربيع الأول 786هـ، ثم توجهوا صوب فاس فحاصروها، ثم استولوا عليها في 19 ربيع الأول.

(1) دهينة، المرجع السابق، ص 417 أنظر عبد الحميد حاجيات المرجع السابق، ص 142-143.

(2) كانت البطحاء قائمة عام 1119م/513هـ عندما نزل بها محمد بن تومرت في طريق عودته من المشرق ويجهل الآن موقعها، لكن أغلب الظن أن البطحاء كانت تقع على الطريق الكبرى المؤدية من تلمسان إلى عاصمة الجزائر على الضفة اليسرى لوادي مني قرب أغيل إزان (ربوة الذئاب) أنظر الوزان، ص 27-28.

(3) سبتة مرفأ واقع على مضيق جبل طارق و هو يطل على البحر المتوسط وقد لعبت المدينة دورا هاما في تاريخ المغرب الأندلس، و هي على ضفة البحر الرومي و هو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط وهي في طرف من الأرض داخل من الغرب إلى الشرق ضيق حد و البحر محيط بها شرقا وشمالا و قبلة ولو شاء ساكنوها أن يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة، و هي مدينة كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله...انظر البكري ص 103، أنظر أيضا إسماعيل العربي المدن المغربية، الجزائر 1984 ص. انظر أيضا التنسي المصدر السابق ص 286.

ولما بلغ الخبر إلى السلطان أبي العباس بتلمسان غادرها فورا وقبل الخروج منها أمر بإيعاز من ونزمار بن عريف السويدي، بهدم قصور بني زيان بتلمسان وقسم هام من أسوارها، انتقاما من تخريب أبي حمو لقصر تازروت وقصر مرادة، لقد كان لتخريب هذين القصرين أثر في العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية و المرينية واحتلال عبد العزيز المريني على المغرب الأوسط مدة سنتين وتصدع العلاقات التي كانت ما بين أبي حمو وقبيلة سويد و نصرته لقبيلة بني عامر المعادية لقبيلة سويد وكانت النتيجة الحتمية لموقف أبي حمو المعادي لسويد أن فقد تأييدها مما جعل نفوذه يضعف بشكل ملحوظ كانت منذ تغلبها على بنى عامر سنة 777هـ، تشكل قوة سياسية عظمى، لا يستقيم أمر السلطان إلا بإرضائها و استمالتها، ولا يسود الاستقرار السياسي في البلاد إلا بتأييدها و الحصول على طاعتها.

ولقد أصبحت المملكة الزيانية تعيش في جوّ تسوده الفوضى، وتقلص نفوذها، وظهر الانقسام من القوة السياسية في الدولة بين الإخوة الأعداء مما أثر سلبا على الحياة السياسية للدولة الزيانية.

الفصل الثاني

السودان الغربي سياسيا

تمهيـــــد

أولا: غانـــة

ثانيـا: مالي .

ثالثـا: سنغاي .

تمهيـــــــــد:

إن العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى فسمو بلادهم ببلاد السودان التي يحدها من الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى و جنوبا درجة 10° شمالي خط الاستواء و المحيط الأطلسي من الغرب وينقسم السودان إلى ثلاثة أقسام : السودان الشرقي و الأوسط و الغربي وهذا الأخير يطلق عليه اسم إفريقيا الغربية التي تقع إلى الجنوب من إفريقيا العربية يحدها شرقا بحرية تشاد وغربا المحيط الأطلسي و جنوبا خليج غينيا ، وقد قامت بإفريقيا الغربية عدة ممالك خدمت التقدم و أوجدت العلم و الثقافة وأخرجت سكان هذا الإقليم من طور البداوة التي ظلت مسيطرة على غيرهم من المناطق الإفريقية ومن أهم هذه الممالك :

أولا: غانـــــة .

كلمة غانة تعني باللغة المحلية الساراكولة القيادة العسكرية – تم تحول الاسم إلى العاصمة مركز القيادة ثم أطلق على المملكة وغانة[1] بمعنى مدينة ذكرها عدد كبير من المؤرخين والرحالة الذين كان لديهم بعض الإلمام ببلاد الزنوج منهم ابن حوقل الذي قال أنها " أيسر من على وجه الأرض " [2] ويذكر أن أسرة سوداء أسست غانة من قبائل " السونكي " بقيادة " قيمغ" [3] الذي كان حاكما لقبائل السونكي في " وغدو" وقد أثبت أنه قائد واسع الحيلة ، ولم

(1) بفتح العين المعجمة بعدها آلف ، ثم نون مفتوحة في الأخر وهي ليست بدولة غانة الحالية ، ذلك أن غانة القديمة كانت تقع في أرضي جمهورية مالي الحالية بالقرب من الحدود مع موريتانيا .

(2) نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام – كوناكري 1960 ص 28.

(3) ابن حوقل : صورة الأرض دار مكتبة الحياة بيروت 1979 ، ص 98.

تعترضه أية صعوبة في غزو غانة ، فاليعقوبي [1] يقول في كتابه أن ملك غانة ملك عظيم وان بلاده غنية بمناجم الذهب و يخضع له عدد كبير من الممالك .

ويتفق أغلبية المؤرخين على أن مملكة غانة بلاد زنجية كابن حوقل و البيروني * والبكري الذي قال عن غانة " وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار و إسم ملوكهم اليوم وهي سنة ستين وأربع ماية تنكامنين ... وغانة مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجمعون فيه ولها الايمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها آبار عذبة منها يشربون و عليها يعتملون الخضروات ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينهما متصلة و مبانيهم بالحجارة و خشب السنط وللملك قصر وقباب وقد أحاط بذلك كله حايط الكسور وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرهم وهم الذين يقيمون دينهم وفيها قبور ملوكهم ولتلك الغابات حرس ولا يمكن لأحد دخولها و لا معرفة ما فيها وهناك سجون الملك فإذا سجن أحد انقطع عن الناس خبره..." [2] .

وغانة بمعنى بلد كبير (إمبراطورية) وردت بتلك الصفة عند عدد من المؤلفين منهم الإدريسي الذي ذكرها وقال أنها " تتصل من غربيها ببلاد مقرازة ومن

---

(1) قيمغ هو الذي بدأ السلطنة ودار إمارة غانة و تعني هذه الكلمة ملك الذهب .

* البيروني : هو أبو الريحان محمد ابن أحمد الخوارزمي البيروني 973 /1048 مؤلف عربي من أصل فارسي حصل كثير من العلوم فكان مؤرخا و لغويا و أديبا وعالما بالرياضيات و الفيزياء و الفلك و الطب و الفلسفة والتصوف وله في ذلك مؤلفات كثيرة قيمة تتميز بالإحاطة الشاملة منها الآثار الباقية عن القرون الخالية .

(2) البكري ، المصدر السابق ، ص 174 – 175.

شرقيها ببلاد ونقارة ، وشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان و أرض البربر، وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية وغيرها " [1].

لقد كانت تضم غانة مجالا جغرافيا واسعا يشمل غرب مالي وغينيا العليا وجنوب شرق موريتانيا وبعض شرق السنغال ، وشمال معادن الذهب في بامبوك وقاليمي وهذه الحدود بلغتها أيام عزها وقوتها [2] وفي أيام ضعفها بقيت نفس الحدود ولكن الولايات أصبحت اكثر استقلالا بحيث التبعية أصبحت اسمية أكثر منها عملية .

*** مملكة غانا سياسيا:**

يحيلنا وصف البكري لعاصمة مملكة غانة على وضعية سياسية مركزية ، حيث يباشر الملك سلطته انطلاقا من العاصمة غانة [3] **"أكور"** ثم نقلت إلى **"كومبي صالح"** [4] * ويساعده في مهامه عدد من الوزراء و الموظفين جلهم من المسلمين ، وكان الملك يحكم البلاد من خلال ولاة ينوبون عنه في تسيير شؤون الجهات والأقاليم .

(1) الادريسي : وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق نشر هنري بريس ، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية الجزائر 1957 ، ص 8.

(2) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى شواطئها ، م. و . ك الجزائر 1983 ص 283.

(3) أحمد شكري : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230 – 1430 أبو ظبي 1999 ، ص 114.

(4) يحيى بوعزيز : تاريخ إفريقيا الشمالية من مطلع 160 إلى مطلع ق 20 ، هما للطباعة و النشر الجزائر 1996 ، ص 22.

* كومبي صالح كانت واسعة الأرجاء أنيقة المباني بها أسواق عديدة تزينها أشجار النخيل و الحناء ، وكانت تعد من أنشط المراكز التجارية بالمملكة بالإضافة إلى بعض المدن المجاورة كمدينة أودغشت التي كانت ملتقى القوافل التجارية . وتبعد مدينة كومبي صالح بـ 205 كلم إلى الشمال من مدينة باماكو الحالية .

ما من نظام يشاهد بين قبائل إفريقيا السوداء سواء أكان اجتماعيا أم سياسيا أم اقتصاديا ألا وهو يتركز على فكرة دينية ، والوثنية في جميع أنحاء إفريقيا تتلقى عند أساس واحد هو شدة الشعور بالروابط الوثيقة التي تربط المجتمع بالبيئة الطبيعية وبالأجداد القدماء و تمتزج الطبيعة وما وراءها عندهم . فالميت يعود على شكل ثعبان له أثر في خصب الأرض وفي جلب الرزق [1] .

وكان الغانيون يقدسون الحية و ويقدمون إليها كل عام إحدى الفتيات قربانا . ويذكر البكري ببعض ما شهده في تلك البلاد فيذكر الأسطورة الشائعة التي تتحدث عن شاب حاول إنقاذ خطيبته من هذا المصير المؤسف فحلت بمدينة غانة من جراء ذلك المصائب ولحق بها الخراب ويذكر البكري أيضا أن الأفاعي كانت تحتفل بتتويج الملك الجديد بخروجها من أوكارها. [2]

وكان ينظر إلى الملك على أنه ممثل الإله لأنه زعيم عظيم لأقوى القبائل وتشترط فيه القوة التي هي عنصر مقدس بل أن زعيم القبيلة يتدحرج على الأرض المحروثة ليجلب لها الخصب . [3] كانت توجد بغانة معابد عبارة عن أبنية بسيطة مربعة ذات أبراج أسطوانية مزينة بالصور.

إن بداية الإسلام في مملكة غانة ارتبط بالمدن في حين ظلت الأرياف بعيدة عن التأثير الإسلامي وهذه الظاهرة كانت عامة في بلاد السودان ولا تخص مملكة غانة وحدها [4] ونقصد بالتأثير الديني الذي هو الأثر الذي تركه الإسلام في غانة

---

(1) نعيم قداح : إفريقيا الغربية ، المرجع السابق ص 34.

(2) نفس المرجع ، ص 34.

(3) نفس المرجع ، ص 35.

(4) أحمد شكري ، المرجع السابق ، ص 115.

غانة خاصة و الدول الإفريقية عامة * كان التغلغل الإسلامي في غانة في أكثر أحواله سلميا. وقد بدأ حين قدم التجار المسلمون إلى كومبي صالح فبنوا لسكانهم مدينة خاصة على الطراز المعماري في المغرب فلم يلبث الملك والأشراف أن استقدموا المهندسين المعماريين العرب ليقوموا ببناء القصور والمساجد وإنشاء المدارس القرآنية وقد أقبل المؤمنون الإفريقيون على هذه المدارس بشغف كبير ، مما جعل اللغة العربية لغة الثقافة الوحيدة في البلاد بالإضافة إلى أنها اللغة التجارية المستعملة في التبادل التجاري [1] . وقد شارك المسلمون العرب الأفارقة في إدارة البلاد بخبراتهم الواسعة فمثلا كان وزير الخزانة من المسلمين الأمر الذي سمح لهم من تنظيم أمور المالية لخبرتهم بها وللثقة الكبيرة التي كان الملك الوثني يشعر بها نحوهم. ولما أسلم الملوك أخذوا بالتقاليد الإسلامية التي فرضت على الحاكم أن يتجول في شوارع المدينة ليشرف بنفسه على سير الأمور في مملكته .

وكان من تأثير الإسلام في مملكة غانة أن أوقف التناحر القبلي بين القبائل ، وقد أطل الإفريقيون بواسطة الحضارة الإسلامية على عالم الثقافة و النور فلم تلبث القبائل التي اتخذت الإسلام دينا أن حملت لواء نشره في أوساط القبائل الإفريقية الأخرى ، فنشر الإسلام في أودية النيجر و السنغال وهناك ظهرت مملكة كان الإسلام عنصرا أساسيا وهاما في تكوينها ألا وهي مملكة مالي .

* دور المرابطين في سقوط غانة :

* انظر الفصل الأول من الباب الثالث من هذه الدراسة .

[1] نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 41.

لقد عملت القبائل الصحراوية على الإطاحة بالإمبراطورية الزنجية وبالممالك المستقرة في شمال إفريقيا وهذه القبائل عرفت عند ابن خلدون بالملثمين " هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها فترحوا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا منها بألبان الأنعام و لحومها انتباذا عن العمران و استئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر فترلوا من ريف الحبشة جوارا وصاروا ما بين البربر و بلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما يتميزوا بشعاره ما بين الأمم وعفوا في تلك البلاد وكثروا و تعددت قبائلهم من " كذالة فلمتونة فمسوفة فوتريكة و كافزغاوة ثم لمطة اخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة، و للمتونة فيهم بطون كثيرة منهم بنوزمال وبنورتنطق وبنوصولان وبنوناسجة وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كأكرم ،وكان دينهم جميعا المجوسية شأهم برابرة المغرب " [1].

في القرن التاسع نجحت قبيلة صنهاجة في فرض سيطرهّا على غرب الصحراء الكبرى وكان تعاظم قوهّا يعني أنها سرعان ما ستدخل في نزاع مع مملكة غانة خاصة بعدما فقدت هذه الأخيرة مقاطعاها النائية في الشمال لاسيما بعدما تمكن حاكم صنهاجة من عرقلة تجارها وهو ما يعد ضربة عنيفة لهذه التجارة التي كان البربر متحكمين في مسالكها ومن ثم قيادة جيش كبير للقضاء على غانة للسيطرة على مقاطعاها وقد وصل تعداده ثلاثون ألف بزعامة عبد الله بن ياسين تحرك به نحو الشمال و سيطر على سجلماسة المركز العظيم لتجارة الصحراء ثم

---

[1] ابن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر مج 6 ص 181.

اتجه جنوبا وقرر فتح المركز التجاري العظيم الآخر في قلب الصحراء أودغست[1] وتم له ذلك عام 1054 م [2] وبدأت تسقط المقاطعات الغانية الأخرى تباعا حتى سنة 1076 م أين سقطت مملكة غانة نهائيا في أيدي المرابطين فالتجارة التي قام عليها رخاؤها دمرت ، و المركزان التجاريان أدوغست وسجلماسة كانا في أيدي المرابطين الذين مزقوا الإمبراطورية إلى جزأين الشمالي منها سقط في أيدي المرابطين وفي الجنوب ظلت الأسرة الوثنية القديمة تحتفظ بالسلطة [3] فغانة الإمبراطورية استمرت موجودة بعد المرابطين . وهي لم تنته بسبب فتحهم إياها، بل بسبب عدم قدرتها على توحيد الإمبراطورية ثقافيا وسياسيا واجتماعيا وهو ما انعكس على وحدتها الإقليمية التي عرفت عدة اختراقات سياسية و ثقافية ارتدت على إثرها بعض القبائل عن الإسلام ، كقبائل السرير و الولوف وبعض السراكولى وبنبرا ... ، مدة قبل أن تغير عليها قبائل الصوصو السوننكية [4] .

ثانيا: مالـــــــي.

---

[1] أودغست : واحة تغداواست الحالية في تاغنت وكانت أهم محطات القوافل في هذه المنطقة ويسميها اليعقوبي "غسط" وأودغست مدينة بين جبلين جنوب سجلماسة بها أسواق جليلة وهي مصر من أمصار جليل وأهلها مسلمون يقرءون القران ويتفقهون ولهم مساجد وجماعات أسلموا على يد المهدي عبيد الله.

[2] الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية ط 2 ، 1999 ، ص 19.

[3] ك . مادهو بانيكار تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، تر/ أحمد فؤاد بلبع ، ط 2 لندن 1998 ، ص 86.

[4] سعيد حراش : العلاقات الفكرية بين العامل العربي الإسلامي و غرب إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين 16-17 من الرحلة إلى الهوية و الكتابة رسالة جامعية لنيل شهادة الدراسات العليا جامعة محمد الخامس 1993 ، ص 44.

تمتد مالي على طول وادي النيجر الأعلى في مسافة لا تقل عن ثلاثمائة فرسخ، يحدها عن الغرب الأطلسي ومن الشرق بلاد البرنو وشمالا الصحراء الكبرى وجنوبا الغابات الاستوائية ، وقد اشتملت على خمسة أقاليم كل منها مملكة مستقلة، ثم اجتمعت كلها تحت ملك صاحب مالي :

وأول من ذكر مالي هو الرحالة البكري حيث يتحدث عن بلد ملل [1] أي أهل مالي وعرفت عند الإدريسي بلملم [2] وهم كفار مهملون يأكلون الناس ويبدأ ابن خلدون حديثه فيقول عنها: وكانت تجاورهم أي غانة من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم النقالون تعرف بصوصو ... ثم أمة تعرف بمالي ثم بعدها أمة تعرف بكوكو ... [3] .

يقترن ذكر مالي بغانة حيث إنها كانت من مقاطعاتها ، وكان سلطانها تابعا لها[4] وبعد ضعف هذه الأخيرة على أثر الهجمات المرابطية ، أصبحت أقوام أخرى تسيطر على المنطقة وهي أقوام الصوصو الذين سيطروا على جل منطقة السودان الغربي .

* **تأسيس المملكة** : تطلق الدراسات التاريخية على القبائل التي أسست إمبراطورية مالي اسم الماندينغ* أو المانديغو ومن بين هذه الدراسات دراسة الرحالة الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي الذي عرف بليون الإفريقي

---

(1) البكري ، ص 178.

(2) الإدريسي ، وصف إفريقيا الشمالية و الصحراوية ، المصدر السابق ، ص 4

(3) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 412.

(4) أحمد شكري ، المرجع السابق ، ص 166 انظر أيضا عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص 45.

* انظر الملحق رقم -02-

(1483- 1526) [1] وكان شعب الماندينغ من بين أوائل الشعوب في غرب إفريقيا التي اعتنت الإسلام ، وكان في البداية يدين بالولاء لمملكة غانة، وعندما انهارت غانة أمام هجمات الصوصو الوثنيين ، تصدى شعب الماندينغ لهذه الهجمات و تمكن من الانتصار عليها بقيادة الزعيم سونديانا كيتا Soundiata kaïta في معركة " كيرينا" Kierina عام 1235 م [2] * الذي يرجع له الفضل في تأسيس مملكة مالي الكبرى وحدد الركائز الأولى لدولته[3] .

ولقد اختلفت المصادر في اسم هذا الزعيم فيذكره ابن خلدون على شكل ماري جاطة ، ماري بمعنى الأمير وجاطة بمعنى الأسد ، ولقد حيكت حول هذه الشخصية الخرافات و الروايات ، فالرواية تقول إن " سونديانا" كان وحيد أمه، وكان يعاني من عاهة في رجله ، والى حدود السن السابعة لم يكن يستطيع استعمالها بشكل جيد، لكن بواسطة العصا السحرية الملكية يستعيد سونديانا قوته، و يظهر ولعا وقدرة كبيرة على الصيد و المبارزة . يطرد سونديانا من مالي على يد أحد اخوته الكبار ، الذي كان يجلس على عرش الإمارة ، وبعد رحلة شاقة يستقر مع أمه وأحد اخوته عند صاحب مملكة " ميما" حيث توجد بها

---

(1) ليصون الإفريقي 1483-1526 هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي جغرافي ومؤرخ ورحالة زار إفريقيا الغربية وقد أسره القراصنة في إحدى رحلاته في البحر المتوسط عام 1517 وقادوه إلى روما حيث أكره على اعتناق المسيحية و يسمى بليون الإفريقي ، وقد عمل في روما معلما للعربية له كتاب وصف إفر يقيا .

(2) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد ط1 الدار البيضاء 1988 ، ص 60.

* توجد كرينا بين مدينة باماكو و كانكيا في جمهورية مالي الحالية .

(3) العبر ، مج 6، ص 413.

بقايا أسرة السونينكي الذين حكموا - في السالف- مملكة غانة التي استضافت هذه الأسرة وتساعدها على الرجوع إلى مالي لتحكم مالي أكثر من عشرين سنة وعرف عهد ماريجاتا عهدا مشرقا إذ شهد تطورا ملحوظا في كافة نشاطات مملكة مالي الإسلامية . وقد نظم مملكته على النحو التالي :

1- أعاد بناء عاصمة جديدة للبلاد وهي " نياني " Niani على شاطئ نهر السانكار في شمال شرق غينيا .

2- قسم مملكته إلى مقاطعات ولى عليها أقرباءه .

3- شجع زراعة القطن و اهتم بالصناعة وكلف بها الأسرى الذين وقعوا في يديه أثناء الحروب .

4- اتبع سياسة الصداقة بين مختلف قبائل مملكته بأن تزوج عددا من نسائها كما جعل في بلاطه عددا من الشعراء يمثلون مختلف القبائل .

5- شجع التجارة ولاسيما تجارة الذهب [1] .

وقد خلفه على العرش ابنه البكر " **منسا أولين**" أي الملك الأحمر لأنه كان نحاسي البشرة (1255-1270 م) ويعد من أعظم ملوك مالي . وحج أيام الظاهر بيبرس[2] وزار القاهرة ثم قام ببعض الفتوحات في السنغال [3] و خلفه أخوه منساواتي ouati ثم خليفة ثم أبو بكر ابن أخ ماري جاطة (سونديات) وفي عام 1285 اغتصب الحكم أحد القواد من عبيد العائلة المالكة و اسمه سكورة

(1) نعم قداح ، إفريقيا ، المرجع السابق ، ص 50.

(2) خالد شكراوي : الدين و السلفة في إفريقيا الغربية رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا جامعة محمد الخامس كلية الآداب و العلوم الإنسانية 1990-1991 ، ص 27.

(3) نعيم قداح إفريقيا ، المرجع السابق ، ص 51.

Sakoura 1285 – 1300 ومن أعماله قام بتوسيع المملكة حيث عزا " قاو Gao" وصل إلى حدود " البرنو" و عرفت التجارة الصحراوية في عهده نموا و ازدهارا كبيرين وقد توفي وهو راجع من الحج في الفترة الواقعة ما بين 1300–1307 تتالى على حكم المملكة عدد من السلاطين **مسنا قو** ثم ابنه **محمد بن قو** وبذلك ينتهي حكم الفرع الأول من أسرة ماري جالطة لينتقل العرش إلى ولد أخيه أبي بكر ويقال أنه توفي عندما ركب المحيط الأطلسي في محاولة لاكتشاف مجاهله [1] اعتلى العرش السلطان منسا موسى أو كما عرف بـــ **"كنكاموسى"** وكانكان والدته ويسميه العرب سلطان التكرور وهو ابن أحد أخوة سوندياتا (ماري جاطة) ولقد شكلت فترة حكمه مع فترة حكم أخيه منسا سليمان مرحلة ثالثة تميزت بالتطور الثقافي و العلمي للمملكة ، مع تمتين العلاقات الخارجية و الدبلوماسية و لقد تحدث المؤرخون عن زيارته للأماكن المقدسة و للقاهرة بإعجاب كبير سنة 1324 في عهد الملك ناصر بن قلاوون [2] وكان برفقه زوجته " ناركنت" وموكب كبير اختلف المؤرخون في عدده و كمية الذهب التي يحملها ، فذهب البعض إلى حد قوله " وخرج بعدما وصل رأس قافلته بتمبكت وهو بداره في مل" كما أورد أن عدد العبيد وصل ما بين ثمانية إلى تسعة آلاف إلى سبعمائة ألف عبد وحمل أربعين بغلة ذهبا [3] وهناك من أورد أن السلطان منسا موسى جمل معه ثمانين حملا من التبر ، وفي كل حمل ثلاثة

---

(1) العمري : مسالك الأبصار ، المصدر السابق ، ص 70.

(2) خالد الشكراوي ، المرجع السابق ، ص 28، انظر أيضا عبد الله حسن محمد وقفات مهمة في التاريخ الإفريقي ، ط1 ، جدة السعودية 1982 ، ص 29-30.

(3) محمود كعت ، انظر أيضا تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس باريس 1981. ص 33-35-36

قناطير [1] . لقد كان لهذا الحج أثر عميق في نفوس المشارقة و المصريين خصـــوصا .

لقد تمكن منسا موسى من الحفاظ على النظام و الأمن حتى وصل بالبلاد إلى درجة عالية من الرقي و التطور ووطد علاقتها بما جاورها من بلاد وبلغ صيتها بلاد الأندلس و أوروبا و المشرق العربي و المغرب الإسلامي و قد أهله تقواه وصلاحه وعطفه على رعيته أن يكسب حبهم و تقديرهم ومن ثم يضمن استقرار حكمه و توطيد دعائمه [2] وقد سمح هذا السلطان بإرسال البعثات الثقافية من بلاده إلى فاس والقاهرة وكان المتعلمون يعودون ليحتلوا مراكز القيادة في بلاده فمنهم الأئمة والقضاة والمعلمون في المدارس والمساجد في تمبوكتو و غاو و جني ونياني التي غذت مراكز إشعاعية ثقافية –كما سنرى لاحقا – أما العلاقات التجارية مع البلدان المغربية المغرب الأوسط خاصة فقد ازدهرت نظرا لكثرة القوافل التجارية من جهة و لسيطرة الأمن في طرق القوافل من جهة أخرى وقد بلغ تعداد القوافل عام 1350 أكثر من عشرة آلاف جمل وكانت البضائع المصدرة من السودان الغربي والقادمة إلى البلدان المغربية تشكل مادة حيوية في اقتصاد مالي الإسلامية [3] *

بعد حكم منسا موسى الذي دام أكثر من خمس و عشرين سنة خلفه ابنه منسا ميغا Mansa Migha الذي لم يبق على رأس الحكم إلا أربع سنوات ليخلفه عمه

---

(1) الهادي مبروك ، المرجع السابق ، ص 32،

(2) عبد الرحمان السعدي ص 7.

(3) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 55.

* انظر الباب الرابع من هذه الدراسة .

منسا سليمان و الذي يمثل أحد أواخر عهود الازدهار التي عرفتها مالي الإسلامية إذ سرعان ما تدخل البلاد في اضطرابات سياسية تمثلت في :

1- الصراع على السلطة ، وظهور عناصر تتوخى الوصول إلى سدة الحكم.

2- تسلط و استبداد الموظفين الكبار من وزراء و مستشارين بالسلطة [1].

أثرت هذه الاضطرابات على العائلة المالكة وسمحت بانتقال الحكم لصالح قوى أخرى في منطقة تمثلت في سنغاي التي ستشكل استمرارية لدولة مالي الإسلامية على المستوى السياسي و الاقتصادي و الثقافي و الديني .

ثالثا: دولة سنغاي .

يعد تاريخ مملكة سنغاي الأكثر وضوحا ضمن تاريخ ممالك السودان الغربي في العصر الوسيط و قد عرفت هذه المملكة من خلال أهم مراكزها الحضارية و الاقتصادية و السياسية كمركز جني و غاو و تومبوكتو ...

تأسست دولة الأسيقيين سنغاي [2] في القرن السابع ميلادي و استمرت تتقوى باستمرار و تتوسع حتى القرن السادس عشر .

[1] شكراوي ، المرجع السابق ، ص 32.

[2] سنغاي نسبة إلى قبيلة كانت تقطن من نهر النيجر إلى حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد الأولى ثم أخذت تتنقل إلى الشمال نحو النيجر ، وفي القرن السابع ميلادي كانت تمتد مساكنها حول نهر النيجر بحوالي 150 كلم ، و كانت تمتهن صيد الأسماك و عرفت بمجموعة الصيادين المرتحلين على طول نهر النيجر وفئة أخرى منها كانت تمتهن الزراعة و عرفت بمجموعة الفلاحين المستقرين على شاطئ النيجر .

وأن أول من تملك دولة سنغاي هو " **زا الأيمن** " ومعناه جاء من اليمن وحسب الروايات أن قدومه إلى كوكيا تصادف مع وقت كان يعاني فيه أهل سنغاي من جبروت حوت كبير كانوا يعبدونه و يهابونه ، ليتمكن "**زا الأيمن**" من قتل الحوت ويصبح ملكا على مملكة سنغاي .

وأول ملك مسلم من أسـرة" زا "هو الـملك " **زا كوسـي** " « Za Koussi » * ويقال له مسلم دان و يؤرخ السعدي لواحد و ثلاثين ملكا من أسرة "زا" [1].

بوصول سن علي إلى الحكم ، تأسست أسرة جديدة هي أسرة سني و الفترة المهمة لهذه الأسرة الفترة الأولى 1464 – 1492 حكم خلالها سني علي الدولة بيد من حديد إذ عرف بقسوته و بطشه وكراهيته للطوارق و الفولانيين الذين حاول إفنائهم . اشتهر سني علي بدخوله مدينة تومبوكتو حيث عاث فيها فسادا وتصرفه السيئ مع الفقهاء و الهيئات العلمية ليخلفه على العرش 1493 ابنه "**سني يار** " الذي لم يبق سوى سنة واحدة على العرش فسرعان ما قام عليه أحد قواده العسكريين الكبار و أزاحه عن الملك وعرف هذا القائد بـــ"**أسقيا**" ومعناه المغتصب أي أنه اغتصب العرش من أسرة سني علي الذي حكم ست و عشرين سنة وهذا الأسقية هو محمد توري وهو أمير المؤمنين و سلطان المسلمين أبي عبد الله أسقيا محمد ابن أبي بكر و يلقب أبوه "**بلرلوم**" من قبيلة "**السلوي**" [2] وقيل

---

* انظر الملحق رقم –03–

(1) السعدي ، تاريخ السودان ، ص 3-4.

(2) نسبة إلى كما يعرف بسلا إحدى فروع قبائل السونينكي

من طور [1] و أمه كاساي بنت كُرَكُيْ ويذكر كعت أن للرجل مناقب وحسن السياسة ما لا يحص و لا يوجد له مثيل [2] ، يعد أسقيا محمد المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي الإسلامية الكبرى ولقد دام حكم الأسيقيين أكثر من قرن ، وقد اختلفوا في تطبيق سياستهم سواء في الداخل من حيث تنظيم البلاد و ضبطها وتوسيع حدودها أو في الخارج من حيث علاقاتهم مع الدول المجاورة و خصوصا بشمال إفريقيا (المغرب الأوسط و الأقصى) بالرغم أن عائلة الأسيقيين لم تحكم طويلا لكنهم وصلوا بالمملكة من حيث قوة و الازدهار و التوسع إلى الحد الذي لم تصله أية مملكة من الممالك السودانية .

ويعد تاريخ مملكة سنغاي الإسلامية الأكثر وضوحا ضمن تاريخ ممالك السودان الغربي في العصر الوسيط وتتحدث المصادر عن مملكة سنغاي من خلال أهم مراكزها الحضارية و الاقتصادية و السياسية .

ومن بين الملوك الأسيقيين شهرة محمد أسقيا الأول المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي كما ذكرنا و الذي اغتصب الحكم عنوة [3] وبوصوله السلطة سيواجه أسقيا محمد إشكالا أساسيا سيرافقه طوال فترة حكمه وتمثل هذا الإشكال في كيفية ومشروعية وصوله إلى السلطة فعمل على التقرب من العلماء و الشرفاء (المسلمين) بمنحهم الضياع و الهدايا و مشاورتهم في أمور الدين [4] .

---

[1] طور هي إحدى مناطق الفوتا بحوض السنغال

[2] محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، ص 59 .

[3] قد جرت معركة فاصلة بين أنصار محمد أسقيا و أنصار أسرة سني قرب مدينة غاو في مكان يدعى أنكو تمكن أنصار أسقيا من تحقيق النصر و إرغام سني بار على الفرار نحو مدينة آير .

[4] شكراوي ، المرجع السابق ، ص 40. انظر أيضا عبد القادر زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 32.

ولقد تمكن الأسقيا محمد الأول تجسيد الروح الإسلامية على بلاد السودان فأرغم النساء على العزلة في الحريم و أصبح على نساء الطبقة العليا ارتداء الحجاب كذلك أخذ بوجهة النظر العربية بأن وضع الأب و ليس الأم هو الذي يحدد ما إذا كان الطفل يولد حرا أم عبدا ، فكان الطفل الذي يولد لأب حر وأم جارية يعد حرا .

وبينما امتدح المؤرخون العرب منسا موسى سلطان مالي الإسلامية باعتباره داعية الإسلام في غرب بلاد السودان ، و فاضوا في الثناء عليه فإن الأسقيا واتاه الحظ بأن امتدحه المؤرخون الذين عاصروه . وكان عائد تقواه أو عائد إرضاء مطالب العلماء عائدا ضخما نسيت معه تماما جريمة قتله لسني علي و قوبلت أسرته كصاحبة السيادة الشرعية [1] .

كان عهد الأسقيا و خلفاء يمثل المرحلة التي انتشر فيها الإسلام و استقراره في السودان الغربي عصره الذهبي بصفة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة قبلهم ولا بعدهم كما بلغ ازدهار التبادل العلمي و الثقافي و التجاري في هذا العهد بين سكان السودان الغربي و العالم الإسلامي [2] ولقد توالى على كرسي المملكة تسعة ملوك من بينهم الأسقيا موسى 1531/1528 الذي قضى سنوات حكمه في نزاع مستمر مع أفراد عائلة و أنصار أبيه ، ولم ينجز شيئا يستحق الذكر من صاحب المملكة وخلفه أسقيا موسى الذي كان متعطشا للدماء فأول عمل أقدم عليه بعد توليه الحكم هو قتل كل من يحتمل ظان ينازعه العرش ولقي كثيرون

---

(1) الوثنية الإسلام ، المرجع السابق ، ص 135.

(2) أبو بكر إسماعيل ميغا ، الحركة العلمية الثقافة الإسلامية في السودان الغربي من 400 إلى 1100 هـ في عهد الممالك الإسلامية غانة ، مالي ، ص 38.

من اخوته نهاية مأسوية [1] ، و سبّب غلظة قلبه وعدم تقواه ناهضه العلماء وحكام الأقاليم الذين لم يخفوا رغبتهم في رؤية أسقيا جديد ، و لم يدم حكمه طويلا فقد ثار اخوته ضده بعد حكم لم يتجاوز الواحد و العشرين شهرا [2] ليبايعوا الأسقيا محمد الثاني وهو في مدينة منصور بإقليم جني بعد وفاة الأسقيا موسى مباشرة . كان محمد الثاني رزينا عاقلا محبا للرحلات وقد نتج عن هذه الرحلات تعاظم الفخامة في موكب الأساقي منذ ذلك الوقت أكثر من ذي قبل[3] ، وفي أبريل 1537 بعد حكم دام ستة سنوات و شهر واحدا تمكن ائتلاف من اخوته إلحاق الهزيمة به و نودي بإسماعيل أحد أبناء الأسقيا محمد ملكا جديدا[4] واستمر حكمه ما بين 1537 / 1539 * ، ثم تولى الحكم الأسقيا إسحاق الأول 1549/1539 الذي أعاد النظام وروح الانضباط إلى الإدارة فأجرى حركة تطهير واسعة ، وأعدم قادة الجيش والحكام الذين تسببوا في المؤامرات والاضطرابات التي عرفتها المملكة وبعد إن استعاد إسحاق النظام قام ما بين 1546 / 1547 بإرسال أخاه داود على رأس حملة عسكرية ضد مالي لضمن آخر أملاكها لسنغاي ، غير أن هذه الحملة لم تنجح في تحقيق الهدف المنشود ، وبعد وفات الأسقيا إسحاق خلفه أخوه الأسقيا داود والذي اشتهر بغزواته العديدة[5]، يعد هذا الملك من أبرز السلاطين من أهل أسقيا و قد اشتهر بحنكته السياسية في إدارة الحروب و في عهده أمر محمد الشيخ السعدي بقتل

---

(1) الوثنية والإسلام ، المرجع السابق ، ص 142.

(2) نفس المرجع و الصفحة عينها .

(3) زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 42.

(4) الوثنية والإسلام ، المرجع السابق ، ص 143.

* لقد حدثت ما بين هذين السنتين مجاعة دمرت سنغاي ، انظر تاريخ الفتاش ، ص 85.

(5) السعدي ، المصدر السابق ، ص 99.

"**مند أكوما**" عامل تغازا * .الأمر الذي دفع بالطوارق إلى الخروج منها .[1] وبعد 32 سنة من الحكم توفي الأسقيا داود أوت 1582 م وقد خلف داود الحاج الأسقيا محمد الثالث 1582 / 1586 وقد نجح في غزو مالي و قتل حاكم " **وغد**" أو "**وكد**" وعاد برقيق كثير [2] و قد أصيب في آخر عهده بمرض فتاك فعزله أخوه "**محمد بان**" الذي حكم المملكة لسنة و أربعة أشهر 1588/1586 م، وقد عرف عهده الاضطرابات و الفوضى ليخلفه الأسقيا إسحاق الثاني 1591/1588 م على عرش مملكة سنغاي و هي في غاية من الضعف إذ أنهكتها الحروب التي كان الأساقي لا يخوضونها باستمرار سواء على الثائرين داخل البلاد أو على الدول المجاورة ، لقد قضى الأسقيا إسحاق سنة كاملة في محاربة حاكم تومبوكتو * **بالاما** المسمى " **ساليكي تونكارا** " ،وما انتهى من ذلك حتى دخل في معركة مع المولى أحمد المنصور الذهبي [3] سلطان المغرب الأقصى فقد كانت مملكة سنغاي موضع تفكير حكام مراكش [4]

* حول مدينة تغازا ، أنظر الفصل الثاني من الباب الرابع من هذه الدراسة .

([1]) شكراوي ، المرجع السابق ، ص 42.

([2]) تاريخ الفتاش ، المرجع السابق ، ص 119.

* تقع مدينة تومبوكتو على حافة الصحراء على بعد قليل من نهر النيجر إلى الشمال و يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الثاني عشر الميلادي و تروي الأساطير المحلية أن الطوارق تركوا في إحدى المرات امرأة منهم اسمها بوكتو BOCTO لتقوم بحراسة البئر و بعد وقت من الزمن أصبح المكان يدعى توم بوكتو TIMBOCTO أي مكان بوكتو ثم تحول الاسم إلى تومبوكتو TOMBOUCTOU.

([3]) استلم أحمد المنصور عرش المملكة المغربية 1578. بعدما تمكن من إحراز النصر في موقعة وادي المخازن المشهورة أوت 1578. ضد البرتغاليين بزعامة سان سيباستيان وكانت المعركة حاسمة قتل فيها عدد كبير من المغاربة و البرتغاليين وقتل فيها الملك البرتغالي و المتوكل وفي نفس الوقت توفي الأمير عبد الملك نتيجة لمرض أصابه أثناء المعركة وخرج أحمد منتصرا لذا لقب بأحمد المنصور .

([4]) لقد كانت بين المغرب الأقصى و بمالك السودان الغربي علاقات سياسية و اقتصادية و ثقافية تعود إلى قيام دولة المرابطين في القرن 11 وكان حكام هذه الدول يتبادلون الهدايا و السفرات وقام العلماء المغاربة بنشر الإسلام

أهم مدن مملكة سنغاي:

لقد استحوذت مملكة سنغاي على أهم مراكز الحضارية و التجارية والاقتصادية و التي تعتبر مراكز الاستقرار السكاني ، أما المناطق الصحراوية فكان يرتادها إلا البدو الرعاة من الطوارق و السودانيين بحثا عن مراعي لأنعامهم يقيمون فيها إلا أيام قليلة ثم يرتحلون عنها .

أما عن المراكز و المدن الحضارية التي ازدهرت فيها الحياة الاجتماعية التي عرفت جميع مظاهر حياة الاستقرار من ازدهار علمي و ثقافي و اقتصادي و سياسي هي:

1- غـــاو :

حاضرت إمبراطورية سنغاي و مقر إقامة سلطانها و هي مدينة قديمة تقع على ضفة نهر النيجر فيمر بها ومنه شرب أهلها وهي تقع جنوب مدينة تادماكت بتسع مراحل [1] ، وقد ذكر محمود عكت أن عدد بيوتها كان حوالي 7626 بيتا [2] ، ولقد بلغت درجة كبيرة من الازدهار و الرقي و هي من

بين سكان السودان الغربي وفي عهد المنصور الذهبي قرر غزو مملكة سنغاي لأسباب منها استغلال مناجم الملح الواقعة بمنطقة تغازا و جلب معادن التبر فأعد حملة عسكرية تزعمها المسيحي جودر باشا 1591.أنظر الاستقصار ج5،
ص 39.انظر أيضا جوان جوزيف ، المرجع السابق ، ص 85-86.

(1) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 11.انظر أيضا ابن خلدون العبر ج1 ، ص 93. أيضا جوان جوزيف ، المرجع السابق ، ص 81.

(2) محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 146.

أجمل المدن في السودان الغربي و عمرانها أرقى منه في المدن الأخرى ، بها القصور والمساجد ومقبرة الاسيقيين [1].

2- جنـــــي :

تقع مدينة جني أو جنة إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبوكتو [2] وقد اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها فبعضهم قال ما بين 494- 495 هـــ / 110 -1101 م وذهب آخرون إلى أن جني أسست ما بين 435- 436 هـــ 1043/ 1044 والفرق بين التاريخين ليس بالسهل وحسب المصادر أن المدينة كانت قائمة قبل الوقت الذي ذكره المؤرخون السابقون و أن بناءها كان قبل التاريخ بفترة طويلة وقد عثر الباحث علي مخطوط يتحدث عن أول بناء في مدينة جني حيث يورد المخطوط أن الأهالي عندما عزموا على بناء سد لحجز مياه الأمطار فكروا في بناء سور للمدينة قبل الشروع في بناء السد و قد استشاروا في ذلك الكاهنة فأشارت عليهم بدفن فتاة شابة في السور فتطوع حاكم المدينة (جنور) الذي ينسب إلى قبيلة " مرك" [3] بنته غير أن أحد أفراد رعيته وهو من قبيلة بوس رفض ما تقدم به جنور وتطوع بابنته بحجة أن قدره وقدر قبيلته دون قدر سيده جنور الذي قبل بهذا العرض وتم ذلك وهذا أول بناء في مدينة جني [4] .

(1) عبد القادر زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 108.

(2) الهادي المبروك ، المرجع السابق ، ص 45. أنظر أيضا نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 78.

(3) قبيلة من قبائل مالي تقع في شمال البلاد وهي ذات شأن كبير.

(4) مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 45.

ويذكر السعدي أن مدينة جني مدينة شاسعة ، كان عدد قراها في القرن 10 هـــ حوالي 7077 قرية [1] ومدينة جني معاصرة في تاريخها لمدينة تومبوكتو ، ظهر أمرها في القرن الثاني عشر ميلادي وهي مركز تجاري هام .

3- تمبوكتـــــو :

تأسست في أواخر القرن السادس للهجري و تقع على بعد قليل من نهر النيجر إلى الشمال يعود بناء هذه المدينة إلى القرن الثاني عشر في المكان الذي كان يرتاده الطوارق في فصل الجفاف لتوفر المياه العذبة فيه و تروي الأساطير المحلية أن الطوارق تركوا في إحدى المرات امرأة منهم اسمها بوكتو لحراسة البئر وبعد مضي مدة من الزمن أصبح المكان يدعى تيمبوكتو أي مكان بوكتو [2].
وقد بدأت أهمية هذه المدينة عندما أصبحت محطة نهائية للقوافل القادمة من الشمال أو القادمة من الجنوب عن طريق نهر النيجر ، وبفضل موقعها الاستراتيجي وكثرة الآبار فيها إلى مكان لتلاقي التجار و الإقامة من حوله للراحة أحيانا وعند كثرة لقاءاتهم أصبح المكان سوقا للتبادل التجاري بين الشمال و الجنوب [3] ومنذ ذلك الحين تكاثر سكانها وقد وصل بحوالي 25 ألف نسمة [4] ، وكانت في عهد الأسقيا الحاج محمد الكبير مقسمة إلى أحياء وفي كل حي منها يسكن تجار بلد من البلدان الإسلامية ، فتجار غدامس وتجار توات لهم حي خاص بهم . أما تجار بلدان المغرب فكانوا يتوزعون بين أحياء متفرقة وكانت لغة السكان هي لغة سنغاي ، أما اللغة العربية فكانت لغة

---

(1) السعدي ، المصدر السابق ، ص 13.

(2) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 75.

(3) زبادية، مملكة ، المرجع السابق ، ص 100.

(4) سعيد خراش ، المرجع السابق ، ص 48.

التعامل بين الأجانب من العرب و السودانيين [1] وقد اشتهرت تومبكتو بحركتها الثقافية الإسلامية .

4- تكـــــرور:

مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة ،قال الفقيه علي الجنحاني المغربي شاهدها وهي مدينة عظيمة لا سور لها ، وأهلها مسلمون و كفار ، و الملك فيها للمسلمين وأهلها عراة رجالهم و نساؤهم ، إلا أشرف المسلمين فإنهم يلبسون قميصا طولها عشرون ذراعا [2] ، وقد ذكر صاحب روض المعطار أن مدينة تكرور هي مدينة في بلاد السودان وهي أكبر من مدينة "سلا" وأكثر تجارة وإليها يسافر أهل المغرب بالصوف و النحاس ويخرجون منها بالتبر والرقيق أكثر مواشيهم الجمال و المعز ومن مدينة سلا وتكرور إلى مدينة سجلماسة أربعون يوما وأقرب بلاد إليها بلاد لمتونة الصحراء [3] .

(1) إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 324.

(2) القزويني (زكرياء ابن محمد ابن محمود) ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر بيروت 1380 هـ /1960م . ص 18.

(3) الحميري ، محمد ابن عبد المنعم ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ط1 ، 1975، ط 2 1980 ، ص 134.

الباب الثاني

الحياة الثقافية و العلمية

بالمغرب الأوسط

في عهد دولة

بني زيان

الفصل الأول

المؤسسات الثقافية والتعليمية

تمهيد

1. المساجد
2. الكتاتيب
3. الزوايا
4. المدارس

تمهيـــــــد

يعد المغرب الأوسط من المناطق التي تغذت بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوحات، فتأثرت بمختلف التيارات الفكرية التي طبعت المجتمع الإسلامي بطابعها ، فنمّت في أهله التثبيت بالإسلام وتعاليمه السمحاء واحترام العلم والعلماء و تبجيلهم.

و قد عرف الملوك من بني عبد الواد في المغرب الأوسط بنصرتهم للعلم وتأييدهم للعلماء ، فظهر فيهم المؤرخ و الشاعر والأديب و المتصوف غير أن ذلك كان – أحيانا– ضربا من ضروب المنافسة بين غيرهم من ملوك بن حفص و بن مرين، فقد عمل ملوك بن زيان على تقريب العلماء من مجالسهم كما عملوا على تضخيم سلطاهم و توسيع أمصارهم ، فأصبح ذلك سببا في عموم المعارف على المدن و القرى غير متأثرة بالاضطرابات السياسية والعسكرية .

ووراء تلك العاصفة القوية،وزياح الاضطرابات السياسية، التي كانت تقصف بالبلاد،كان هناك نشاط وازدهار ثقافي و فكري أنتج أوفر و أخصب العهود الفكرية بالمغرب الأوسط منذ تأسيس الدولة الزيانية على يد مؤسسها يغمراسن بن زيان الذي كلن يجالس الصلحاء و يكثر من زيارتهم و له في أهل العلم رغبة عالية يبحث عليهم أين ما كانوا، و يستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهله، ولما اشتهر اعتناؤه بالعلم و أهله، وفد عليه من الأندلس، خاتمة أهل الآداب المبرز في عصره على سائر الكتّاب أبو بكر محمد بن عبد الله ابن داود بن

خطاب[1] فأحسن نزله ومثواه وقرّبه من بساط العز وأدناه، وجعله صاحب القلـــم الأعلـــى [2].

و قد سار ملوك بني زيان على درب يغمراسن بن زيان،فقد عملوا على تثبيت الأسس الثقافية و الحضارية والإبقاء على مشعل الثقافة الإسلامية موقدا. فنجدهم يسيرون على السياسة التي كانت سائدة قبل تأسيس الدولـــة الزيانيـــة ،حيث نجدهم يحبون العلم ويقربون العلماء من مجالسهم و يكرّمون وفادهم،ويبالغون في الإكرام و العطاء لأهل العلم و تشجيعهم على الإبداع في شتى مجال العلوم.

وكان التنافس حادا بين الزيانيين و المرينيين في تقريب العلماء و الأدباء من مجالسهم، فتعددت المناظرات العلمية،و ازدهرت الفنون في المغربيين الإسلاميين (الأوسط والأقصى)،فأصبح البلاط الزياني و المريني زاخرا بالأدباء والشعراء. فكان الكتاب الخبراء و الشعراء السياسيين للدولة ينطقون بمجدها ويمدحون ملوكها.

فقد وجد الشعراء الأرض خصبة لمواهبهم، فطبيعة المغرب الأوسط عامة وتلمسان و ضواحيها خاصة فتانة من شأنها أن تؤثر على أحاسيسهم ، أضف إلى ذلك تلك الأحداث والاضطرابات السياسية التي ألّمت المغرب الأوسط من حصار و غزو و حروب كانت وطئتها على قلوب الناس وما أقوى ما كان تأثيرها في نفوس الشعراء فهذه العوامل كلها شحذت قرائح أهل

[1]هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسى الأندلسي من جملة كتّاب الإنشاء ليغمراسن ،أنظر التنسي ، ص 127 .

[2] نفس المصدر ،ص 126،127.

القريض،فجاءوا بشعر جيد في معظمه نلمس فيه حبا للوطن وافتنانا بطبيعته الساحرة كشعر بن خميس والمقري حيث أجادا للغاية في وصف تلمسان ومدح سلطانها أبي حمو موسى الثاني :

وانظر إلى زهر الرياض كأنه ❖ ذر على لبـــاث ربـــات الحلـــي
في دولة فاضت يداها بالندى ❖ وقضت لكل من لكـــل مؤمـــل
سلطانها المولى أبو حمو الرضى ❖ ذوا المنصب السامي الرفيع المعتل
تاهت تلمسان بدولته علـــى ❖ كل البلاد بحسن منظرها الجلي[1]

فقد نهض الكتاب بالنثر نهضة فنية،اشتمل على كل مظاهر السياسية والعلمية، والبيئية و الاجتماعية .فحقل الأدب بدولة بني زيان كان خصبا، وسوقه كانت رائجة ، وعندما حل بها المهاجرون الأندلسيون ونزولهم بها زاد الحقل خصوبة وهذه السوق رواجا فكان منهم الشعراء و الفقهاء والكتاب.

لقد كان الأمراء الزيانيين يمنحون طلبة العلم ما يساعدهم على تحمل أعباء دراستهم فخصصوا لهم الأرزاق، وانشئوا المكتبات بالمساجد و المدارس وغيرها من المؤسسات العلمية -كما سيأتي تبيانه - و أول من دشن هذه الحركة كان مؤسس الدولة الزيانية -كما ذكرنا- الذي أظهر عناية فائقة برجال العلم ورفع من مكانتهم وشأنهم، وتألقت أنوار الحضارة المغربية أكثر أيام "أبي حمو موسى الثاني 760-791هـ/1359-1389 الأديب الشاعر تألقا ساطعا وانتظم أمر الدولة انتظاما بديعا، و أصبحت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط وحاضرة من أعظم

---

(1) المقري (أحمد بن محمد)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس (د.ط) مج 7، دار صادر بيروت، 1968 ،ص 125.

حواضر العلم ومركزا من المراكز الإشعاعية في العالم الإسلامي يؤمها العلماء والأدباء و الشعراء من كامل الأقطار لاسيما بعد سقوط قرطبة سنة 633هـ / 1236 م واشبيلية سنة 646 هـ/1249 م ثم غرناطة 1492 في قبضة الأسبان ، فما كان على المسلمين الأندلسيين الفارين إلا التروح نحو المغرب الأوسط والاستقرار في حواضره كالجزائر ووهران و تلمسان[1] والتي سكنها عدد وافر منهم والتي كانت على صلة وثيقة بالأندلس من قبل ولاسيما منذ العهد المرابطي و كانوا قد حملوا معهم آدابهم وعلومهم و فنونهم .[2]

وإذا وقفنا بعض الوقت عند القرون الثلاثة التي عاشتها الدولة الزيانية فلقد شهدت المرحلة الأولى و التي تمتد إلى أواخر القرن الثالث عشر (القرن السابع الهجري) بداية ظهور تلمسان كإحدى عواصم المغرب الإسلامي الأربع (غرناطة ، فاس ، تونس) .

والأمر الذي من شأنه أن يضاعف عوامل الرقى والازدهار والنمو في المدينة ويمكنها من توفير مزيد من وسائل النمو الثقافي والعلمي من تشييد للمؤسسات التعليمية من مدارس و معاهد و جلب أبرز العلماء و الأدباء شهرة ، فكانت تلمسان تعد فقر السلطة المركزية في المغرب الأوسط و فيها بلاط ملوك الدولة الزيانية و قد تميزت هذه المرحلة بالاعتناء بالعلوم الدينية وخاصة علم الحديث والفقه والعلوم الإنسانية من لغة و نحو و صرف و يمكن اعتبار هذه المرحلة بداية

(1) حنفي هلايلي ، المرسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16-17 رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،تحت إشراف عبد الحميد حاجيات ، جامعة وهران، 2000/1999 ص 119، 120.

(2) كان علماء الأندلس قد قصدوا تلمسان و المغرب الأقصى ثم تونس و بدخولهم أصبحت هذه الأقاليم وارثة للعلوم الأندلسية ، انظر أبا الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت 891 هـ) تحقيق محمد أبو الأجفان تونس 1978 ص 26.

عهد الازدهار العلمي و الثقافي بتلمسان رغم ما عرفته من تدخلات أجنبية متمثلة في التدخلات الحفصية و الحصار المريني ،أما المرحلة الثانية فهي تلك التي عرفها القرن الرابع العشر الذي عرف تقدما سريعا في سائر العلوم و المجالات الحضارية بتلمسان، وذلك بفضل الملوك الزيانيين الذين ضاعفوا الجهود لتوفير مختلف شروط النمو وأصبحوا يولون عناية خاصة للنشاط الثقافي و الفني والإنجازات العمرانية و هي فترة لها أهمية قصوى ،إذ أنها فترة تعتبر من أخصب الفترات في تاريخ المغرب الإسلامي من حيث الإنتاج الفكري ساهمت فيها تلمسان بقسط وافر .

أما القرن الخامس عشر فقد عرف تدفق أمواج المهاجرين على سواحل المغرب الإسلامي ينشدون في حواضره الحماية والطمأنينة و كان أفراد المهاجرين يختلفون ثقافة وجاها، ففيهم الفقير و فيهم الغنى وكان من بينهم عدد وافر من المثقفين و الكتّاب البارعين و أصحاب القلم، و أصحاب الصنائع[1]وكأن كارثة حلت بهم كانت خيرا و بركة و فائدة على المغاربة فمصـــائب قـــوم عنـــد قوم فوائـــد[2].

لقد كان التأثير الأندلسي الثقافي بليغا و عميقا[3] لانطلاقة من قاعدة التعليم الابتدائي إلى غاية التعليم العالي، الذي انتشر خاصة بالمساجد، و المدارس

---

(1) أبوالقاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ،ش،و،ن،ت ا لجزائر 1981 ص 35.

(2) بدأت الهجرة الأولى للأندلسيين منذ عصر الموحدين إثر سقوط مدينة طيطلة 479 هـ1085م ، انظر عبد المجيد قدور الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي و نتائجها الاجتماعية و الحضارية الجزائر كنموذج ، مجلة العلوم الإنسانية عدد 20، باتنة ديسمبر 2003 ، ص 180،171.

(3) محمد طالبي "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين مجلة الأصالة إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية العدد 26-1975 ص 66.

والزوايا و دور العلماء و مجالس المناظرة،حيث نقلوا إليه طريقتهم الخاصة بهم في هذا المجال و التي تتمثل في تعليم الأطفال القرآن الكريم و الحديث والقواعد الأساسية لمختلف العلوم كما برزوا في تعليم روايات القرآن وأنواع قراءاته[1] .

ومن الأسر الأندلسية التي أنجبت عددا من العلماء الذين ساهموا بقسط وافر في دفع الحركة العلمية و التعليمية بالمغرب الأوسط خاصة في مجال العلوم الدينية أسرة العقباني التي برز فيها العالم العلامة الكبير، سعيد العقباني (ت811هـ 1408م) وقاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ 1450م).

ومن ابرز ما تميز به القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي في المغرب الأوسط ظهور عقيدة المرابط وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف الذي شمل جميع طبقات مجتمعة ، ويعود ظهور هذه الحركة (التصوف) إلى الفترة التي سبقت قيام الدولة الزيانية، وخاصة في عهد الموحدين التي ظهر فيها أكبر المتصوفة سواء في الأندلس أو المغرب وكان من بينهم العالم الصوفي أبي مدين شعيب (*) دفين العبّاد خارج تلمسان إضافة إلى مولاي عبد السلام بن مشيش

(1) محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ص109.

(*) أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (ت 594 هـ) هو الشيخ الفقيه المحقق،الواصل،القطب شيخ مشايخ الإسلام في عصره إمام العباد و الزهاد و خاصة الخلصاء من فضلاء العباد سيدي أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي من ناحية إشبيلية (الأندلس)و من حصين يقال له منتوجب انظر الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد)،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، و تحقيق رابح بونار، ش و ن و ت الجزائر 1981ص 55-56. ويقول المقري عن الشيخ أبي مدية شعيب :أن أبا مدين كان من أفراد الرجال و صدرا من صدور الأولياء الأبواب،جمع الله له علم الشريعة و الحقيقة و إقامة ركن الوجود هاديا و داعيا للحق فقصد بالزيارة من جميع الأقطار واشتهر بشيخ المشايخ

انظر المقري نفح الطيب ج9 ، ص 342 ،انظر ابن مريم (عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد)البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية الجزائر 1986ص108-114.

وكذا تلميذه أبو الحسن علي الشاذلي ؛ وهذه الظاهرة ستزداد انتشارا في القرون اللاحقة .و لقد ظهر التصوف بالمشرق الإسلامي أولا ثم انتقل إلى بلاد المغرب ولاسيما مذهب أبي حامد الغزالي الذي كان له في الموحدين أنصار ودعاة، ولكن المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وابتداع الحضرة و الأوراد و غيرها والالتفاف حول زاوية ذلك الشيخ أو ضريحه كل هذه أمور تكاد تكون وليدة القرن الخامس عشر و ما بعده [1] .

لقد انتشرت المراكز الثقافية عبر حواضر وقرى المغرب الأوسط عكس ما كان يعرف آنذاك عند المغرب الأقصى الذي اشتهر بمدينة فاس عاصمة المرينيين ومراكش عاصمة الموحدين كقطبيين ثقافيين و عن إفريقية التي عرفت عبر الفترات التاريخية بتمركز الثقافة بالقيروان في حين نرى المغرب الأوسط يتلألأ فيه جواهر ثقافية ثمينة ، فأصبحت المدن تمثل أوعية الفكر والثقافة والشرايين التي تسرى عبرها لتمد المغرب الأوسط الحياة، فظهرت مراكز عديدة ومؤسسات ثقافية و علمية هامة تهتم بالإطار الذي يقع فيه الطالب [2]فأصبحت كل مدينة من المدن المغرب الأوسط تحتوي على عدد من المساجد والمدارس والمؤسسات العامة و من هذه المدن نذكر مازونة ووهران و الجزائر وتلمسان التي كانت تحتل الصدارة في النشاط الثقافي والفكري ،بالرغم من أنها عاصمة المغرب الأوسط السياسية والاقتصادية إلا أن كثرة المدارس والمساجد بها أهلتها لتكون عاصمة ثقافية للمغرب الأوسط، فغدت مقصدا للكثير من العلماء المغاربة والأندلسيين الذين نزلوا بها رغبة منهم في النفع والانتفاع من أهل المعرفة والعلم.

---

[1] سعد الله ،المرجع السابق، ص 37.

[2] المرجع نفسه ، ص33.

1- المساجـــد :

كان المسجد أكبر معهد للدراسة فلم يكن للعبادة فقط بل كان يؤدي أعمالا مختلفة فكان محكمة التقاضي ،وكان يقوم مقام المدارس والمعاهد العليا و قد أصبح المسجد مركزا إشعاعيا يشرف على الدراسات العلمية والفكرية .

و غدت المساجد ملتقى عاما للناس و من ثم صارت مركزا للعلماء ومقصدا لطلبة العلم،حتى نشأت في أركانها حلقات التعليم للتثقيف في سائر العلوم خاصة العلوم الدينية و تدريب الطلبة على القراءة و الكتابة و لقد بقيت حلقات العلم متصلة ببيوت العبادة و من بين المساجد التي أدت هذه الأدوار الجسيمة في العالم الإسلامي الأزهر الشريف بمصر و القيروان والزيتونة بإفريقية والقرويين [1]بفاس وسارت المساجد بالمغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان على درب المساجد المذكورة .

كانت المساجد بالمغرب الأوسط تعني بحفظ القران والحديث كمادة أولى أساسية ثم تدريس النحو والفقه و اللغة والأدب ، وكانت هناك مساجد أخرى تعرف بالمساجد الجامعة فإنها تشبه المعاهد العليا الـــتي تدرّس بها العلوم

(1) أسس جامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى سنة 245 هـ – 859 م و قد بنته المرأة الفاضلة فاطمة الفهرية لتقام فيه الصلوات و تلقى الخطب و المواعظ و الدروس و أصبح في القرن الرابع الهجري مقصدا لطلبة العلم يتوافدون عليه من المشرق و المغرب و الأندلس أنظر محمد خرباش ، نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث ، مجلة الحضارة الإسلامية عدد خاص بالملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي ، وهران 1993 ، ص119.

الإسلامية [1] كالفقه وأصوله ،و الحديث و القرآن و تفسيره ،و اللغة و النحو والأدب ومن بين هذه المساجد الجامعة[2]:

* مسجد أغادير:

لقد تم بناءه على يد إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى حين ضم تلمسان لدولته سنة 173 هـ/789 م وقد بناه بإتقان و وضع فيه منبرا و كتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه [3] ، كما قام بعده ابنه إدريس الثاني بإعادة ترميمه و توسيعه و أمر بصنع منبر آخر جاء فيه " هذا مما أمر به الإمام إدريس ابن إدريس ابن حسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم أجمعين في شهر محرم 199 هـ/814 م [4] كما حظي هذا المسجد بعناية الأمير يحي بن يغمراسن الذي قام ببناء مئذنته [5] *و لقد ستؤذن في كتابة إسمه بها فقال بالزناتية " يسنت ربي" أي عرفه الله [6] .

---

(1) محمد منير موسى ، التربية الإسلامية أصولها و تطورها في البلاد العربية ، القاهرة 1983 ، ص 221.

(2) للاطلاع على المساجد الجزائرية من الناحية المعمارية انظر بورويبة رشيد الكتابات الترية في المساجد الجزائرية

(3) ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 68.

(4) المصدر نفسه ، ص 69. انظر أيضا رشيد بورويبة ، جولة عبر مساجد تلمسان ، مجلة الأصالة العدد 26 ، 1975 ، ص 171 ، 172.

(5) بغية الرواد ، المصدر السابق ،ص 207 ، انظر أيضا صالح بن قربة المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى ش و للكتاب الجزائر 1986 ، ص 85 ، أنظر أيضا عطاء الله دهينة و آخرون الجزائر في التاريخ ، ص 362 .
* انظر الملحق رقم-04- .

(6) بغية الرواد ، المصدر السابق ، ص 207. قال التناسي و سئل أن يأمر بكتب اسمه فيها فأبى و قال " علم دلك عند ربي " انظر التناسي ، المصدر السابق ، ص 125.

* المسجد الجامع (المسجد الأعظم).

يعد هذا المسجد من أبرز المساجد المغربية التي بقيت تصارع الزمن وقد تم بناءه في عهد الأمير على بن يوسف بن تاشفين المرابطي530هـ/1136م[1] وقد زينه بالزخارف الرائعة التي يزدان بهما وجه المحراب وجداره والبلاطة الوسطى [2] ،وانفرد هذا المسجد بهذه المسحة المعمارية الأندلسية لان الذين أشرفوا على بنائه يكون على بن يوسف قد جاء بهم من بلاد الأندلس [3] فقد امتاز هذا المسجد بدعائمه وسواريه وأقواسه ومحرابه وقبتيه ومئذنته . وللمسجد دعائم مستطيلة أو ذات زاويتين قائمتين أو صليبية الشكل وسواري تعلوها تيجان ذات صفين من أوزاق الاكنتس تشبه تيجان مسجد قرطبة بالأندلس. وعلى الدعائم و السواري ترتكز أقواس مختلفة الشكل:أقواس مكسورة وأقواس مفصصة تشابه أقواس جامع قرطبة غير أن أقواس هذا المسجد الأخير تحتوي كلها على خمسة فصوص بينما تميز الجامع الكبير بتلمسان بالأقواس ذات الخمسة فصوص أو سبعة فصوص أو تسعة فصوص أو أحد عشر فصا[4]. أما المحراب فله مشكاة سداسية الأضلاع، وقبتان تنصب إحداهما أمام المحراب، وهي التي أنشأت في العهد المرابطي والأخرى في البلاطة الرابعة للاسكوب الرئيسي.

---

(1) رشيد بوروبية جولة عبر مساجد تلمسان ص 172.

(2) عبد لي لخضر، المرجع السابق ، ص165.

(3) Marçais (G) et william : les monuments arabes de Tlemcen , Paris 1905 P 162.
Marçais (G) ; Tlemcen d'hier et d'aujourd'hui : bulletin de société des amis du vieux de Tlemcen Alger 1952 , p 20 .

(4) بوروبية جولة ، المرجع السابق ، ص 173.

وقد شيـــدت في العهد الزياني[1] وسقفه مصنوع من الخشب ، مزين بحاملات على شكل جسم متوازي السطوح مؤثث بغصون ملتوية و أوراق وثـــمر الصنوبر [2].

لقد أدى هذا المسجد الأعظم رسالة مقدسة إذ أضحى جامعة على النمط القديم كجامع الزيتونه بتونس و جامع القرويين بالمغرب و أصبح معهدا للتدريس ، خاصة بعد الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب الإسلامي ، وقبلة للعلماء وطلاب العلم الذين توافدوا عليه للأخذ من علماءه و شيوخه وظل دوره الديني و التعليمي وإشعاعه الثقافي قائما طوال العهد الزياني وصارت بلاد المغرب الأوسط كافة وتلمسان خاصة حاضرة من حواضر الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي ونبغ فيها عدد كبير من العلماء في الأدب و الشعر والنحو والصرف و علم الحديث.

*مسجد سدي أبي الحسن:

بني هذا المسجد من قبل السلطان الزياني " أبي سعيد عثمان بن يغمراسن 696هـ /1296م [3]وقد حمل هذا المسجد اسم الفقيه أبي الحسن التنسي الذي كان يلقي دروسا به وكان هذا الفقيه معاصرا للسلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن الذي شيده ونسبه إليه إكراما له لأنه كان من أفضل علماء عهده

---

(1) بوشقيف (محمد): العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميـــلادي (9 هـــ – 15 م) رسالة ماجستير إشراف عبد الحميد حاجيات وهران 2003/2004 ص 45. أنظر أيضا رشيد بورويبة جولة ص 174.

(2) بورويبة جولة ص 174.

(3) محمود بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982 ، ص81.

وأتقاهم و أورعهم [1]و تاريخ بنائه تدل عليه كتابتان أحدهما مرسومة على يمين و على يسار المحراب والأخرى تجري على لوحة من الرخام مرصعة في الجدار الغربي فجاء في هاتين الكتابيتين:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و على آله وسلم تسليما بنى هذا المسجد الأمير أبو عامر إبراهيم ابن السلطان أبي يحي يغمراسن بن زيان في سنة ست و تسعين و ستمائة بعد وفاته رحمه الله" [2].

إن مسجد سيدي أبي الحسن صغير جدا بالنسبة إلى المسجد الجامع و لا يحتوي إلا على بيت صلاة طوله **20م** و عرضه **9م و 70** ذي ثلاثة أساكيب عمودية لجدار المحراب وثلاث بلاطات متوازية لجدار المحراب كما يتميز هذا المسجد بسواريه و تيجانه و محرابه وسقفه ومئذنته و يعد محراب هذا المسجد أجمل محراب في العالم الإسلامي كله فلهذا المحراب مشكاة سداسية الأضلاع مكللة بقبيبة مزينة بالمقرنصات تنافس في الأناقة قبيبة بمسجد الكتيبية بمراكش ويحيط طنف مؤثثة بآيات قرآنية مكتوبة بالخط اللين بهذه القبيبة ونرى تحت الطنف لوحة مستطيلة مزخرفة بأقواس مفصصة ترتكز على سواري من الجص موضوعة على طنف خماسي الأضلاع مزين بآيات قرآنية [3]و لقد أجمع الأثريون على أن مسجد أبي الحسن* يعـــد من أبدع المنشــآت الربانية [4].

[1] بلغة المؤرخ، المرجع السابق، ص 212.

[2] بورويبة : جولة عبر ...، المرجع السابق، ص 174.

[3] نفس المرجع السابق، ص 174.

* أنظر الملحق رقم 15-06-07.

[4] Marçais et William op. cit., p173

* **مسجد ابني الإمام:**

أسس هذا المسجد حوالي أربعة عشر عام من بناء مسجد أبي الحسن التنسي من قبل الأمير أبي حمو الأول 707-718هـ/1307-1318م وهو يقع بوسط مدينة تلمسان ، و يمتاز بناؤه بالبساطة وخلوه من الزخرفة الأبهة التي تميزت بها مساجد أمراء بني زيان[1]و كان هذا المسجد تابعا للمدرسة القديمة حيث كان ولدي إمام من مدينة برشيك قرب تنس كانا يلقيان دروسهما وهما العالمان الجليلان الأخوين " أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى [2]، لذا جاءت تسمية المسجد نسبة إليهما.ففقد هذا المسجد معظم زينته الزيانية و لم تبق فيه سوى القبة التي تعلو المحراب و المزينة بالمقرنصات التي تكلل مشكاة المحراب ومئذنتها الجميلة وقاعدتها على شكل مضلع سداسي .

* **مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:**

لقد شيد هذا المسجد في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني إلى جانب قبة وزاوية و مدرسة وكانت هذه المجموعة من المباني تحمل اسم المدرسة اليعقوبية وسميت بهذا الاسم تكريما و تخليدا لوالده أبي يعقوب واندثرت المدرسة و الزاوية و بقي المسجد [3]و يتضح تأثر هذا المسجد،في بنائه بالعمارة الدينية المرابطية و الموحدية ،بحيث أن أبوابه تشبه إلى حد كبير تلك التي بمسجد تينملل بالمغرب الأقصى.أما مئذنته مربعة القاعدة مزينة بالأخاديد موضوعة أمام المحراب تشابه قبة حمام الصباغين بتلمسان التي يرجع عهدها إلى العهد المرابطي غير أن

(1) marcais (G) : l'architecture musulmane d'occident Tunisie Algérie ,Maroc Espagne et Sicile , arts et métiers graphique paris 1954 PP 115-116.

(2) بن مريم البستان 123، 127.

(3) بورويبة ، جولة،المرجع السابق، ص 176. انظر أيضا : أبو حمو موسى الزياني المرجع السابق ص 182-183.

عدد الأخاديد أصبح 24 في مسجد سيدي إبراهيم بينما كان 16 أخدودا في حمام الصباغين.

* مسجد سيدي أبي مدين شعيب

يعد هذا المسجد من أهم المساجد المرينية التي شيدت بالمغرب الأوسط حيث شيده بأمر من السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 1339/739م حيث استولى على تلمسان [1] و بني هذا المسجد بقرية العباد و أعطاه اسم ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسين أحد متصوفي المغرب الإسلامي و المتوفى سنة 594هـــ و الدليل على أن هذا المسجد بني من قبل " أبي الحسن المريني " يتضح ذلك من الكتابة المدونة على اللوحة التي لا تزال ماثلة إلى يومنا هذا والتي دون عليها:"الحمد لله وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي ابن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان،ابن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب عبد الحق أيده الله ونصره،عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة نفعهم الله بـــه ".[2]

و قد وصف ابن مرزوق الخطيب هذا المسجد أنه اشتمل على الوضع الغريب وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات بجارة على جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع،قد رقمت على نحو يرقم عليه أشكال النجارة، فلا يختلج في النفس شك و لا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقوشة و هي كلها مبينة بالأحمر و الفضة.واشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلف من الصندل و العاج والأبنوس المذهب.و أما الباب الجوفي الذي يفتح على المدرج

(1) التنسي : نظم الدر و العقيان ، ص 145-146.

(2) بورويبة حولة ، المرجع السابق ، ص 178.

الذي يترل فيه إلى قبو الشيخ...و إلى الشارع و هو باب النحاس المشتمل على مصرعين كل مصرع منها مصفح بالنحاس المخرم المنقوش بالخواتيم المستوفاة المشتركة العمل و تخريمه على أشكال من نحاس ملونة،فهو من غريب ما يتحدث به السفّار"[1].

وقد تميز هذا المسجد بدقة بنائه،وروعة زخارفه خاصة في محرابه ولا يزال هذا المسجد بهجة للناظرين وآيه من الفن المغربي الأندلسي بما في ذلك الصحن والمحراب و المئذنة[2] *.

و لقد أقيمت بالجنوب الغربي من هذا المسجد مدرسة والمعروفة اليوم بمدرسته سيدي أبي مدين شعيب وذلك في مواجهة بيت صلاة الجامع، الذي بني إلى الشرق منه حماما و ميضاة ملحقين به [3]ولقد كان لهذا المسجد و المدرسة عدة وظائف منها الوظيفة الدينية والإصلاحية و التعليمية طوال الفترة الزيانية كما سيأتي تبيانه في ما بعد.

*** مسجد سيدي الحلوي :**

تم بناء هذا المسجد بأمر من السلطان أبي عنان فارس المريني سنة 754هـ- 1353م حيث استولى على المغرب الأوسط و تم بناء المسجد بجانب ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي المتوفى في أوائل القرن

---

(1) حاجيات عبد الحميد أبو حمو موسى ، المرجع السابق ، ص 64.

(2) نفس المرجع السابق ، ص 65.

* انظر الملحق رقم -08-

(3) عبد العزيز لعرج : المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية وفنية رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية ، الجزء الأول تحت إشراف عبد الحميد حاجيات جامعة الجزائر معهد الآثار 1999 ص 235.

السابع الهجري /و الذي هاجر من الأندلس واستقر بتلمسان سنة 655 هـ 1266 م في عهد السلطان يغمرا سن بن زيان.

إن مسجد سيدي الحلوى يشابه كثيرا مسجد سيدي أبي مدين فله مثله بيت صلاة مكونة من خمسة أساكيب عمودية لجدار المحراب و صحن مربع ومئذنته موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية للصحن ولكنه يختلف عن مسجد العباد من بعض الجوانب [1]*.

وقد وصفه ابن الحاج النمري كاتب السلطان أبي عنان فارس "وكم أبقى(يقصدأبي عنان)بتلمسان من آثار حسان و مصانع يعجز عن وصفها كل لسان،ولا كجامع الخطبة الأعظم الذي أمر باختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي رضي الله عنه وهو من أجمل الجوامع قد أحكمت فيه أنواع الصنائع و أبدى الاحتفال به ما شاء من البدائع...."[1].

و هناك مساجد أخرى أدت نفس الأدوار التي كانت تؤديها مساجد عاصمة الزيانيين تلمسان كمسجد وهران و مستغانم و المدية و مسجد مدينة الجزائر و ندرومة التي يعود بناء مسجدها إلى العهد المرابطي و بالضبط من قبل الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي في أواسط القرن الحادي عشر و يعد مسجد ندرومة الذي يتميز ببساطته من بين المساجد التي كانت تجمع بين العلم والعبادة

---

(1) بورويبة جولة ص 181

* انظر الملحق رقم - 09 -

(1) عبد العزيز لعرج ، المرجع السابق، ص 237.

و التي ساهمت في الإشعاع الثقافي والحضاري ببلاد المغرب الأوسط خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة.

2-الكتاتيب :

كانت تعنى بما هو من قبيل التعليم الابتدائي و كان التعليم فيها يقوم على حفظ القرآن و رواية الشعر و التدرب على القراءة و الكتابة .مع تعلم أولويات الحساب وكانت تنتشر الكتاتيب في المدن و القرى وكانت عبارة عن حجرات مجاورة للمساجد أو بعيدة عنها بعض الشيء وقد خصصت لتعليم الأطفال.

كانت الكتاتيب أو المدارس الابتدائية مؤسسات تعليمية خاصة يقوم بإنشائها خواص في الغالب لبساطتها أو استئجار بيوت مكانا للتعليم [1] أو تبنى من قبل جماعة من أولياء التلاميذ الميسورين [2]، و إذا استأجر المعلم المحل لتعليم الصبيان معلومين فعلى أولياء التلاميذ أداء كراء المحل [3].

وكان موضع التعليم عبارة عن غرفة بسيطة أثاثها الحصير المصنوع من السمار أو الحلفاء كما كان لكل تلميذ لوح من خشب مصقول و دواة للحبر ، وقلم من قصب جاف و إناء يمحون فيه ألواحهم ، و هو ما يسمى بالمحو

---

(1) بوشامة عشور ، المرجع السابق ، ص 422 .

(2) الونشريسي (أحمد ابن يحي) المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب ، إعداد محمد حجي ومحمد العرايشي، أحمد شرقاوي إقبال ، الجزء الثامن دار الغرب بيروت 1981 ص 156 .

(3) ابن سحنون (محمد) كتاب آداب المعلمين تحقيق محمود عبد المولى الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981 ص 95 .

يصبون فيه الماء الطاهر ثم يحفرون له حفرة في الأرض يصبون ذلك الماء فيجف [1].

و في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي) أصبحت هذه المؤسسات التعليمية من كتاب و مدارس ابتدائية أكثر تجهيزا حيث ذكر الوزان :" ... في كل مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كقاعدة للأطفال"[2].

وكان للمعلم شروط يجب توفرها فيه ليكون أهلا لمباشرة تلك المهنة وقد أورد ابن أبي جمعة في كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان حيث قال:"المعلم الذي لا يعرف الإظهار و الإدغام و الإهمال والأعجام والتفخيم والترقيق و أحكام القرآن لا تجوز له الحدقة " [3].

وكانت هذه الكتاتيب أو المدارس الابتدائية تنتشر في كل أنحاء بلاد المغرب الإسلامي بخلاف المدارس و الجوامع الكبيرة (المعاهد العليا) التي كانت تتوفر في المدن الكبرى فقط وعلى هذا فما من شك في أن عددها كان كبيرا في كامل أقطار بلاد المغرب والأندلس وهكذا يتضح لنا أن مؤسسة التعليم الأبتدائي أو الكتاتيب كانت عبارة عن مؤسسة صغيرة تعتمد عن أولياء التلاميذ .

3-الزوايـــــا:

إلى جانب المساجد و الكتاتيب انتشرت الزوايا في العديد من نواحي المغرب الأوسط و هي عبارة عن مجموعة من الأبنية لتحفيظ القرآن والتعليم

(1) عبدلي لخضر الحياة الثقافية ، المرجع السابق ، ص 160 .

(2) الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 261 .

(3) عبدلي لخضر ، المرجع السابق، ص160.

ولإقامة الطلبة وعابري السبيل كما كانت تضم مسجدا لإقامة الصلاة، و إلى جانب أهدافها التعليمية كانت تؤدي خدمات اجتماعية متعددة لأهل القرية أو البلدة .وكان ينشئها أهل الخير أو رجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة [1] أو يشترك جماعة في إنشائها و يوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها وكانت إدارتها ورعايتها توكل إلى قائم عليها يعرف بالناظر و جماعة من المساعدين، فكان الناظر هو الذي يصرف أمورها ويجتمع باتباع زاويته (الإخوان) ليلقنهم أسرار الطريقة ويقرأ معهم الأوراد الخاصة بطريقته بالإضافة إلى النشاط التعليمي الذي كان ينحصر في الوعظ و الإرشاد للكبار لبث الروح الدينية في النفوس و التربية و التعليم للشباب[2].

ولقد اشتهر المغرب الأوسط بزواياه، و لا سيما عاصمة الزيانيين التي اشتهرت بزواياها و أضرحتها ومشاهدها و منها زاوية سيدي أبي مدين بالعباد والتي كانت تهتم بالتعليم واستقبال المسافرين وكانت لها حبوس عديدة من بساتين وضياع و زاوية سيدي السنوسي،زاوية سيدي الحلوى وزاوية أحمد الغماري وزاوية عين الحوت[3] .وكانت الجزائر تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء الصالحين منهما زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي وزاوية ولي دادة و زاوية عبد القادر الجيلاني [4] .

---

[1] بوشامة، المرجع السابق، ص 425

[2] فرج محمد فرج ،الدور الحضاري لإقليم التواتي في أفريقيا السوداء،ملتقى الدراسات الإسلامية و العربية في القارة الإفريقية أدرار،ص02.

[3] سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ، المرجع السابق، ص 264.

[4] سعد الله ،المرجع نفسه ،ص263.

واشتهرت وهران بزاويتين زاوية سيدي الهواري و زاوية الولي الصالح سيدي إبراهيم التازي نزيل و وهران[1] .

لقد كان بناء الزاوية يختلف إلى حد كبير عن بناء المسجد والمدرسة فالزوايا غالبا ما كانت تجمعت ما بين هندسة المسجد والمترل فهي قصيرة الأجدر منخفضة القباب والعرصات و قليلة النوافذ [2] فكان لهذه الزوايا دور إيجابي لاسيما في نشر التعليم بجميع مستوياته و خدمة الدين و المجتمع .

4- المـــــــدارس:

فلقد أدت هذه المدارس أدوارا كبيرة في بعث الثقافة والفكر الإسلاميين وزادت في نمو وازدهار الحركة التعليمية بالمغرب الأوسط.

وقبل خوض في التحدث عن المدارس الزيانية الخمس كان لزاما علينا أن نتكلم عن المدرسة مصطلحا ووظيفة.

* *المدرسة: مصطلحا و وظيفة*

يذهب المقريزي من حيث تعريف المدرسة نقلا عن ابن سيدة وابن جني أنها مشتقة من الفعل "درس الكتاب" يدرسه درسا و دراسة ، إذا كرره للتمكن منه، و دارست و درست، و المدرس : و هذا الموضع الذي يدرس فيه. [3]

والمدرسة منشأة من مستحدثات الإسلام فلم تكن معروفة قبله كما لم تكن معروفة في الفترة الإسلامية المبكرة،و ترجع المصادر ظهورها إلى الربع الثالث من

---

(1) ابن مريم البستان، المصدر السابق، ص 238

(2) سعد الله ،المرجع السابق، ص 269

(3) المقريزي، الخطط ،ج 3 ص 313-314.

القرن الرابع الهجري و أول ما حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور،فبنيت بهما المدرسة البيهقية [1] وهي نسبة لصاحبها أبي بكر البيهقي الذي توفي سنة 454هـ/1062م وكان أحد فقهاء الإسلام المعدودين.

* وظيفة المدرسة

ظهرت المدرسة كمؤسسة تعليمية لتدريس العلوم الإسلامية ودراسة علم الشريعة بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى المساعدة كالفلسفة والأدب والتاريخ و تعد المدرسة نتاج ثلاث مراحل تطورية للمؤسسة التعليمية في الإسلام:

الأولى :كانت فيها عملية التعليم تتم داخل المسجد أو الجامع الذي يتخذ بدوره بيتا للصلاة.

الثانية:مؤسسة تجمع بين المسجد والخان الذي يستخدم لإيواء الطلبة الأجانب عن المدينة كما كان يعرف عند المصريين بمسجد الأزهر إذ كان يحوي على أروقة للمغاربة والأتراك، والأفارقة.

---

(1) نفسه ص 314.انظر أيضا

Hillenbrand ®,« madrasa» encyclopédie de l'Islam Paris maison neuve 1986 P 1121 .

الثالثة:و هي المدرسة بصريح العبارة بأسسها ونظامها و هي تستجيب لوظيفة المسجد والخان والرواق و هي قائمة على وقف واحد يجد فيها الطلبة مأوى لهم[1].

اتخذت المدرسة وظيفتها الرئيسية من كونها أعدت لتضم بيوتا لسكنى طبقة متميزة من الفقهاء والطلاب ،وأنه لا مجال للأخذ بالفكرة القائلة من أن إنشاء المدارس كان لمناهضة الشيعة و نشر السنة وإعداد أئمة مختصين بالوعظ فيها وهي الأفكار المتداولة بين المستشرقين و الباحثين الغربيين،ذلك أن المساجد والجوامع كانت كفيلة بتحقيق ذلك الغرض،و أن المذاهب السنية الأربعة كانت تدرس فعلا في المساجد والصراع الذي كان قائما بين مذهب الشيعي في إيران والفاطمي القادم إلى بغداد قادما من المغرب عن طريق مصر والشام كان السبب المباشر لظهور المدرسة حيث ، شيدت مدارس كثيرة في العراق وبلاد فارس من قبل السلاجقة المتعصبين للسنة. [2]

*المدارس الزيانية:

ظهرت المدرسة كمؤسسة نظامية (ذات نظام تعليمي وإداري ومالي) مع مطلع القرن الخامس الهجري بالمشرق الإسلامي و منه امتدت إلى مختلف أنحاء العالم على فترات متفاوتة في الوقت الذي كان يعرف فيه المغرب الإسلامي نشاطا تربويا و تعليميا بالكتاتيب و المؤسسات التعليمية الصغيرة و ظل هذا الوضع قائما إلى منتصف القرن السابع الذي ظهرت فيه أول مدرسة أسست من قبل السلطان الحفصي أبي زكرياء (625-647هـ) بإفريقية وعرفت بمدرسة

---

[1] عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 300.

[2] نفس المرجع ص 301

الشماعين أو المدرسة الشماعية وكانت تسمى كذلك بأم المدارس ويعود تاريخ بنائها إلى فترة الواقعة ما بين 633هـ/647هـ (1235-1249) [1] و قد عرفت الدولة المرينية نظام المدارس النظامية وأول مدرسة تم بناءها كانت مدرسة الصفارين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني 675 هـ[2].

أما في المغرب الأوسط فقد عرفت تلمسان الزيانية عددا لا بأس به من المدارس وصل عددها إلى خمس حسب الوزان "...و توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة ، لها أئمة و خطباء، وخمس مدارس حسنة ، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء و غيرها من الأعمال الفنية،شيد بعضها ملوك تلمسان و بعضها ملوك فاس ...."[3]بالإضافة إلى هذه المدارس فكانت توجد مدارس أخرى عبر إرجاء المغرب الأوسط فمثلا كان بوهران مدارس و مؤسسات تعليماته حسب الوزان حيث قال "وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون،بناها الأفارقة

---

(1) لقد توالى بعد ذلك بناء المدارس في إفريقية لتدريس العلوم الدينية و النفعية منذ النصف الثاني،من القرن 7هـ/13م و تواصل تشيدها طوال القرن 8هـ/14م و شارك في هذه الحركة المعمارية خلفاء أبي زكرياء وأمراء البيت الحفصي و أميراته و رجال الدولة و الوزراء،حتى فاق عدد تلك المدارس في نهاية القرن 8هـ عشر مدارس.ومن بين أهم المدارس التي بنيت في هذه الفترة المدرسة التوفيقية المعروفة باسم مدرسة الهواء والتي أنشئت سنة 650هـ/1252م من قبل الأميرة الحفصية عطف أم المستنصر و زوجة أبي زكرياء.

(2) لقد شيدت هذه المدرسة قرب سوق صناعة النحاس،وذلك لطلبة العلم،وزودت بخزانة كتب،وقد شيدت عدة مدارس في القرن الثامن الهجري خاصة في عهد كل من أبي كل من أبي سعيد عثمان (الثاني) بن= =يعقوب 710/732هـ1310-1331م،و السلطان أبي الحسن علي بن عثمان 732-749هـ 1331-1348 م و السلطان أبي عنان فارس المتوكل 749-759هـ/1348-1357م.و أهم هذه المدارس مدرسة دار المخزن ومدرسة الصهريج ومدرسة السبعين و التي خصصت للقراءات السبع.و مدرسة تازا ومدرسة العطارين انظر عبد العزيز لعرج المرجع السابق، ص 313-314.

(3) الوزان،وصف إفريقيا، ص 19.

الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط ....و بها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة ،من مساجد و مدارس....."[1]

رغم انشغال ملوك بني زيان بحروبهم الداخلية و الخارجية فقد اهتموا بالجانب التعليمي و كانوا يحبون العلم و يقرّبون العلماء، وقد شيد بنو زيان كثيرا من المدارس الأنيقة التي مازال أكثرها قائما إلى اليوم ، ثلاث منها بمدينة تلمسان يضاف اليها المدرستان اللتان شيدهما بنو مرين بقرية العباد و سيد الحلوي.[2]

* **مدرسة ابني الإمام :**

تعد هذه المدرسة [3] أول مدرسة تبتني من قبل ملوك بن زيان ببلاد المغرب الأوسط بأمر من السلطان أبي حمو موسى الأول ما بين 707 و 718هـ وسميت على اسم العالمين الأخوين أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن الإمام (توفي سنة 749هـ/1348م) و أخيه أبي موسى بن الإمام (توفي سنة 757هـ/ 1356م) و هـما ابنا الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن عبد الله بن الإمام [4].

من أهل برشك و "هما إمامان مشهوران بالعلم والرياسة ولهما سلف صالح نزلا بتلمسان في أيام السلطان أبي حمو بن السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي

(1) الوزان، وصف إفريقيا ،ص 30 .

(2) Barges Tlemcen Op Cit P 325.

(3) يرى جورج مارسيه أن المدرسة كانت تقع غرب مسجد أولا الإمام و شماله،و كانت تشمل على قاعتين كبيرتين يتلقى فيها الطلبة العلم و كان يوجد على جانبي القاعتين بيتان يقيم فيهما شيوخ المدرسة.

انظر

Marçais et william :les monuments op cit 168 ايضا

Marçais (g) :remarques sur les medersas Funéraires en berberie, le Caire 1937 P 263.

(4) ابن خلدون ،بغية ح ا ص 130

يحي يغمرا سن بن زيان ، وقد ابتنى لها المدرسة المسماة بهما الآن داخل باب كشوطة " [1].

*** المدرسة التاشفينية:**

صارت المدرسة التي بناها أبو حمو موسى الأول لا تكفي عدد الطلبة وتهافتهم على العلم و الأدب ،فلم ير أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بدا إلا تشيد مدرسة أخرى ، عرفت بالمدرسة التاشفينية و قد جهز لبنائها أشهر البناءين والمهندسين و الفنانين ذوي الكفاءات و المهارات العالية في البناء والزخرفة والتنميق حتى جعلها قصيرا من قصور الملوك ،حيث أودع فيها نماذج الزخارف التي احتوت عليها قصوره.أما موقعها فكان بجانب الجامع الأعظم[2]فكانت تحفة فنية رائعة فكانت هذه المدرسة الجليلة عديمة النظر [3].

وكانـــت سنة افتتاحها 720هـ /1320م ، فأعتبر يوم تدشينها يوما عظيما حيث خضره العلماء و الفقهاء و قد زارها الفقيه أبو موسى عمران المشذالي[4] أعرف أهـــل عصره بمذهب الإمـــام مالك [5] والذي كـــان فقيها وعالما

[1]بغية الرواد ج1 ص 130 انظر أيضا.عبد الرحمن بن خلدون العبر مج ص 821-824،التنسى، ص 139.

[2] التنسي ، المصدر السابق، ص 141

[3]نفس المصدر و الصفحة عينها.

انظر أيضا عبد الحميد حاجيات ، أبو موسى ص 61.

Marçais (g) et w. :les monuments arabes de Tlemcen p.21

Marçais (g) remarques op cit p 274

انظر أيضا ثفادي (سيدي محمد):التصميم العمراني بمدينة تلمسان و دلالاته الاجتماعية رسالة ماجستير جامعة تلمسان1991.ص

[4] هو أبو موسى عمران المشذالي من أكبر فقهاء عصره أصله من زواوة بجاية و توفي في حدود 745 و لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك وحفظا للأقوال أصحابه، و عرفنا بنوازل الأحكام، وصوابا في الفتيا انظر بغية الرواد ص 130، انظر أيضا التنسي ص 141

[5] النسي ص 141،انظر أيضا ، ص 130

متفننا [1] وقد قال فيها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الجنان المكناسي:"تذكرت هنا و الشيء بالشيء يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبي تاشفين الزياني وهي من بدائع الدنيا".

أنظر بعينيك بهجتي و سنائي ❖ و بديع إتقاني و حسن بنائي

وبديع شكلي،واعتبر فيما ترى ❖ من نشأتي بل من تدفق مائي

جسم لطيف ذائب سيلانه ❖ صاف كذوب الفضة البيضاء

قد حف بي أزهار و شي نمقت ❖ فغدت كمثل الروض غب السماء [2]

وظلت هذه المدرسة تمثل من أعظم مدرسة بالمغرب الأوسط تقدم و وظيفتها لمدة خمسة قرون إلى عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر وقد قامت السلطات الفرنسية بهدمها وبناء دار البلدية مكانهما [3].

* *المدرسة اليعقوبية :*

ابتناها السلطان الزياني "أبو حمو موسى الثاني" 760-791هـ)سنة 765هـ بجانب الضريح الذي أقيم على قبور أبيه،أبي يعقوب يوسف و عميه أبي سعيد عثمان و أبي ثابت ، و الذي دفن فيه بعد ذلك العالم الصالح إبراهيم

---

(1) التنسي ، ص 141.

(2) المقري،نفح الطيب ج6 ص 47 ، انظر أيضا و محمد بن عمرو الطمار تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص 128.

(3) عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق ،ص 438.

المصمودي[1] و سميت باليعقوبية نسبة لأبيه يعقوب الذي توفي في شعبان 763 هـ[2].و كان أول من أستند إليه التدريس فيها هو العلامة "أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني" [3]. وكان أبو حمو موسى الثاني يحضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم و إكراما له[4].

* مدرسة أبي مدين شعيب (العباد)

لقد شيدت مدرسة العباد[5] من قبل السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وذلك عندما استولى على تلمسان سنة 737 هـ/1337م و بعد إصلاحه و ترميمه لمدينة المنصورة وإتمام جامع العباد بعد حوالي ثماني سنوات سنة 748هـ/1347م . وهذه المدرسة لا تزال شامخة تصارع عوادي الزمن ،تمتاز بزخرفتها وفنها المعماري ذي الأقواس المنكسرة و الآجر المدهون باللون الأخضر،و تعد مدرسة العباد أجمل مدرسة عرفت بالمغرب الأوسط ،ويوجد في فنائها صهريج مزخرف و فيه صحن دائري من الرخام كان مخصصا للشرب والوضوء [6] وكانت المدرسة تتكون من طابقين الطابق السفلي

(1) نفس المرجع و الصفحة عينها.

(2) حاجيات أبو حمو موسى الثاني المرجع السابق ص 159.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني، أحد رجال الكمال،علما ودينا لا يعرب عن عمله فن عقلي و لا نقلي إلا و قد أحاط به،أخذ عن أبي زيد و أبي موسى (ابني الإمام) و عن الشيخ عبد الله الآبلي توفي في ذي الحجة سنة إحدى و سبعين وسبعمائة.

انظر بغية الرواد ص 120،انظر أيضا نقادي، المرجع السابق ،ص 36.

(4) التنسي، المصدر السابق ، ص 180

(5) العباد قرية عتيقة واقعة في الجنوب الشرقي من تلمسان تبعد عنها بنحو ميل من تلمسان وهي كثيرة الازدهار وافرة السكان و الصناع و معظمهم من الصباغين وبها دفن ولي كبير ذو صيت شهير ... وهناك مدرسة جميلة جدا ... أسسها بعض ملوك فاس من بني مرين ... انظر حسن الوزان المصدر السابق ، ص 24.

(6) عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 182

و يحتوي على عشر حجرات و الطابق العلوي يتضمن ثماني حجرات وكانت هذه الحجرات مخصصة لطلاب العلم الداخليين .كما كانت توجد بالمدرسة حجرات أخرى عند المدخل على يمين قاعة المحاضرات و شمالها و يتبين أنها كانت مخصصة لتخزين المواد الغذائية وأدوات التنظيف وطهو الطعام[1].

* مدرسة سيدي الحلوي :

أنشئت هذه المدرسة سنة 754هـ / 1353 من قبل ابن أبي الحسن المريني و هو"أبو عنان فارس " الذي حذا حذو والده في بنائه لمدرسة العباد ، فقد اختار موقعا منحدرا يشغله حي سكني يضم قبر أحد نزلاء تلمسان من العلماء الصالحين الناسكين و هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بسيدي الحلوي الأندلسي [2] .

* مدارس وهران والجزائر ومازونة :

لقد انفرد الحسن الوزان بذكر هذه المدارس دون التحدث عنها بالتفصيل حيث ذكر "وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون ، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر ... بعيدة بنحو مائة و أربعين ميلا من تلمسان ... و بها المؤسسات ... من مساجد و مدارس ... [3] .

أما مازونة فكانت توجد بها مدارس تشبه إلى حد كبير مدارس تلمسان.

---

[1] عبد لي لحضر مملكة تلمسان في عهد بني زيان أطروحة دكتوراه الدرجة الثالثة جامعة تونس 1987 ص 289-292.

[2] هو شيخ الولي أبو عبد الله الشرذي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل "تلمسان من كبار العباد العارفين، وقيل أنه ولي القضاء باشبيلية في عهد الدولة الموحدية ثم فر بنفسه منه و أوى إلى تلمسان في زي المجانين ويقال أيضا أنه كان يبع الحلوى و يتصدق بالثمن.

[3] الحسن الوزان وصف إفريقيا ، ص 30.

أما مدرسة الجزائر [1] فقد أسسها أبو الحسن المريني و كانت عبارة عن مسكن للطلبة يتخذونه مستقرا يأكلون فيه ويشربون[2].

وكان الطلبة يتلقون بها مختلف العلوم من علوم دينية و نحو و أدب و غيرها من الفنون .

كان ملوك بني زيان يعطون أهمية كبيرة و عناية فائقة لهذه المدارس و يجرون الأرزاق و المنح للأساتذة و الموظفين بها.

أما طريقة التعليم الجاري بها العمل آنذاك،فكانت طريقة الإلقاء و الشرح، فكان يقوم أحد المتمدرسين النجباء بقراءة نص من مؤلف مشهور في المادة المدروسة ،و يتولى الأستاذ شرحه فقرة بعد فقرة ، و الطلبة يقومون بتقيد في دفاترهم ما يسترعي انتباههم من شرح وأجوبه، و من بين العلوم التي كانت تحتل الصدارة بهذه المدارس كانت العلوم الدينية إلى جانب العلوم المساعدة النحو، واللغة،و البلاغـــة و المنطقة وتاريخ و طب و حســـاب و علـــم فلك [3] .

4-المكتبـــــات:

لم تقتصر الكتب المتداولة في بلاد المغرب الأوسط و الأندلس على الكتب المؤلفة في كل بلد منها،بل كانت من كل العالم

---

(1) الجزائر معناها الجزر سميت بذلك لأنها بمجاورة لجزر ميورقة اليابسة و يسميها الأسبان Alger والمدينة قديمة من بناء قبيلة إفريقية تدعى مزغنة فسميت الجزائر بني مزغنة . أنظر الحسن وزان وصف إفريقيا ، ص 37.

(2) مفدي زكرياء النشاط العقلي و التقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين ، مجلة الأصالة عدد 26 جويلية 1975 ص 166 .

(3) عبد الحميد حاجيات ، و آخرون ، المرجع السابق ، ص 438 – 439.

الإسلامي ،كما لم تنحصر المكتبات في المؤسسات التعليمية والثقافية (المساجد والمدارس و الزوايا ، الكتاتيب)بل أيضا لدى الخاصة، و في بيوت الأسر العريقة بالعلم[1]و لدى الوراقين [2]ومن بين هاتة المكتبات ،المكتبات التي أنشأها ملوك بن زيان بالمغرب الأوسط فنجد:

– المكتبة التي أنشأها الملك أبو حمو مـوسـى الثاني سنة 760هـ/1359م) بالجامع الأعظم بتلمسان على يمين المحراب بالمكان من الجدار القبلي بالمكان الذي لا زالت فيه الخشبية، ذات الكتابة المنقوشة،التي كانت فوق بابها وكتب عليها :أمر بعمل هذه الخزانة المباركة ، السلطان أبو حمو ابن الأمراء الراشدين أيد الله أمره، وأعز نصره ونفعه بما وصل ،ونوى وجعله من أهل التقوى، وكان الفراغ من عملها ،يوم الخميس ثالث عشر لذى القعدة عام سبعمائة وستين " وكانت هذه المكتبة تزخر بالكتب المختلفة في جميع العلوم والفنون[3]و لم تفقد تلك الكتب إلا حوالي عام 1266هـ/1850م حينما قامت مصلحة الآثار التاريخية بترميم الجامع الأعظم بعد تغيير طرفيه الجنوبي و الشمالي.

– المكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني بن أبي حمو موسى الثاني 796 هـ/1394م) وكانت بالجهة الأمامية من الجامع الأعظم وكانت تحتوي على مؤلفات نفيسة منها ما نسخ باليد كالقرآن الكريم وصحيح البخاري ونسخ من

---

(1) بوشامة ، المرجع السابق 453.

(2) حيث يذكر ابن الخطيب أن أحد المشتغلين بالعلم،و هو محمد بن محمد بن يشر العبدري الغرناطي (680-753هـ/1281-1352م) أصبح يشتغل بتجارة الكتب، إلى جانب اشتغاله بالعلم فأثرى منها،و حسنت حالة ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ج 3 ص 27-31.

(3) طاقة المؤسسات المرجع السابق ص 107 ،انظر حاجيات أبو حمو، المرجع السابق، ص 183.

كتاب الشفاء[1] و للقاضي أبي الفضل عياض[2] وكانت قد نسخت هذه الكتب من قبل السلطان أبو زيان محمد الثاني و أوقف عليها أوقافا تكفل حسن سير عمالها واستمرار نشاطها التعليمي و الفكري .

(1) التنسي نظم الدر، المصدر السابق،ص 211

(2) القاضي عياض ابن موسى المتوفى سنة 544هـ/1149 من كبار علماء وقته في الفقه والحديث، و أشهر تصانيفه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"وبقي كتابه هذا يتمتع بشهرة كبيرة في أرجاء المغرب كله و كان قد نسخه بيده السلطان أبو زيان محمد بن أبي موسى .انظر التنسي ، المصدر السابق، ص 211.

الفصل الثاني

علوم الفقه والتصوف

تمهيـــــد:

لقد امتازت الحياة الفكرية في المغرب الأوسط بتقدم ملحوظ في مجال العلوم الدينية ، التي احتلت الصدارة،وحظيت بعناية قصوى [1] وكانت هذه العلوم تتخذ من القرآن الكريم و السنة النبوية أساســا لها [2] وما تتصل بها من علوم اللسان العربي ،فالعلوم الدينية أو الشرعية كما كان يطلق عليها من أنواع التفسير و علم القراءات وعلم الحديث و الفقه و المواريث وأصول الفقه والعقائد و علم الكلام وعلم التصوف، أما علوم اللسان فكانت تهتم بعلم اللغة و علم النحو و الأدب [3].

لقد كان يغلب على الدولة الزيانية الطابع الديني الذي ورثته على الموحدين الذين بنوا دولتهم على أساس تعاليم إصلاحية أخذت من تعاليم حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي النابعة بدورها من مبادئ الأشاعرة .[4] فهذا الطابع الديني أدى إلى انتشار وازدهار العلوم النقلية بأنواعها وكان هذا الازدهار مصحوبا بانتشار التصوف وظهور المتصوفة والزهاد والعباد والعلماء فاشتهر الكثير منهم [5].

---

(1) عبد الحميد حاجيات و آخرون ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ص 340.

(2) ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان) المقدمة دار الفكر للطباعة و النشر بيروت لبنان 1996 ص 550.

(3) نفس المصدر و الصفحة عينها..

(4) مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تقديم و تصحيح محمد الميلي ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 338.

(5) مكيوي (محمد) الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول، (1236-737هـ-1337م) ،رسالة ماجستير، جامعة تلمسان 2000-2001- ص 145.

علـــوم الفقـــه والتصـــوف :

من بين العلماء الذين اشتهروا في علوم الدين هم :

1-أبو سحاق إبراهيم بن يخلف التنسي [1]

نشأ بتنس و توجه إلى بجاية لطلب العلم ،ثم رحل إلى المشرق ، فأخذ المنطق والجدل والكلام وغير ذلك من العلوم عن كثير من العلماء والفقهاء أمثال القرافي وابن دقيق العيد و شمس الدين الاصبهاني ثم عاد إلى مسقط رأســه ، واستقدم من قبل السلطان يغمراسن الزياني 666 هــ فكان قبل ذلك يكاتبه كثيرا، و يرغبه في سكنى تلمسان وكان السلطان يغمراسن قد اجتمع معه بالجامع الأعظم ومعه فقهاء تلمسان وقال له :ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج "[2]ولقد استقر بتلمسان مدة طويلة منتصبا للتدريس وقد انتفع به خلق كثير فأخذ عنه كثيرون ومن من أخذ عنه : أبو عبد الله بن مرزوق، جد الجد،و أبو عبد الله بن الحاج العبدري، صاحب المدخل .

و من مؤلفاته شرح كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهى لأبي محمد عبد الوهاب المالكي في الفروع في عشرة أجزاء .

---

[1] أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي من العلماء الصالحين الأولياء عرف بالزهد والورع توفي في حدود 680هــ و هو دفين العباد أنظر بغية الرواد المصدر السابق ص 114، انظر أيضا التنسي المصدر السابق ، ص 126-127 .

[2] التنسي، المصدر السابق ، ص 127.

2- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني:

ولد سنة 629هـ، وكان من العلماء الصالحين [1]، ومن الأولياء أعلام محدثا وفقيها و قد أخذ العلم عن أبي زكرياء ابن عصفور و عن أبي إسحاق التنسي والشيخ الصالح أبي عبد الله الكفيف ،و أبي عبد الله المالقي والفقيه أبي عبد الله محمد بن النجّام والفقيه أبي زيد اليزناسني و كلهم من تلمسان وكان قد توفي سنة 681هـ و دفن إزاء أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان في دار الراحة من الجامع الأعظم لوصية أمير المسلمين تبركا بجواره[2].

3- ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يخلف التلمساني:

ولد بتلمسان سنة 609هـ و نشأ بها و درس على علمائها ثم رحل إلى طلب العلم واستقر بسبتة (المغرب الأقصى) و بها توفي سنة 690هـ واشتهر بأرجوزته في الفرائض التي ألفها سنة 630هـ [2].

4- أبو الحسن التنسي:

أخو أبي إسحاق قام بالتدريس بعد وفاة أخيه ونال حظوة عند يغمراسن بن زيان ثم عند السلطان أبي سعيد الأول ومن تلميذته أبو عبد الله الآبلي ، فقد خرج إلى السلطان أبي يعقوب المريني فاستقبل بحفاوة و بقى في بلاطه حتى أن توفي وقبره بالعباد [3].

---

(1) بغية الرواد ،المصدر السابق ، ص 114.

(2) البستان، ص 226. بغية الرواد ،ص 115 ، انظر أيضا عبد الحميد حاجيات، الأصالة، ص140 .

(2) عبد الحميد حاجيات: الأصالة، ص 140،بن دود نصرالدين ،أسرة المرازقة ودورها الثقافي بتلمسان من القرن 7 إلى القرن 10 الهجري ، رسالة ماجستير 2004 ،وهران ص25ـ30.

(3) بغية الرواد ،115 ، انظر أيضا حاجيات، أصالة ،المرجع السابق، ص 140.

5- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام:

أكبر الأخوين ابني الإمام و أصلهما من برشيك ، رحلا إلى تونس لطلب العلم حوالي سنة 700هـ فدرسا العلوم النقلية على تلامذة ابن زيتون،وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي ثم عاد إلى المغرب الأوسط أيام السلطان أبي حمو ابن السلطان أبي سعيد بن يحيى يغمراسن بن زيان فأكرم مثواها وابتنى لهما المدرسة[1] التي ستعرف باسميهما وأقاما يدرسان بها وقد أخذ عنهما الكثير من العلماء المشهورين أمثال الآبلي و المقري الكبير وأبي عبد الله الشريف، وسعيد العقباني وابن مرزوق الجد من مآثره شرح على مختصر ابن الحاجب في الفروع.

6/ أبو موسى عمران بن موسى المشدالي :

أصله من زواوة بجاية من كبار الفقهاء و خيار العلماء الصلحاء أخذ ببجاية عن الشيخ ابن على ناصر الدين واستقر بتلمسان أيام حكم السلطان أبي تاشفين ،كان مدرسا بالمدرسة التاشفينية [2] وكان قد أخذ عنه الفقيه أبو العباس احمد بن أحمد المشوش و الفقيه أبو البركات الباروني والفقيه أبو عثمان العقباني وأبو عبد الله الشريف لم يكن في معاصري هذا العالم الفقيه أحد مثله علما بالمذهب المالكي [3] ،توفي أيام السلطان أبي الحسن المريني 745 هـ[4].

---

(1) بغية الرواد ، ج1 ، ص 130 ، التنسي، ص 139.

(2) التنسي ، ص 141 ، بغية الرواد ، ج 1 ص 131.

(3) التنسي ، ص 141 ، بغية الرواد ، ج1 ، ص 131 .

(4) التنسي ، ص 141 ، بغية الرواد ، ج1 ، ص 131. حاجيات ، الأصالة ، ص 141.

7/أبو محمد ويكنى أبا فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف (602-686هـ)

و هو فقيه محدث من أهل تلمسان انتقل إلى بجاية و أخذ عن بعض الشيوخ أبي الحسن الجدالي وأبي بكر بن محرز، و أبي العباس المليان،و أبي زيد اليزناسي . و أبي الحسن بن أبي نصر ،[1] و قد تولى القضاء و في كل من بجاية و قسنطينة و بسكرة و مدينة الجزائر[2] ، كان مبارك التعليم ميمون النقية في التفهم درس عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به . ومن بينهم " أبو العباس أحمد الغبريني صاحب مؤلف عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية.

8/ أبو عبد الله محمد بن محمد المقري:

و لد بتلمسان ، درس على علمائها أمثال الأخوين ابني الإمام و أبي موسى عمران المشذالي،و القاضي ابن عبد النور،و أبي محمد المجاصي وأبي عبد الله المنصور بن هدية و أبي عبد الله التميمي و كان قد رحل إلى بجاية وتونس وأخذ عن كثير من علماء تونس ثم عاد إلى تلمسان و كان قد توجه إلى المشرق ،فلقي بمصر أبا حيان النحوي ،و شمس الدين الاصبهاني وشمس الدين بن عدلان ثم رحل إلى الشام ، فلقي بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية و صدر

(1) الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار ش.و ن . ت الجزائر ط2 الجزائر 1981 ص 91 ، 92.

(2) نفس المصدر ، ص 91.

الدين الغماري المالكي و غيرهما،و ولي قضاء و الجماعة بفاس و مات بها سنة 656هـ [1].

9/ -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني الشهير بالخطيب و كنيته شمس الدين:

ولد بتلمسان سنة 711هـ [2]و ارتحل مع والده إلى المشرق سنة 718 فأقام بالقاهرة و أخذ على برهان الدين الصفاقصي [3] و عند عودته إلى المغرب الأوسط سنة 735هـ فوجد السلطان المريني أبا الحسن المريني محاصرا تلمسان ، و الذي شيد بها مسجد العباد الذي سيصبح هذا العالم خطيبا بهذا المسجد حيث نال حظوة السلطان فصار من المقربين إليه [4] وجعله يلازم العلماء والفضلاء والأكابر،و حضر معه وقعة طريف ثم أصبح عنصرا هاما في المفاوضات التي كانت ما بين السلطان المرني و ملك قشتالة في تقرير الصلح بينهما و تحرير ابن السلطان " (أبو عمر تاشفين)من الأسر،كما قام بمهمة المصالحة بين الملك أبي سعيد الزياني والسلطان أبي الحسن المريني الأمر الذي أدى بأبي ثابت إلى إلقاء القبض عليه وسجنه.

ولقد تولى الخطابة بمسجد الحمراء بغرناطة و بجامع الموحدين بتونس في عهد السلطان أبي إسحاق إبراهيم الحفصي (751-770هـ/1350-1369م)ثم ارتحل

(1) عبد الحميد حاجيات ،الأصالة المرجع السابق، ص 142، بغية الرواد ص 121.

(2) الإحاطة، المصدر السابق ص 130 ، بغية الرواد ، ص 115.

(3) التنسي، المصدر السابق ص 184، لسان الدين بن الخطيب ص 104 ، بغية ص 115.

(4) عبد لي لخضر ، المصدر السابق، ص 199.

إلى المشرق فزار الإسكندرية والقاهرة فاتصل بالسلطان الأشرف وأمراء الدولة وأهل العلم.

ومن تآليفه:عجالة المستوفر و المستجار في ذكر من سمع من المشايخ دون من إجاز من أئمة المغرب و الشام و الحجاز،و تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام في خمسة أجزاء ، وشرح الشفاء [1] للأبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض [2]و شرح صحيح البخاري ،و المنسد الصحيح الحسن في مآثر محاسن مولانا أبي الحسن، وكتاب الإمامة ،و شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق وشرح فرعي ابن الحاجب سماه:إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب.

و بيت شمس الدين الخطيب بيت علم ودراية ودين و ولاية كعمه و أبيه وجده وجد أبيه و كولديه محمد و أحمد و حفيده الإمام النظار الحفيد بن مرزوق وولد حفيده المعروف بالكفيف و حفيد حفيده المعروف بالخطيب [3] و كانت وفاته في ربيع الأول سنة 781هـ [4] .

10/ أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني:

ولد بتلمسان سنة 720هـ/1360م)أخذ فيها عن ابني الإمام،ثم درس على الآبلى الأصول والعلوم العقلية و أخذ الفرائض على الشيخ الحافظ

(1) مؤلف الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، هو أعظم كتب القاضي الإمام الحافظ عياض ابن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المتوفى بمراكش سنة 544 هـ .

(2) الإحاطة، المصدر السابق ، ص 126.

(3) أحمد بابا التنبكتي (ت 1036 هـ) نيل الابتهاج بتطريز الديباج تحقيق علي عمر مج 2 ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 204 م ، ص 116، 117. انظر البستان ، ص 189.

(4) حاجيات، الأصالة ، ص 144 .

السطي [1]وهو قاضي من أكابر علما تلمسان و فقهاء المالكية في عهده[2] وذكر صاحب البستان أنه كان يقال له رئيس العلماء و العقلاء بتلمسان

ولى قضاء بجاية أيام السلطان أبي عنان أو قضاء تلمسان و سلا ومراكش[3] واستغرقت مدة ولايته ما يزيد عن أربعين سنة و أخذ عنه جماعة من تلاميذه ابنه قاسم العقباني و الإمام أبي الفضل بن الإمام ،و ابن مرزوق الحفيد ،إبراهيم المصمودي،وأحمد بن زاغو وبالإجازة الإمام النظار محمد بن عفان الجذامي[4]. ومن مناقبه تركه لعدة شروح منها :شرح الحوفي و شرح جمل الخونجي على ابن الحاجب الأصلي، و شرح التلخيص لابن البناء ،وشرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر و المقابلة و شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين ، وشرح البردة وله تفسير سورة الفتح [5] و كانت وفاته سنة 811هـ/1408م.

11 / ابن مرزوق الحفيد:

وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر ابن مرزوق الحفيد ولد بتلمسان سنة 766هـ/1354م و توفي عام 842هـ /1438 م.

عرف بالحفيد واختص بلقب ابن مرزوق و هو والد ابن مرزوق الملقب بالكفيف وحفيد ابن ابنته محمد ين مرزوق المعروف بالخطيب،و هو فقيه أصولي، و مفسر

[1] نزيل القاهرة أخذ بتلمسان عن جماعة منهم ، محمد ابن احمد بن قاسم العقباني و محمد بن الجلاب ولد سنة 851هـ . أنظر البستان ص 55 .

[2] علي علواش ، معجم مشاهير المغاربة جامعة الجزائر 1995 ، ص 363.

[3] بغية الرواد ، ج1، ص 133 ، البستان ص 106 ، نيل الابتهاج ص204 .

[4] البستان ص 107،نيل الابتهاج ص 204

[5] البستان ص 106،نبيل الابتهاج ص 204.

و محدث حافظ للرواية و السند و فقيه مالكي ، كما كان من المتصوفين،وناظما لغويا متضلعا في النحو و البيان و العروض[1] و مفتي سني، لقب بشيخ الإسلام وشيخ العلماء في زمانه، و بإمام الأئمة وإمام المسلمين في عصره.

أخذ العلم في البداية بتلمسان عن والده و عمه و عن الشيخ سعيد العقباني وأبي إسحاق المصمودي، ثم ارتحل إلى تونس فأخذ عن ابن عرفة و حج رفقته سنة 790هـ و أخذ عن الشيخ القصار ، ثم سافر إلى فاس فأخذ شيوخ المكودي ، وأخذ عن سراج الدين البلقيني و أبي الفضل و الفيروز بادي وابن هشام النويري بالقاهرة وحج للمرة الثانية سنة 819هـ و أجازه في المشرق شيوخ منهم "أبو القاسم محمد الخشاب" و "محمد علي الحفار الأنصاري" و" محمد القيجاطي" ، ولقي الإمام ابن حجر و أخذ عنه ، قال عنه ابن الحجر:"نعم الرجل معرفة بالعربية و الفنون و حسن الحظ و الخلق والوقار والمعرفة والأدب التام " [2].

و قد أتقن فقه مالك و تولى الإفتاء على مذهبه فقيل عنه :"لو رآه الإمام مالك لقال له : "تقدم فلك العهد و الولاية ، وتكلم فمنك يسمع فقهي بلا محالة" وأتقن فقه ابن القاسم و المازري وابن رشد و اللخمي و القرافي ،و أخذ في التفسير بالتأويل على طريقة الزمخشري و صارت إليه الرحلة في الحديث ورواياته و دراياته ، أما في الأصول فكان لا يناظـره أ حد لقوة حجته و ممن قرأ عليه أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني و أبو زيد الثعالبي التونسي

---

(1) التنسي ص 14 ، نيل الابتهاج ، ص 172.

(2) معجم مشاهير ، المرجع السابق ، ص 486 ، نيل الابتهاج ص 179 ، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر الطبعة الثانية مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان 1983 ص 290-291

والشيخ عبد الرحمن الثعالبي الجزائري و قاضي الجماعة عمر القلشاني و نصر الزواوي و الحسن أبركان و القلصادي [1].

و من آثاره شروحه الثلاثة على البردة الأكبر و الأوسط والأصغر و المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج، و تفسير سورة الإخلاص ، و حرز الأماني للشاطبي ،و أنور الدراري في مكررات البخاري، شرح صحيح البخاري، المترع النبيل في شرح مختصر خليل و له بعض الفتاوى في مسائل فقهية سئل عنها مثل إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم [2]،و المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، و المفاتيح في شرح السقراطيسية، جزآن في علم الحديث و مختصر الحديقة ،و المقنع الشافي ، أرجوزة في الميقات 1700 بيت وأرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية و أرجوزة نظم بها تلخيص ابن البناء و أرجوزة نظم بها جمل الخونجي،و نهاية الأمل في شرح الجمل، وشرح صحيح البخاري المسمى بالمتجر الربيح و السعي والرجيح و الرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح [3] وغيرها من المؤلفات الأخرى في المنطق و التفسير و الحديث والأصول.

---

(1) التنسي ص 14، نيل الابتهاج ص 180-182 انظر أيضا القلصادي (أبي الحسن علي): رحلة القصادي دراسة و تحقيق محمد أبو الاجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، قرطاج تونس ،ص 96، 97 .

(2) نيل الابتهاج ص 181/180 ، البستان ص 206-208، التنسي 14-15، انظر أيضا عادل نوهيض ، ص 291-292.

(3) عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ج2 ص 210-215 الطمار تاريخ الأدب الجزائري الأدب الجزائري ص 117.

و توفي كما ذكر القلصادي و غيره يوم الخميس رابـــع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة 30 ينايـــر 1439 و دفن يوم الجمعة بالجامـــع الأعظـــم من تلمســـان [1] .

12/ أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني : (782-845-1380-1441م).

هو الشيخ الفقيه الإمام المفتي المدرس المؤلف سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المغراوي الخزري المشهور بابن زاغو [2] ولد سنة 782هـــ أخذ عن أبي عثمان سعيد العقباني. و عن الشيخ العارف المفسر ابن يحيى الشريف[3]و غيرهما .

فقد تصدر للإقراء و التدريس بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان فكان متضلعا في التفسير و الحديث و الفقه و البيان و الحساب و الفرائض.وقد أخذ عنه جماعة كالشيخ العالم يحيى بن يدير والعالم المصنف ابن زكرياء يحي المازوني،و الحافظ التنسي وابن زكري ،و الشيخ العالم أبي الحسن قلصادي الذي ذكره في رحلته فقال :شيخنا و بركتنا الفقيه الإمام المفتي المصنف المدرس المؤلف، ذلك سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي الخزري الشهير بابن زاغو ... أعلم الناس في وقته في التفسير وأفصحهم في التعبير اخذ بمذهب الإمام مالك،و فاق على نظراته و أقرانه في دلائل السبل و المسالك ، إلي سبق في

[1] القلصادي ص 97،البستان ص 212.

[2] القلصادي، ص 102

[3] البستان ص 41، 42، نيل الابتهاج ص 122، ج 1 ، عادل نويهض ، ص 156 ، 157.

الحديث و الأصول و قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم و الفهم المستقيم و به يضرب المثل في الزهد والعبادة، وعند كلامه تفق الفتا في الأذكار و الإرادة، مقبل على الآخرة معرض عن الدنيا عار عن زخرفها إلا ما يتخذه من ثوب حسن أو هيئة فيها جمال أكرمه المولى بقراءة القرآن،و شرفه بملازمة قراءة العلم و التصنيف والتدريس و التأليف، له نسب أشهر من الشمس في السماء وحسب كاتساق عقد النجوم في بحر الظلماء ،و خلق أندى من الزهر و أسوغ من الماء، ونزاهة الهمة العالية والمشاركة المباركة للخاصة والعامة من هذه الأمة مع إيثار الخلوة و إجابة الدعوة، ولما رأيت نجاح دعوته و صلاح حالي بالتماس بركاته لازمته و ترددت إليه ، فكنت أجد في مجالسته فوائد تنسي الأوطان وأرد من بحر فيضه ما يحي به الظمآن، فسرت إلى خدمته مسرعا فصيرني كبعض أولاده و أنزلني منزله أصدقائه فقرأت عليه صحيح البخاري كله، و من أول صحيح مسلم إلى أثناء الوصايا .[1]

و من تآليفه:مقدمة في التفسير و تفسير الفاتحة و التذييل عليه في ختم التفسير،و منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح غير مرة، وشرح التلخيص لوالده، وحكم ابن عطاء الله وشرحها لابن عباد و لطائف المنن وتآليف أبي يحى الشريف على المغفرة و إحياء الغزالي [2] توفي ابن زاغو يوم

---

[1] رحلة القلصادي ،ص 103،نيل الابتهاج ص 123

[2] التنسي ص 16،البستان ص 42 - 43 ، نيل الابتهاج 123- 124 ، القلصادي، ص 106-107 ، عبد الحميد حاجيات ،الأصالة ، ص 147، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 157.

الخميس عند وقت العصر الرابع عشر من ربيع الأول عام خمسة و أربعين و ثمانمائة / 1441 م [1].

13/ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبو زيد:

هو أبو زيد بن محمد بن مخلوف ولد ناحية وادي " يسر" جنوب شرقي الجزائر واشتهر بالثعالبي [2] و لد سنة 786هـ أخذ تعليمه ببجاية سنة 80 هـ و أخذ عن علمائها و كان في مقدمتهم أبو العباس النقاوسي، وأبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي ،و أبو الربيع سليمان بن الحسن الفقيه المحقق، وأبو الحسن علي بن محمد البليليتي و على بن موسى[3] ثم ارتحل إلى تونس 809هـ فانتفع بعلم الإمام أبي عبد الله الآبي و الإمام أبي القاسم البرزلي و أبي يوسف يعقوب الزغبي ثم انتقل إلى مصر سنة 817هـ فانتفع بعلمائها كأبي عبد الله البساطي و ولي الدين العراقي ثم انتقل إلى تركيا و منها إلى الحجاز ثم رجع إلى تونس 819هـ فأخذ عن أبي عبد الله القلشاني [4] وعند عودته إلى المغرب الأوسط و لي القضاء ثم استقال من منصبه وانقطع للتدريس والتأليف [5].

و من تآليفه :الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،و الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز ،وتحفة الإخوان في إعراب بعض آيات من القرآن ، والدرر اللوامع في قراءة نافع،و ومختارا من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع،و الأنوار المضيئة ،

---

(1) القلصادي ص 107، نيل الابتهاج ص 124، البستان، ص 43.

(2) نيل الابتهاج ، ص 282،عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، ص 90.

(3) نيل الابتهاج ص 283،عادل نويهض ، معجم إعلام الجزائر، ص 90.

(4) نيل الابتهاج، ج1 ص 284.

(5) حاجيات عبد الحميد و آخرون ص 444

وجامع الخيرات وكتاب الأنوار في آيات النبي المختار،و جامع الأمهات في أحكام العبادات نور روضة الأنوار و نزهة الاختيار،و نور الأنوار و مصباح الظلام و كتاب الإرشاد ،و شرح على مختصر خليل ورياض الصالحين والإرشاد في مصالح العباد و العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة و إرشاد السالك ، والأنوار و المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة والتقاط الدرر، والدرر الفائق في الأذكار و الدعوات [1] .....الخ.

14/ أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون :

اشتهر بالمطغري (871-951هـ ،1466-1545) ولد بمطغره من أعمال المغرب الأوسط لازم ابن غازي بعد انتقاله لفاس عام 891هـ و أخذ عنه الموطأ التفسير ، العمدة و العربية و الحساب وخليل و الفرائض، فقد حصل عنه علما جما حتى قيل له:خزانة علم لكثرة الفنون عنده،أجازه ابن غازي عام ستة وتسعمائة و ختم عشرين ختمه بالسبع و غيرها، و البخاري نحو عشرة خاتمات والموطأ بالباجي،و غيره قراءة بحث و تحقيق ، وجامع الأصول لابن الأثير وترغيب المنذري و اكتفاء أبي الربيع بقراءة ولد الشيخ أحمد بن غازي، وانتفع عليه في هذه الكتب و في شروحها و كذا في الأصول كالسلاجية و عقيدة ابن أبي زيد وأصلي ابن الشيخ ومختصرا ابن عرفة، وقانون ابن العربي ،و جمع الجوامع، وموافقات الشاطبي ،و التنقيح وفي الرسالة أربع ختمات و المدونة والمختصر مرتين وابن الحاجب و بعض التوضيح وابن عرفة والألفية مرارا واللامية والجرومية والمغنى والشاطبية الكبرى و التسيير وابن برى و مورد

---

[1] نيل الابتهاج ج1 ص 284،حاجيات و آخرون ص 444،عادل نويهض، المرجع السابق، ص 305-306.

الظمآن و التلخيص مع شرح السعد والبردة بشرح ابن مرزوق مرارا و ابن أبي جمرة على البخاري و الحكم مع شرحها لابن عباد ، ومختصر الأحياء للبلالي وجمل الخونجي بعض مقدمة ابن الحاجب و رجز الونشريسي [1].

وأخذ المطغري أيضا عن العباس الونشريسى و القاضي المكناسي و عن أبي العباس الزاجني و أخذ عنه عبد الواحد الونشريسي و اليسيتني و الزقاق وغيرهم، توفي في ذي القعدة سنة إحدى و خمسين وتسعمائة 951هـ [2].

15 / أبو إسحاق التنسي:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي من العلماء الصالحين [3] نشأ بتنس و توجه إلى بجاية لطلب العلم ، ثم رحل إلى المشرق فأخذ عن ابن دقيق العيد، ابن كحلي وناصر الدين المشذالي، وشمس الدين الأصبهاني و قرا المنطق و الجدل على القرافي.وقد ذكره الشيخ أبو عبد الله العبدري الحاجي في رحلته فقال :"كان الشيخ أبو إسحاق التنسي وأخوه فقيهين مشاركين في العلم مع مروءة تامة ودين متين، وأبو إسحاق أسنها وأسناهما و هو ذو صلاح و خير، وكان شيخنا الزين ابن المنير حفظه الله يثني عليه خيرا كثيرا،وسألني عن الغرب فذكرت له قلة رغبة أهله في العلم فقال لي بلاد فيها مثل أبي إسحاق التنسي ما خلت من العلم ، ولقيتهما بمصر وكان أبو الحسن لم يحج فحج معنا ......"[4] و عندما يرجع إلى مسقط رأسه كان قد

(1) نيل الابتهاج، ج1 ص 390-391.

(2) نيل الابتهاج ،ج1 ص 391.

(3) بغية الرواد،ج1 ، ص 14.

(4) نيل الابتهاج ،ص 21-22.

استولى السلطان يغمراسن بن زيان على تنس، استقدمه إلى تلمسان و طلب منه أن يقيم فيها لتدريس العلوم النقلية ،فاستقر فيها و درّس بها وانتفع به خلق لا يحصون [1] ، و من تلاميذه أبو عبد الله بن مرزوق، جد الجد و أبو عبد الله بن الحاج العبدري[2] صاحب المدخل وأشتهر تأليفه: شرح كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهى لأبي محمد عبد الوهاب المالكي، في الفروع في عشرة أجزاء وتوفي أبو إسحاق التنـــسي سنة 680 بتلمسان [3].

16- أبــو الحسن التنسي:

هو أخو إسحاق وهو من كبار العلماء [4] كان قد قام بالتدريس بالجامع الأعظم على سنة 696هـــ حيث انتقل إلى المسجد الذي شيده الأمير أبو سعيد عثمان الأول وقد نال الحسن التنسي حظوة عند يغمراسن بن زيان؛ ثم عند أبي سعيد عثمان الأول. و من تلاميذه: أبو عبد الله الآبلي [5] ولما حاصر أبو يعقوب المريني تلمسان، خرج إليه أبو الحسن التنسي والتحق به فاستقبله بحفاوة،وقد مكث في بلاطه إلى أن توفي قبل انتهاء الحصار سنة 706 و شهد

---

(1) نيل الابتهاج، ص 21،ابن خلدون العبر ج7 ص 86.

(2) عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق،ص 439

(3) عبد الحميد حاجيات و آخرون، ص 439.

(4) بغية الرواد ص 114،التنسي ص 127، انظر أيضا عبد الحميد حاجيات و آخرون ،ص 440،عبد الحميد حاجيات، ،الأصالة، ص 140.

(5) عبد الحميد حاجيات و آخرون ص 440،عبد لي لحصر، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 218 حاجيات أبو حمو موسى، ص 43.

السلطان أبو يعقوب جنازته بضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب و لم شهد جنازته أحد قبله [1].

17/ أبو عمران موسى المشذالي البجائي:

من كبار الفقهاء و علماء عصره من بجاية، و لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك ، وحفظا لأقوال أصحابه وعرفانا بنوازل الأحكام،ووصايا في الفتيا، ولد سنة 670هـ/1271م ببجاية و تلقى تعليمه بها على يد ناصر الدين المشذالي و غيره ، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر ثم ،إلى تلمسان فدرّس بها الحديث و الفقه والأصلين و الفرائض و المنطق و الجدل وكان كثير الاتساع في الفقه و الجدل، كان حافظا علامة محققا كبيرا، أخذ عنه أبو العباس أحمد المشوش وأبو البركات الباروني و سعيد العقاني و المقري الذي قال :"رأيته إذا دخل المسجد بعد المغرب قبل الإقامة يثبت قائما إلى أن تقام الصلاة و أنا لا أدري ذلك بل يركع الداخل لا انتهاء وقت المنع بالغروب،وما وقع في المذهب في ذلك فالمبادرة للصلاة و هو لم يفعل، فإن كان ترك الركوع حسما للذريعة فلا فرق بين قيامه و جلوسه، إلاّ ترى أن داخل المسجد إذا تحدث قائما حتى انصرف أو بدا في المسجد بغير صلاة و لم يجلس ما امتثل الأمر على ما مرّ ، والمراد بحديث لا يجلس داخل المسجد حتى يصلي

(1) بغية الرواد ج1، ص 121، التنسي ص 141 ، نيل الابتهاج، ص 396.

ركعتين افتتاحه بالصلاة ... " [1] وتوفي سنة 745هـ وله مقالة مفيدة في اتخاذ الركاب وخالص الفضة ،نقل عنه في المعيار في مواضع[2] .

17/ابنا الإمام:أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله:

هما أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى،ولدا بمدينة برشيك الواقعة بين شرشال و تنس حيث كان والدهمامحمد بن عبد الله التنسي إماما بأحد مساجد هذه المدينة، لما استولى زيري بن حماد المكلاتي المعروف بزيرم على برشك سنة 683هـ/1244م اتهم إمام المدينة ابن عبد الله والد الأخوين ،باحتوائه على وديعة مالية لبعض أعداء زيرم وطالبه بها فامتنع الإمام فقتله غيلة فحزن ولداه وأجمعا على مغادرة البلد فارتحلا إلى تونس في أواخر القرن السابع الهجري حيث أخذا عن ابن زيتون و أبي عبد الله بن شعيب الدكالي ثم عادا إلى المغرب الأوسط [3] ،وامتهنا مهنة التدريس بمليانة عاصمة مغراوة، وقد نزلا تلمسان بعد مقتل السلطان المريني أبي يعقوب 705هـ فأكرمهما الأمير الزياني أبي حمو الأول وابتنى لهما المدرسة المسماة باسميهما، وصارا يعرفان بالإمامة ووصفا بالعالمين الراسخين و العالمين الشامخين [4] فأنهال عليهما طلاب العلم من كل حدب و صوب و من انتفع بعلمهما "أبو عبد الله الشريف

---

(1) نيل الابتهاج ، ص 396

(2) نيل الابتهاج ، ص 398.

(3) نيل الابتهاج ص 268،البستان ص 125.

(4) البستان ص 123،نيل الابتهاج ص 266، التنسي ص 127.

بغية الرواد ج1ص130.

التلمساني، و الخطيب بن مرزوق الجد،وإبراهيم الابلى، وأبو عبد الله المقري صاحب نفخ الطيب،و أبو عثمان سعيد العقباني ،و أبو الله اليحصبي وجماعة كثيرة [1] و لما تمكن السلطان المرينى أبو الحسن الاستيلاء على تلمسان سنة 735 استدعى إليه شيوخها وفقهاءها فكان ممن و وفد عليه الإخوان ، أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى ابنا الإمام ؛فرفع من مترلتها وازدادت خطوتها عنده حتى صار لا يفارقها لحظة واحدة و أحضرهما معه في موقعه طريف بالأندلس أخر ستة 740هـ [2].

ومن تأليف أبي زيد شرحه على ابن الحاجب الفرعي حسب صاحب البستان[3] و صاحب النيل الابتهاج [4] أمــا ابــن فرحون [5] فذكر أن له التصانيف المفيدة و لعلها ضاعت وسط تلك الحوادث والاضطرابات التي مني ها المغرب الإسلامي يومئذ.

وكانت وفاة أبي زيد في رمضان 741هـ/مارس 1340م و بفقده ازداد مقام أخيه " أبو موسى" رفعه عند السلطان إلى أن شغل السلطان بحوادث تونس

---

[1] نيل الإبهاج ، ص 269.

[2] موقعه طريف نسبة لمدينة و جزيرة طريف في أقصى جنوب الأندلس و كانت هذه الموقعة بين المرينيين والنصارى في 24 ربيع الثاني سنة 30/740سبتمبر 1339م،انهزم فيها المرينيون بقيادة السلطان أبي الحسن انظر عبد الرحمن بن خلدون ج7 ص261 ، المقري نفح الطيب مج 5 ص 14.

[3] البستان،ص 126.

[4] الابتهاج، ج1،ص269.

[5] ابن فرحون، المصدر السابق،ص 152.

فسرحه إلى بلده و ذهب إليها و أقام بها قليلا حتى وافاه أجله بالطاعون الجارف سنة 749هـ/1349م [1].

18/أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي الشهير بالمقري:

أصله من مقرة [2] و هي قرية من قرى بلاد الزاب سكنها سلفه ثم تحولوا لتلمسان و بها ولد و نشأ و أخذ تعليمه عن علمائها أمثال الأخوين ابني الإمام و عن أبي موسى عمران المشتذالي و القاضي بن عبد النور التميمي ومحمد المجاصي و منصور بن هدية و ين النجار و غيرهم، و أخذ المقري الحديث والعربية عن أبي محمد المهيمن الحضرمي و الفقه و الفرائض على السطي ، والتعاليم على محمد بن إبراهيم الآبلي و أخذ عن علماء بجاية أمثال " أبي عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بابن المسفر [3] و أخذ عن علماء تونس من بينهم ابن عبد السلام و عبد الله بن هارون و الشيخ الصوفي أبي الحسن المنتصر و أبن الجياب و أخذ عن علماء فاس كأبي زيد عبد الرحمن بن عفان الجازولي و أبي العباس المكناسي و أخذ عن علماء مصر كأبي حيان النحوي و شمس الدين الاصبهاني وابن عدلان و أبي محمد المنوفي،و أثناء أدائه لفريضة الحج سنة 744

---

[1] البستان ص 126،مكيوي محمد الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول 633هـ-1236م/737هـ-1337م رسالة ماجستير و إشراف عبد الحميد حاجيات 2000-2001 جامعة تلمسان ص 151. عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 221.

[2] مقره: بفتح الميم و تشديد القاف المفتوحة،كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه العلوم الفاخرة، وبفتح الميم و تسكن القاف هي ضبطه (المصطلح) ابن الأحمر في فهرسته.انظر نيل الابتهاج ص 75

[3] بن الخطيب الإحاطة ، مج2 ط 1974، القاهرة، ص 201.

هـــ لقي بمكة أبي عبد الرحمن التوزي و أبي محمد عبد الوهاب الجبرتي والتقى بالشام ابن القيم الجوزية [1].

لقد تولى القضاء بعد رجعته من جولته المشرقية ليتولى القضاء بفاس [2] في عهد السلطان أبي عنان المريني.

كان المقري آية من آيات الله الكبرى و كانت له معرفة تامة بالعربية والآداب والتاريخ علاوة على العلوم الشرعية.

قال ابن الخطيب في الإحاطة: كان مشارا إليه اجتهادا و دؤوبا و حفظا وعناية واضطلاعا و نقلا و نزاهة ، يقوم أتم قيام على الفقه و التفسير والعربية، و يحفظ الأخبار والتاريخ ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل و المنطق،و يكتب و يشعر ... و يتكلم في طريق الصوفية و يعتني بالتدوين " [3]

ومن تآليفه: القواعد، و الحقائق و الرقائق في التصوف بديع لطيف الإشارة والتحف و الطرف في غاية الحسن و عمل من طب لمن حب مشتمل على فنون من أحاديث حكيمة كأحاديث الشهاب وسراج المهتدين لابن العربي، و شرح جمل الخونجي. ومن أشهر تلاميذ المقري لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون وبن زمرك ، أبو محمد بن جزي والحافظ بن علاق وغيرهم [4].

---

(1) البستان ص 156-157، نيل الابتهاج ص 77-78 الإحاطة مج2ص203

(2) الإحاطة مج3 ص 395، بغية الرواد،ج 1 ، ص 121.

(3) الاحاطة ، مج 2 ، ص 226 ، نيل الابتهاج ، مج 3 ، ص 395، بغية الرواد، ص 121.

(4) البستان ،ص 163-164، نيل الابتهاج، ج2 ص 84

توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة و خمسين و سبعمائة ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان[1] .

19/ إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني:

ولد في جبل جرجرة سنة 796 هـ أخذ عن أبي الحسن على بن عثمان المنجلاتي ثم انتقل إلى تونس فأخذ الفقه و المنطق عن الأبي والفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني و الفقه وحده عن يعقوب الزغبي والأصول عن عبد الواحد الفرياني ثم رحل إلى بجاية فأخذ العربية عن عبد العالي بن فراح ثم انتقل إلى قسنطينة فأخذ الأصلين والممنطق عن حافظ المذهب أبي عبد الرحمن الملقب بالباز،و المعاني والبيان عن أبي عبد الله القيسي والأصليين والمنطق و المعاني و البيان مع الفقه و غالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله بن مرزوق.[2]

و قد برع في جميع العلوم و الفنون لاسيما الفقه ، وشرح ألفية ابن مالك ، تلخيص المفتاح في مجلد، و شرح مختصر خليل في ثمانية مجلدات وسماه تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل وشرحا أخرا في مجلدين سماء فيض النيل[3].

---

[1] الإحاطة ،مج 2 ص 226.

[2] نيل الابتهاج ،المجلد الأول، ص 45.

[3] نفس المصدر و الصفحة عينها.

20/ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي

(832هـ/1428،895هـ/1490)

ولد فنشأ بتلمسان، وأخذ بها عن أشهر علمائها.و حياة السنوسي حياة غنية و هي تعتبر ظاهرة هامة من ظواهر القرن التاسع الهجري تتلمذ السنوسي على مجموعة من العلماء و الفقهاء و من بينهم" أبو عبد الله الحباك و محمد ابن أحمد الجلاب ، و ابراهيم التازي صاحب وخليفة محمد الهواري الذي أسس زاوية بوهران [1] وشيخ العلامة نصر الزواوي والعلامة محمد بن ثونرت و السيد الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسني أخذ عنه القراءات و عن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد الثعالبي الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث و أجازه ما يجوز له و عنه وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض و الحساب و أجازه جميع ما يرويه وغيرهم.و التازي إبراهيم هو الذي ألبس السنوسي الخرقة الصوفية ويصق له في فمه على عادتهم.

تبحر السنوسي في العلوم النقلية و العقلية لعهده كالتفسير والفقه والحديث والتوحيد والأصول وعلم الكلام والتصوف والفلسفة. قال المديوني: كان جامعا بين الشريعة و الحقيقة، متضلعا في علوم الظاهر أصولها و فروعها، منفردا بالعلوم الباطنية، وكان مبرزا في علم التوحيد والمعقول، اشتهر بعقائده في علم الكلام على الطريقة الأشعرية كان ميالا إلى الخلوة والتفكير حتى تنكشف له الحقائق. قيل عنه إن باطنه حقائق التوحيد و ظاهرة زهد و تجريد ، كثيرا

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 87.

الخوف من الله، طويل الحزن، حسن الخلق مبتسم الوجه ، مستغرق التفكير لا يجادل أحدا إلا أفحمه جميع بين العلم و العمل والولاية .

ومن آثاره ذكر المترجمون له ما يربو من خمسين مؤلفا و شرحا اهتم فيها بالعقائد الكلامية و الحديث و الفقه و التفسير و المنطق و الأصول والقراءات والفرائض و الجبر و المقابلة و الطب و التصوف و اللغة .

ومن تآليفه : شرحه الكبير على الحوفية ، العقيدة الكبرى المسماة عقيدة التوحيد و العقيدة الكبرى المسماة عقيدة التوحيد و العقيدة الصغرى و هي خلاصة لعقيدته و تقابل العقيدة الكبرى و تعرف بأم البراهين أو السنوسية ثم العقيدة المختصرة و هي أصغر من الصغرى ثم المقدمات المبنية لعقيدته الصغرى،وقد وضع لهذه العقائد بنفسه شروحا [1].

ومن تلاميذه : أبو القاسم الزواوي، ابن أبي مدين، ابن الحاج العبدري وابن العباس الصغير، ومحمد القلعي وغيرهم.

21/ أحمد بن حسن بن على الخطيب بن قنفد القسنطيني:

ولد في حدود الأربعين و سبعمائة (740هـ) و توفي عام 810هـ وهو والد ابن قنفد، صاحب الفارسية، أخذ عن جماعة كأبي علي حسن ابن أبي القاسم بن باديس، والإمام الأوحد الشريف أبي القاسم السبتي، و الإمام العلامة

(1) نيل الابتهاج ص 253-260 ، انظر أيضا ، أبو القاسم سعد الله المرجع السابق ، ص 88-99 ، انظر أيضا على علواش ، السنوسي التلمساني ، معجم مشاهير المغاربة المرجع السابق ص 294. ، انظر أيضا حاجيات عبد الحميد و آخرين ، ص 445.

الشريف أبي عبد الله التلمساني، والشيخ الحافظ أبي عمران موسى العبدوسي والعلامة الحافظ القباب، والإمام المحدث الرحلة الخطيب ابن مرزوق الجد ، والإمام النظار أبي عبد الله بن عرفة،والحافظ المفتي أبي محمد عبد الله الوانغيلي الضرير [1] تنقل ما بين بجاية و إفريقية و المغرب الأقصى وزار الحجاز [2].

وقد بقي بالمغرب الأقصى ثمانية عشر عاما، فحصل علوما كثيرة ولقد لقي بالمغرب الشريف أبا القاسم السبتي وأخذ عنه و قال في وفياته، بعد الثناء علمه: وبالجملة فهو ممن يحصل الفخر بلقائه [3].

ومن تآليفه: شرح الرسالة في أسفار و شرح الخونجي في سفر صغير و شرح أصلي ابن الحاجب، وشرح تلخيص ابن البنا ،وشرح ألفية بن مالك، وأنوار السعادة في أصول العبادة في شرح بني الإسلام على خمس، وتيسير المطالب في تعديل الكواكب و ذكر أنه لم يهتد أحد من المتقدمين إلى مثله، وله كتاب بغية الفارض من الحساب و الفرائض،و تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد ووسيلة الإسلام بالنبي ، و أنس الفقير و عز الحقير في ترجمة الشيخ أبي مدين و أصحابه و غيرهـــا [4].

22/أبو عبد الله محمد الشريف التلمســـاني (710- 771هـ/ 1310 – 1370 م) [5]

---

[1] نيل الابتهاج ، المجلد الأول ص 109.

[2] نفسه ص 110،حاجيات و آخرون ص 441.

[3] نفسه و الصفحة عينها.

[4] نيل الابتهاج ، مج 1 ، ص 110.

[5] البستان ص 179. عادل نويهض ، المرجع السابق، ص 269.

هو محمد بن أحمد بن علي بن يحيى ابن علي بن محمد ابن القاسم بن محمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر ابن إدريس ابن عبد الله ابن حسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب قال ابن خلدون يعرف بالعلوني نسبة لقرية من أعمال تلمسان تسمى بالعلونين ويعرف أيضا بالشريف التلمساني علاّمة تلمسان بل إمام المغرب قاطبة، قال الإمام ابن مرزوق الحفيد : شيخ شيوخنا ، أعلم أهل عصره بإجماع [1].

وقال السراج في فهرسته، شيخنا الفقيه الإمام العالم العلامة الشهير الكبير الصدر القدوة الشريف نسبا العظيم قدرا و منصبا أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الجليل الوجيه العاقل ، العدل المبرز أبي العباس وقد قال عنه ابن مريم هو فارس المعقول و المنقول، وقال عنه عبد الرحمن بن خلدون " صاحبا الإمام العالم الفذ فارس المعقول و المنقول و صاحب الفروع و الأصول أبو عبد الله الشريف [2].

وقال عنه يحيى بن خلدون :"أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني أحد رجال الكمال ، علما ... [3].

ولد بتلمسان و نشأ بها و كان شغوفا بطلب العلم لا يضيع مجالس علماء ومشايخ تلمسان و قد اختص و مشايخ تلمسان وقد اختص بابني الإمام أبي يزيد وأبي موسى وعن الشيخ إبريهيم الأبلي [4].

---

[1] نيل الابتهاج، ص 87.

[2] ابن خلدون التعريف بابن خلدون ص 64.

[3] يحيى بن خلدون بغية الرواد ج1 المصدر السابق، ص 120.

[4] المصدر نفسه و الصفحة عينها، نيل الابتهاج ، مج 2 ص 88 ،ص 88 ،البستان ،ص 164-165

وارتحل إلى تونس سنة أربعين و سبعمائة فلقي الشيخ ابن عبد السلام و أخذ عنه التصوف و الحساب و الهندسة و الفرائض ليعود إلى المغرب الأوسط ولينتصب للتدريس بتلمسان ثم ليرحل في عهد السلطان أبي عنان المريني سنة 753هـ ليعود بعد ما هلك أبو عنان ليتلقاه الأمير أبو حمو موسى الثاني بكل حفاوة وأصهر له في بنته فزوجها له وبنى له مدرسته اليعقوبية إلى أن وافته المنية ليلة الأحد الرابع ذي الحجة 771هـ/1370م [1].

وقد أمر السلطان أبوحمو موسى الثاني يدفنه بجوار قبر والده المولى أبي يعقوب تبركا له بجواره [2].

وقد أخذ عنه خلق كبير و علماء كبار كابن خلدون عبدا الرحمن وابن السكاك و الفقيه ابن محمد بن على الميروقي وإبراهيم المصمودي ، وولده أبو محمد، والإمام الشاطبي وابن زمرك .وإبراهيم الثغري و غيرهم.

ومن تآليفه: ألّف كتابا في القضاء والقدرة وألف في أصول الفقه مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول ،شرح جمل الخونجي [3].

(1) التعريف ابن خلدون 64-66 البستان ص 166، التنسي ص 179

(2) بغية الرواد، ج1، ص 120.

(3) نيل الابتهاج مج 2 ص 94-95، ابن مريم البستان ص 164 ، انظر أيضا المقري (أحمد بن محمد) : نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق إحسان عباس ج5 دار صادر بيروت لبنان 1968ص 272.

3/ أبو زيد الوغليسي [1]: (786هـ-1384م)

هو عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي فقيه أصولي نشأ ببجاية وولي بها الفتيا و أخذ عنه كثير من علمائها كأبي الحسن علي ابن عثمان وبن أبي اللقاسم بن محمد المشذالي ، وألف الجامعة في الأحكام الفقهية في الفروع، وتسمى الوغليسية و له أيضا المقدمة المشهورة و فتاوى [2] وقد وصفه الشيخ محمد السعيد بن زكرياء الزواوي بأنه (الفقيه الأصولي المحدث المفسر،عمدة، أهل زمانه، وشيخ الجماعة في بجاية) [3] .

24/ أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشرسي التلمساني أبو العباس :

هو العالم العلامة حال لواء المذهب على رأس المائة التاسعة و لد سنة 834هـ من أهل تلمسان و بها نشأ و أخذ عن كبار شيوخها كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني، وولده القاضي العالم أبي سالم العقباني، و حفيده الإمام العلامة محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، والإمام محمد بن العباس، والشيخ أبي عبد الله الجلاب،و الإمـــام الخطيب الصالح ابن مرزوق الكفيـــف وغيرهم [4] .

وبعد أن ألم بعلوم عصره خصوصا الفقه و البيان و النحو امتهن التدريس بتلمسان،و أكب على تدرس المدونة و فرعي ابن الحاجب و غيرها من أمهات

(1) بن وغليس: بطن من قبائل البربر في جنوب بجاية بأعلى واد الصمام، انظر عادل نويهض المرجـــع الســـابق، ص 342

(2) نيل الابتهاج ،مج2،ص270،حاجيات و آخرون،ص 443،محمد الشريف قاهر، عبد الرحمان الوغليسي، معجم المشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص550.

(3) محمد الشريف، القاهرة ، المرجع السابق، ص550

(4) نيل الابتهاج ص 144،عادل نويهض 334، البستان ، ص 53 ، انظر أيضا السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ج4 مصر 1894 ص 165.

الفقه المالكي [1] و كان مشاركا في فنون العلم إلا أنه لما لازم تدريس الفقه يقول " من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من محضره يقول لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه "[2].

و في أول شهر محرم سنة 874هـ حصلت له كائنه من جهة السلطان فانتهبت داره ففر إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى واستوطنها فكان عالمها ومدرسها ومفتيها، وأخذ عنه خلق كثير من العلماء كالفقيه أبي عماد بن مليح اللمطي والشيخ أبي زكرياء السوسي والفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الورتدي والفقيه عبد السميع المصمودي والفقيه محمد بن قاضي البلد الجديد الفرديس التغلبي [3].

ومن أثاره " المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب في 12 جزءا، تعليق على ابن الحاجب الفرعي في ثلاثة أسفار ،و غنية المعاصر و التالي على وثائق الفشتالي " ونوازل المعيار إضاءة الملك في الرد على من أفتى" بتضمين الراعي المشترك" و الفروق" في مسائل الفقه" وإيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك" و المنهج الفائق و المنهل الرائق في أحكام الوثائق " و"اختصار أحكام البرزلي" و "القصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن الحاجب "و" الولايات" في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية والوفيات"

---

[1] نيل الابتهاج ص 144 البستان ص 53.

[2] نيل الابتهاج ص 144 البستان ص 53

[3] نيل الابتهاج ص 145، البستان ص 54.

ويعرف بوفيات الونشريسي وكتاب" في ترجمة المقري الكبير جد صاحب " نفح الطيب" [1] .

توفي عام أربعة عشر و تسعمائة و عمره نحو ثمانين سنة و تركت وفاته فراغا كبيرا لا سيما في مجال الفقه.

25- أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان بن منيع بن عياشة بن سيد الناس بن أمين الناس الغياري [2] المغراري[3] المعروف بسيدي الهواري: [4]

و هو فقيه ، متصوف زاهد متقشف،ذائع الصيت في أقطار المغرب [5] .

ولد في مغراوة سنة 751هـ/1351م و نشأ بها و تعلم في أحد كتاتيبها، فدرس مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ علي بن عيسى ثم ارتحل نحو بجاية فأخذ عن عبد الرحمن الوغليسى [6] وأحمد إدريس [7] المتوفى سنة 760هـ/1359 م ثم انتقل سيدي الهواري نحو مدينة فاس عاصمة المرينين و فيها أخذ عن الشيخ موسى العبدوسي المتوفى سنة 776هـ [8]

---

(1) البستان ص 53، نيل الابتهاج ص 145، الاستقصاء ص 165.

(2) ابن سحنون الراشدي : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي قسنطينة 1973 ص 433،

(3) نسبة إلى قبيلة مغراوة البربرية الزناتية، انظر وصف افر يقيا، المصدر السابق، ص 45.

(4) نسبة إلى قبيلة هوارة إحدى بطون قبائل البربر القاطنة بالمغرب الأوسط عبد الحميد حاجيات، سيدي الهواري شخصية و تصرفه،مجلة الثقافة العدد

(5) نيل الابتهاج مج 2 ص 192، البستان ص 228، عادل نويهض ص 337 حاجيات و آخرون ص 450.

(6) البستان ، المصدر السابق ص 288 ، نيل الابتهاج مج 2 ص 192

(7)عالم من علماء القرن الثامن الهجري، و هو من المتصوفة الين عرفتهم بجاية تتلمذ على يد العلامة عبد الرحمن بن خلدون و أخيه يحي بن خلدون انظر التنكبتي، المصدر السابق، ص 96.

(8)نيل الابتهاج مج2 ص 300.

*و الشيخ القباب المتوفى سنة 778هـ الذي أخذ عنه الكثير من العلوم الدينية والدنيوية و من فاس ارتحل إلى الشرق للحج و زيارة حواضرها العلمية للأخذ عن علمائها، فكانت وجهته مصر التي أخذ فيها عن الحافظ العراقي المتوفى سنة 806هـ ثم ارتحل نحو البقاع المقدسة حيث جاور مدة بالحرم الشريف بين مكة و المدينة ثم سافر نحو القدس ثم بلاد الشام وعند رجوعه إلى المغرب الأوسط استقر بوهران مثابرا على العلم والعمل و الصدق في الأحوال [1].

وقد أخذ عنه كل من الشيخ ابراهيم التازي المتوفى سنة 866هـ الذي لازم سيدي الهواري طويلا [2] و الشيخ أبركان بن مخلوف المزيلي الراشدي دفين تلمسان والمتوفى سنة 857هـ و كان قد أخذ عنه الكثير من الطلبة خاصة عندما زار مدينة فاس حيث كان هؤلاء الطلبة يقرؤون عليه القرآن والعربية والفقه ويتحدثون أنهم ما رأوا أبرك من قراءته[3] ومن مآثره " التسهيل" و"تبصرة السائل" و" التبيان" و كتابه الشهير السهو والتنبيه .

توفي الإمام محمد بن عمر الهواري في الثاني ربيع الثاني سنة 843هـ/12 سبتمبر 1439 [4].

* هو موسى بن محمد بن معطي العبدوسي نزيل فاس و هو عالم و فقيه و مدرس وله إدلال عجيب في إقراء التهذيب للبرادعي.

(1) نيل الابتهاج مج2 ص 112، البستان 228-229، أبو عمران الشيخ معجم مشاهير المغاربة المرجع السابق ص 547.

(2) البستان معجم مج2 ص229، نيل الابتهاج مج 2 ص192

(3) نيل الابتهاج مج 2 ص112، البستان ص 228-229، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 337.

(4) نيل الابتهاج ، مج 2 ، ص 194.

26/ محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي: (...-909هـ،.....-1503م)

هو بن عبد الكريم المغيلي التلمساني خاتمة المحققين الإمام العالم الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطه في الفهم و التقدم [1]، نشأ بتلمسان و درس بها فأخذ عن الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني كما أخذ عن الإمام عبد الرحمن الثعالبي والشيخ يحيى بن يدير و غيرهم.

و أخذ عنه جماعة، الفقيه الشيخ العاقب الأنصمي المسوفي و محمد بن عبد الجبار الفيجيجي[2] المتوفى عام 950هـ/1543م) و الشيخ محمد بن أحمد بن أبي محمد التادختي المتوفى عام 936هـ/1589م) قال في شأنه" التنبكتي:شيخنا فقيها عالما علامة محققا ، فهامة ، محدثا ، متفننا ، رحلة ، شهيرا محصل نافذا،جيد الحظ،و الفهم،حسن الإدراك كثير النزاع".[3]

ووقعت مناظره بين المغيلي و الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي بمصر حول قيمة علم المنطق فكتب المغيلي رسالة ضمنها بقصيدة

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ❖ وكل حديث حكمة حكم أصله

أيمكن أن المرء في العلم حجة ❖ و ينهى عن الفرقان في يعض قوله

(1) نيل الابتهاج مج2 ص 265،البستان ص 253، عبد الحميد حاجيات و آخرون ص 445، عادل نويهض المرجع السابق، ص 307.

(2) البستان، المصدر السابق ،ص 253-254 ، نيل الابتهاج ، مج 2 ، ص 266 .

(3) البستان ، المصدر السابق ، ص 256.

هـل المنطـق المعنى إلا عبـارة ❖ عن الحق أو تحقيقه حيث جهـله
معانيه في كل الكلام و هـل ترى ❖ دليلا صحيحـا لا يرد لشكـله
أري هـداك الله منـه قضـية ❖ علـى غير هذا تنفها عن محـله
ودع عنـك أبداه كفور و ذمـة ❖ رجـال و إن أثبت صحة نقلـه
خذ الحق حتى من كفور ولا تقـم ❖ دليلا على شخص بمذهب مثلـه
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن ❖ به لا بهم إذ هم هـداه لأجلـه
لئن صح عنه ما ذكرت فكم هم ❖ وكم عالم بالشرع باح بفضلـه

فـأجابـه السيوطي بقولـه:

حمـدت إله العرش شكرا لفضلـه ❖ وأهـدى صلاة للنبي و أهلـه
عجبـت لنظم مـا سمعت بمثلـه ❖ أتـاني عـن خـبر أقـر بنبله
تعجب مني حين ألفـت مبدعـا ❖ كتابا جموعـا فيـه جـم بنقله
أقرر فيه النهى عن علـم منطـق ❖ وما قاله الأعلام مـن ذم شكله
و سماه بالفرقـان يا ليت لم يقـل ❖ فذا وصـف قرأن كريم لفضلـه
و قال فيـه فيمـا يقرر رأيـه ❖ فقلـلا عجيبـا نائيا عن محلـه
و دع عنك أبداه كفور و يعـد ذا ❖ خـذ الحق حتى من كفور بختله
و قد جاءت الآثار في ذم من حوى ❖ علوم يهـود أو نصارى لأجـله
يعزز بـه علـما لديـه و أنـه ❖ يعـذب تعذيبـا يليـق بفعلـه
و قد منع المختار فاروق صحبـه ❖ و قد خط لوحا بعد توراة أهله

و قد جاء من نهى اتبـــاع لكـــافر ❖ و إن كان ذاك الأمر حقا بأصله
أقمت دليلا بالحديث و لم أقـــم ❖ دليلا على شخص بمذهـــب مثله
سلام على هذا الإمام فكم لــــه ❖ لــدي ثناء واعتـــرف بفضلـــه

يستنج من هذه المجادلة أن المغيلي يرى أن المنطق هو الحق أو هو الذي يؤدي إلى الحق وأن أخذ الحق يجوز من الكفار لأن معرفة الناس بالحق هي المبدأ المعتمد و ليس معرفة الحق بالناس [1].

وقد ارتحل المغيلي نحو الجنوب و بالضبط نحو تواب وكان سبب ارتحاله و مغادرته لتلمسان بسبب خلاف و قع بينه و بين ملوك بني زيان عام 870هـ/ 1465 أو بسبب الحملة التي أعلنها ضد اليهود الذين كانوا يسيطرون على مصادر التجارة و المال و الذين قاموا بشراء ضمائر بعض المسؤولين فأصبحوا دماه في أيديهم، و لما انتقل في الجنوب وجد اليهود يسيطرون على حركة القوافل التجارية و الدروب التجارية الرابطة بين توات و بلاد السودان ويتصرفون بكل حرية في تأسيسهم لشركات تجارية بعدما تمكنوا من شراء ذمم الأمراء، ولما رأى المغيلي ذلك استفتى علماء تلمسان وفاس وتونس في قضية يهود توات، ومن الذين انتصروا له محمد بن يوسف السنوسي و محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي مفتي تلمسان ، وأحمد بن زكري فالمسالة ليست دينية بل هي مسألة سياسية واقتصادية معا ذلك أن اليهود(وأهل الذمة عامة) اغتنموا فرصة الضعف السياسي و الاقتصادي للدولة وراحوا يستعملون حيلهم ونفوذهم للتدخل في شؤون المسلمين و في صميم الحكم نفسه.لذلك ألف

[1] سعد الله تاريخ الجزائر ، المصدر السابق، ص 113

المغيلي رسالة في الموضوع قسمها إلى ثلاث فصول ، فخصّ الفصل الأول بما يجب على المسلمين من اجتناب الكفرة بحيث لا يقرب المسلم كافرا من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله،ولا يفعل ذلك من المسلمين إلا من لا دين و لا مروءة له ،وتناول في الفصل الثاني ما يلزم أهل الذمة من يهود و نصارى من الجزية، أما الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن يهود هذا الزمان في سائر الأوطان من الجرأة و الطغيان و التمدد على الأحكام الشرعية و التدخل في شؤون الدولة الإسلامية [1].

ثم انتقل المغيلي من تواب نحو السودان الغربي و أول مدينة حل بها مدينة " **كانو**" [2] ، واجتمع بسلطانها و كتب له رسالة أرشده فيها إلى التزام الجاد في حكمه *، كما قام بالتدريس بمساجد مدينة " **كانو**" لينتقل بعد ذلك على دولة سنغاي و بالضبط إلى مدينة غاو العاصمة والاتصال بحاكم هذه الدولة وهو الحاج محمد الأسقيا فأكرمه و كتب له أسئلة ترجاه الإجابة عليها وفق الوجهة الشرعية في الإسلام [3] وعرفت برسائل السبع.

لقد تمكن محمد بن عبد الكريم المغيلي قبل توجهه نحو السودان من إجلاء جميع يهود توات سنة 882-1477م و بذلك سيطر على كامل القصور التواتية و تغيير

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 44.

(2) محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار ص18 -20، انظر أيضا أبو عمران الشيخ ،المغيلي، معجم المشاهير ، المرجع السابق، ص 505.

* انظر الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الدراسة .

(3) محمد بن عبد الكريم المغيلي ،أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلى ، تحقيق عبد القادر زبادية ص 8-10

أنظر نيل الابتهاج مج2 ص265 ، البستان ص 255.

طبيعة الحكم بها فانتقلت بذلك عاصمة إقليم توات من تمنطيط إلى نواحي بوعلي و لعدم ثقة المغيلي في رؤساء و زعماء القبائل جعل ابنه عبد الجبار على رأس جيشه الذي كان يسهر على حماية النظام التواتي ، وضبط القوانين الشرعية و خضعت لسلطته جميع النواحي [1] فقد تمكن من تغير النظام السياسي بتوات تغييرا جذريا، فقام بسحب السلطات من رؤساء القبائل و جمعها في يد تشخص واحد، و أصبحت بذلك توات منذ سنة 883هـ —1478م مستقلة في قرارها .

ومن مآثره[2] " البدر المنير في علوم التفسير" و" مصباح الأرواح في أصول الفلاح" كتاب عجيب أرسله للسنوسي وابن غازي فقرضاه، ومغني النبيل" شرح لمختصر خليل لم يكمله، و"إكليل المغني" و"كتاب في المنهيات" و"مختصر تلخص المفتاح"و " شرح المختصر" و "مفتاح النظر في الحديث" فيه أبحاث مع النووي في التقريب و" شرح الجمل في المنطق" و مقدمة فيه و"منح الوهاب " منظومة في المنطق و ثلاثة شروح عليها،"و "تنبيه الغافلين" و"شرح خطبة المختصر" و" مقدمة في العربية" و" كتاب الفتح المبين" و"فهرسة" ذكر فيها مرويا ته، وعدة قصائد منها الميمية على وزن البردة ، و"أحكام أهل الذمة"

(1) أحمد الحمدي،محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره و أثاره 870-1465-909هـ-1503م رسالة ماجستير وهران 1999-2000 ص 54-55

(2) المقري ، أبو العباس ، روضة الآس العاطرة الأنفاس ، المطبعة الملكية الرباط 304،303،1964

و " التعريف فيما يجب على الملوك" [1] ولقد أدركته المنية بتوات سنة 909هـ/ 1503م[2].

(1) البستان، المصدر السابق، ص 255. انظر أيضا نيل الابتهاج مج2 ص266، عادل نويهض، المرجع السابق ص 308. حاجيات عبد الحميد و آخرون ،المرجع السابق، ص 455.

(2) نيل الابتهاج مج2 ص266، البستان ص 255، المقري، المصدر السابق، ص 3050.

الفصل الثالث

العلـــوم اللسانية والعلوم العقلية .

أولا : العلـــوم اللسانيـــة .

ثانيا : العلـــوم العقليـــة .

أولا: العلـــوم اللسانيـــة .

و في مجال العلوم اللسانية قد حظيت الدراسات اللسانية وعلوم اللغة و ما يتفرع عنها ممن العلوم و الآداب بإقبال كبير من قبل طلبة العلم بالمغرب الأوسط في عهد الزيانيين حيث برز في هذه الفترة الكثير من النحاة واللغويين والأدباء والشعراء والكتاب فلقد أولى العلماء وطلبة العلم جل اهتمامهم للنحو و تلاه في ذلك العروض ، كما اهتموا أيضا بعلوم البلاغة أما الأدب شعر ا ونثرا فإن التراجم لا تشير إليه إلا نادرا ،كان التأثير الديني على علوم اللغة و الأدب واضحا ففي الأدب مثلا اعتنى الناس على الخصوص بالمدائح الدينية و من بين العلماء الدين نبغوا في هذا المجال :

أبو بكر ابن الخطاب الغافقي المرسي نزيل تلمسان ، أبو بكر إسحاق الأنصاري التلمساني الذي ولد بتلمسان 609 هـــ و سافر إلى الأندلس رفقة والده و هو في التاسعة من عمره و أبو عبد الله بن هدية القرشي ، و أبو محمد عبد المنعم بن محمد يوسف بن عتيق الغساني نزيل مدينة الجزائر وأبو عبد الله التميمي ،و القلعي، و العفيف التلمساني ، و إبن الخميس التلمساني و أبو القاسم المشذالي و غيرهم.

1. محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي المرسي ت686 هـ:

نزيل تلمسان من أهل مرسية كان من أبرع الكتاب خطا و أدبا وشعرا [1]، و " بوفاته انقرض علم الكتابة " [2]. لقد قرأ العربية و النحو على أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي ، و درس الأدب على أبي علي الحسن بن عبد الرحمان الكيناني الرفاء، و الحديث و الفقه على أبي بكر محمد بن محرز الزهري و الأصول على أبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي [3] ثم ارتحل إلى غرناطة و بها عين كاتبا للسلطان [4] ثم عاد إلى مسقط رأسه إلى أن الفتن كانت ضاربة إطنابها هناك و تعدي النصارى على المسلمين بالأندلس و العمل على استرجاع الأراضي أو كما عرفت بعلمية الاسترداد ، فعاد إلى تلمسان واستقر بها حيث شغل كاتبا لأمير المسلمين آبي يحيي يغمراسن بن زيان إلى أن توفي في عاشوراء سنة 686 هـ [5] و مما نظم قوله :

اقنع بـــما أوتيتــه تنل الغنــا ❖ و إذا دهتك ملمــة فتصبــر
واعلم بأن الرزق مقسوم فلــو ❖ رمنـــا زيادة ذرة لم نقـــدر
و الله أرحم بالعباد فلا تســل ❖ أحدا تعش عيش الكرام وتؤجر

---

(1) البستان ،المصدر السابق، ص 227، بغية الرواد ج1 ص 129، الإحاطة مج 2 ص 426، محمد بن رمضان شاوش/ الغوتي بن دحمان، إرشاد و الحائر إلى أثار أدباء الجزائر مج 1 ، ط 1 ، تلمسان 2001 ص 221.

(2) التنسي نظم الدر، المصدر السابق ، ص 128.

(3) الإحاطة مج 2 ص 426، حاجيات أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق ص 50.

(4) بغية الرواد ج1 ص 129.

(5) بغية الرواد الجزء الأول ص 129 ، حاجيات،أبو حمو ، المرجع السابق ،ص 50 ،البستان ،ص 127 .

وإذا سخطت لبؤس حالك مرة ❖ ورأيت نفسك قد [غوت فلتبصر]

وانظر إلى من كان دونك تذكر ❖ لعظيم نعمته عليك و تشكـــر[1]

من نظمه كذلك قوله :

اشكـــــر لربـــك و انتظـــرك ❖ في أثر عســـر لأمر يســـــرا

و اصبـــر لـــربـــك و ادخـــر ❖ في ستر ضد الفقـــر أحـــــرا

فالدهـــر يعثـــــر بالــــورى ❖ و الصبر بالأحرار أجـــــــرا

و الوفـــر أكثر معشـــرا ❖ و الفقر بالأخيـــــار يفـــرا[2]

و من نظمه أيضا :

أبصرت أبواب الملوك تغص بـــ ❖ الراجين إدراك الغنا و الجاه

مترقبين لها فمهما فتحت ❖ خروا لأذقـــان لهم و جباه

فأنفت من ذاك الزحام وأشفقت ❖ نفسي على انضاء جسم الواه

ورأيت باب الله ليس عليه من ❖ متزاحم فقسطت بـــاب الله

و تخذته من دونـــه لي عـــدة ❖ وافقت من غيي وطول سفاه [3]

---

(1) الإحاطة، مج 2 ، المصدر السابق، ص 428 .

(2) العبدري (محمد البلنسي) الرحلة المغربية ، تحقيق أحمد بن جدو مطبعة البعث قسنطينة د.ط ص 15.

(3) المصدر نفسه ، ص 15.

و مما قاله في صباه :

يا دعــوة شــاك مــا قــد ❖ دهــاه مــن لــحاظ رشاك

تصدى للقلوب يصيدها ❖ من ناظريه في سلاح شاك

و رمى و إن قالوا رنا عن ❖ فاتر سباح عليه سيم النسّاك

قد كنت أحذر بطشه لو أني ❖ أبصرت منه مخايل الفتاك

ما عليه و لا عليه حاكم ❖ يحمي ثغورك أو يحوط حماك

أو ما لجارك ذمة مرعية ❖ أبدا يظل دم الغريب طلاك

إني استنمت إلى ظلالك ضلّة ❖ فإذا ظباءك ما ضيات ظباك

و قال يجيب أبا عبد الله بن خميس عن قصيدة بعث بها إليه أولها :

رد في حدايق مائها مرتاد ❖ قد لذ مرود و طاب مراد

زرق الاسنة دون زرق حمامها ❖ و ظبا كما رنت العيون جدادا [1]

و يمدح الشاعر ابن خميس التلمساني

رقت حواشي طبعك ابن خميس ❖ فهفا قريضك بي و هاج رسيسى

و لمثله يصبو الحليم و يمتري ❖ ما للشروق به و سير العيــــس

[1] الإحاطة مج 2 ص 428.

لك في البلاغة والبلاغـــة بعـــض ❖ ما تحويه من أثر محل ريبسى

نظم و نثر لا تبارى فيهما ❖ تمهدت ذاك و ذا بعلم الطّوسي [1]

2. أبو اسحاق التلمساني ابراهيم بن ابي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري :

ولد بتلمسان سنة 609 هـــ ، انتقل مع أبيه إلى الأندلس و هو ابن تسعة أعوام و استوطن غرناطة ثلاثة أعوام ثم رحل إلى مالقة فسكن بها مدة، و بها قرأ معظم قراءاته فقرأ على أبي بكر بن دحمان وأبي صالح محمد بن محمد الزاهد ، و أبي عبد الله بن حفيد، و أبي الحسن بن سهل بن مالك، وأبي بكر بن محرز ، و أبي الحسين بن طاهر الدباج وأبي الحسن الشلوبيني، ثم انتقل إلى سبتة و استقر بها و لقي بها الحسن بن عصفور الهواري و أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة و أبا يعقوب يوسف بن موسى الغماري المحاسني ، فأصبح حينئذ فقيـــها عارفا مبرزا في العدد والفرائض متضلعا في الأدب ، نظم الفرائض و هو ابن عشرين سنة [2] ، له أرجوزة محكمة بعلمها ضابطة عجيبة الوضع له منظومات في السير و مدائح النبي "صلى الله عليه و سلم" و قصيدة في المولد النبوي ، كما له أرجوزة مشهورة في علم الفرائض تعرف بالتلمسانية. لم يصنف في فنها أحسن منها [3] وقد وضعها وهو ابن ثماني وعشرين سنة.

و من شعره و هو يذم الغدر :

---

(1) نفح الطيب ج3 ، ص 184. الإحاطة ج 2 ، ص 430.

(2) بغية الرواد ج1 ، المصدر السابق ، ص 109.

(3) الإحاطة ج 1 ، ص 326 ، انظر أيضا عبدلي لخضر ، الحياة الثقافية ، المرجع السابق ، ص 243.

الغدر في الناس شيمة سلفت ❖ قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من سرت له نعم ❖ منك يرى قدرها و يعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها ❖ مفره عنك عز مصرفها
أترى الشمس تعطف بالنور ❖ على البدر و هو يكسفها[1]

و يمدح أمير سبته أبي القاسم العزفي :

أرأيت من رحلوا وزمّوا العيسا ❖ ألا يزول على الطول حسيسا
أحسبت سوف يعود نسف تراها ❖ لما يشفى لديك نسيسا
هل من مؤنس نارا بجانب طورها ❖ لأنسيها أم هل تحسن حسيسا [2]

3. محمد بن منصور بن علي بن هدية القريشي التلمساني :

هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي و هو من ولد عقبة بن نافع الفهري [3] هو تلمساني المنشأ و الدار تولى خطة القضاء، ببلده مع كتابة السر للسلطان أبي تاشفين الأول الذي كان يشاوره في تدبير ملكه و لا يجري شيئا من الأمور إلا بعد استطلاع نظره و كانت وفاته قبل وفاة السلطان أبي تاشفين الأول و قبل استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان فكانت وفاته إذا أواسط سنة 735 هـ [4].

(1) الإحاطة مج 1 ، المصدر السابق ، ص 336.
(2) نفس المصدر و الصفحة عينها .
(3) البستان ص 225 ، بغية الرواد ج1، ص 116 ، نفح الطيب ، ص 234 .
(4) البستان ، ص 225 ، نفح الطيب مج 5 ص 234 .

كان ابن هدية من أئمة اللسان و الأدب ذو بصر بالوثائق و كتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان [1] و كان كاتبا بليغا و من مآثره تاريخ تلمسان[2] ويبدو أن هذا المؤلف ضاع أثناء الحصار الطويل لتلمسان و شرح رسالة ابن خميس نظما و نثرا و كان سببا في هجرة بن خميس من تلمسان إلى الأندلس فكـــان عنوان الرسالة : التعليق النفيس في شرح رسالة ابن خميس و كتابته لهذا الشرح إنما كانت جبرا لا اختياريا لأن ابن خميس في نظره فيلسوف وهو مرادف لزنديق مارق عن الشريعة بل كافر يستوجب فيه القتل إن لم يتب و يصرح بتوبته حينا.

فالفلسفة عند أبن هدية كفر صريح و في ذلك يقول " ... و الفلسفة عند أهل السنة وكافة الاشعرية عبارة عن الزندقة البحتة و الضلالة المحضة والكفر الواضح ... فوجب تكفير شيعتهم من المفلسفة الإسلاميين كابن سينا و الفرابي و غيرهما من المهتدين هديهم المقتدين برأيهم عليهم لعنة الله أجمعين .... " [3].

و لقد عين قاضيا بتلمسان و من تلامذته المقري الكبير و أبو البقاء البلوي و لقد توفي سنة 735 هـــ و شهد جنازته السلطان الزياني أبو تاشفين و ولى ابنه على منصور مكانه يومئذ و لما ثقل لسانه دعا هذا فقال له : أكتب البيتين فان في نظمتهما على هذه الحالة فكتب :

---

(1) البستان ص 225 ، بغية الرواد ج1 ، ص 116.

(2) حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق، ص 52.

(3) المهدي البوعبدلي ، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ مجلة الأصالة، عدد 26 ، ص 131.

إلهي مضت للعمر سبعون حجة ❖ جنيـــت بهـــا لمـــا جنيت الدواهيا
وعبد قد أمسى رهين ذنوبه ❖ فجدلي برحمي منك،نعم الدواهيا [1]

و لما ورد الأديب أبو عبد الله محمد المكودي من المغرب رفع إليه قصيدة أولها :

سرت والدجى لم يبق إلا يسيرها ❖ نسيم صبا يحيى القلوب مسيرها

فيها الأبيات العجاب التي سارت سير الأمثال و هي قوله :

وفي الكلة الحمراء حمراء لو بدت ❖ لثكلى لولّـــى ثكلها و ثبورهـــا
فما يستوي مثوى لها من سوى القنا ❖ خيام ومن بيض الصفاح ستورها
وما يسوى صدق الغرام أو رمها ❖ ولا يسوى زور الخيال أزورها [2]

4. علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي أبو الحسن التلمساني 710-789 هـ / 1310- 1387 م.

هو أبو الحسن علي بن محمد الخزاعي التلمساني ، ولد بتلمسان و بها نشأ وحصل على مبادئ العلوم و الأدب ، أخذ عن القاضي بن الحاج البلفيقي

(1) بغية الرواد ، ج1 ، ص 116 ، نفح الطيب مج 5 ، ص 234 -235.
(2) نفح الطيب مج 5 ص 235.

وابن مرزوق الخطيب و غيرهما و قد نبغ في الأدب والتاريخ والفقه والحساب ، ولما نبه شأنه استكتبه السلطان أبو سالم المريني ثم استكتبه ملوك بني عبد الواد و أحيار استقر بفاس ككاتب الأشغال عند ملوك بني مرين . .

ومن آثاره كتابه " تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الحرف و الصنائع و العمالات الشرعية " ألفه لسلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس المريني [1] .

وله من النظم قوله لما كبا بموسى بن أبي عنان المريني فرسه بحي الشماعين بفاس اثر صلاة الجمعية فأنشد الشاعر الأبيات التالية :

مولاي لاذنب للشقراء إن عثرت	❖	ومن يلمها-لعمري-فما هو ظالما
وهالها ما اعتراها من مها بتكلم	❖	من أجل ذلك لم تثبت قوائمهما
و لم تزل عادة الفرسان من ركبوا	❖	تكبو الجياد و لم تنب عزائمها
وفي النبي رسول الله أسوتنـــــا	❖	أعلى النبئين مقـــدارا و خاتمها
كبابـــه فرس أبقـــى بسقطتـــه	❖	في جنبه خدشـــة تبدو مراسمها
حتى لصلـــى صلاة جالسا ثبتت	❖	لنا بها سنـــة لاحـــت معالـــها
صلى عليه الإلـــه دائمـــا أبدا	❖	أزكى صلاة تحييها نواسمهـــا [2]

5. محمد بن عمر الحجري المعروف بابن خميس التلمساني: 645 -708 هـ / 1247 – 1309 م:

(1) إرشاد الحائر ، المرجع السابق ، ص284 ، عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، الجزائر 1982 ، ص 113 ، 115.

(2) عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص 102 ، 103.

هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحميري الحجر الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني [1] و ينحدر من ذرية حَجْر ذي رُعَين ، أبوه من قبيلة يمنية من شعب حمير و قد في القسم الشعري من رسالته الأولى يفتخر بكونه بنسبه هذا في مواضع عدة من شعره و نشه من ذلك قوله من رسالته الأولى يفتخر بكونه سليل الدوحة الحميرية .

وان انتسبت فإنني من دوحة ❖ تتقيّل الأقيـــال برد ظلالهـــا

من حمير من ذي رعين من ذري ❖ حجر من العظماء من أقيالها

وإذا رجعت لطينتي معنى فما ❖ سلساهم بأرق من صلصالها [2]

و قوله في القسم النثري :

" فلو ساجلت بنبعها أبا كَرْب ، وأرته ضراعة خدِّها الترب ، لساجلت به أخضر الجلدة من بيت العرب ماجدا يملأ الدّلو إلى عقد الكرب بل لو حطّت بفناء ، بيتها الحجري رحلها ، وساجلت بفناء ، جدّها ذي رُعَيْن لا ستوفت سجلهما " [3]

نشأ بتلمسان ، وكان نسيج وحده زهدا و انقباضا ، و أدبا وهمة حســن الشيبة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، بعيدا عن الرياء و الهوادة [4] عارف

---

(1) MEZIANE (Abdel-Salem) , Ibn khamis , poète Tlemcenien du XIII e siécle , deuxième congrès de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord Tlemcen T. 11 , P 1058 . 1932.

(2) الإحاطة ج 2 ، ص 556 .

(3) الإحاطة ج 2 ، ص 559 .

(4) الإحاطة ج 2 ص 527 ، بغية الرواد ج 1 ، ص 109 ، عبد الرحمن الجيلالي ، ج 1 ، ص 169 ، المهدي بوعبدلي ، الأصالة ص 128 ، حاجيات و آخرون ص 447 .

بفنون الأدب و الفلسفة و الحكمة و النجاعة و السيمياء ، مؤرخا مطلعا على أخبار الأمم و الفرق و الطوائف على اختلاف حللها و نحلها ، كاتبا بليغا و شاعرا، و كان لغزارة علمه يوصف بين أهل العلم بشيخ الأدباء ، و عرف بشاعر المائة السابعة [1] و قال عنه العبدري في رحلته " ما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم و لا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خميس وهو فتيء السن . مولده عام خمسين و له عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه و المعين عليه ، و حظ وافر من الأدب ، و طبع فاضل في قرض الشعر " [2] .

لقد نشأ ابن خميس في أسرة فقيرة ، و ظل فقيرا حتى عندما أصبح له باع طويل في الشعر ، و قد أشار إلى فقره في شعره ، وهو يعزو ذلك إلى علمه لان العلم و المال ضدّان لا يجتمعان ، يقول:

يا أبي ثراء المال علمي و هل ❖ يجتمع الضدّان :علـــم ومـــال

وتأنف الأرض مُقامـــي بها ❖ حتى تـــهاداني ظهور الرجـــال[3]

وحول مسكنه أشار يحيى ابن خلدون أنّ : " مسكنه بيت فندق فرشه سلايخ الضأن لا غير" [4] .

---

(1) بغية الرواد ج 1 ، ص 109 ، البستان ص 225 .

(2) رحلة العبدري ، المصدر السابق ، ص 11 .

(3) الإحاطة مج 2 ، ص 553.

(4) بغية الرواد ج 1 ، ص 109 .

و عاش بتلمسان بين أحضان الطبيعة الجميلة الرائعة ، و ظلت ذكرياته فيها ماثلة في ذهنه فنجره عندما فارقها إلى الأندلس يسجلها في قصائده تطفح بالحنين إلى تلك الأيام الخوالي من شبابه التي قضاها بين جنباتها يسرح ويمرح في معاهدها ، وينعم بالصفاء و الهناء يقول:

وعهدي بها و العمر في عنفوانه ❖ ومــاء شبابي لا أجين ولا مَطْخُ [1]
قرارة هيــام أو مغنى صبابــة ❖ و معهــد أنس لا يلــذّ به لَطْخُ
إذ الدّهر مثنيّ العنــان منهنــة ❖ ولا ردع يثني من عناني ولا رَدْخُ [2].
ليالي لا أصغي إلى عذل عاذل ❖ كأن وقوع العذل في إذني صَمْخُ [3]

إلى أن يقول :

أأنسى وقوفي لاهيا في عراصها ❖ ولا شاغل إلاّ التودّع و السبخُ [4]
وإلا احتيالي ماشيا في سماطها ❖ رخيًّا كما يمشي بطرّته الــرّخُّ [5]
وإلا فعدوي مثلما ينفر الطّلا ❖ وليذا ، وحجلي مثلما ينهض الفرخُ
كأنّي فيها أرد شير بن بابــك ❖ ولا ملك لي إلا الشبية و الشرخُ [6]

---

(1) : ما يبقى في الحوض و الغدير من الماء الذي تكاثرت فيه الدعاميص
(2) الردخ : الردع
(3) الصمخ : الضرب في صماخ الأذن .
(4) السبخ : الفراغ .
(5) الرخ : حجر حر الحركة من أحجار الشطرنج .
(6) نفح الطيب ج 5 ، ص 371 .

لم يتعرض مترجموه لنشأته أن مشيخته على وفرة عددهم ، وهم الرحالة العبدري ، لسان الدين بن خطيب ، عبد الرحمن بن خلدون و أخوه يحيى ، واحمد المقري ، وابن القاضي ، و ابن القنفذ القسنطيني ، و السيوطي ، وابن مريم و الشريف الغرناطي[1] .

ولاشك أن لأبي بكر خطاب الغافقي تأثيره الكبير في تكوين ثقافة ابن خميس ولاسيما في توجيه ميوله إلى الأدب ، فكان ابن خميس يحفظ كثير من أشعاره مما انشده إياه بنفسه [2] .

تولى ابن خميس رئاسة كتابة الإنشاء في ديوان السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 681 هـ و هذا ما أشار إليه يحيى بن خلدون و كاتب إنشائه ـ أبي سعيد عثمان ـ الفقيه العارف أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس [3]. لكن كثرة حساده و كثرت فيه الواشيات فغادر تلمسان سنة 693 هـ وتوجه نحو سبته بالمغرب الأقصى بقصد الإقراء والإقامة فيها . و ذكر ابن الخطيب أنه " كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زيان ، ثم فرَّ عنهم ، و قد أوجس منهم خفية لبعض ما يجرى بأبواب الملوك" ، ليترك حياة القصر التي ضاق بها ذرعا ، و آثار حياة البساطة و الزهد ، و كيف يعقل منه ذلك وهو الذي كان يردد قول شيخه أبي بكر بن خطاب :

أبصرت أبواب الملوك تغص بـ ❖ الراجين إدراك الغنى والجـاه

---

(1) المهدي البوعبدلي ، أصالة ، المرجع السابق ، ص 130، 129.

(2) فرحات الشريف خوالد ، أبو عبد الله ابن خميس التلمساني ، حياته وأدبه رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، 1993 م ، ص 34 .

(3) بغية الرواد ، ص 208.

مترقبين لـــها فمهمـــا فتحـــت ❖ خرّوا بأذقـــان لهـــم وجبـــاه

فأنفتُ من ذاك الزّحام وأشفقت ❖ نفسي على أنضاء جسمي الواه

و رأيت باب الله ليس عليه مـــن ❖ متزاحـــم فقصـــدت باب الله

وتخذتـــه مـــن دونهم لـــي عدّة ❖ وأفقت من غيي وطول سفاه[1]

و مدح رؤساءها من بني العزفي ، فغنم عطفهم بعد أن رمته الأيام بالمحن والبعد عن الأهل و الخلان و الوطن إلا أنه رأى في المغرب الأقصى مكر الماكرين ، وكيد الكائدين ، فاهم بالزندقة فتمت محاكمته بفاس و قد صادفت محاكمة ابن خميس وجود ابن هديّة و يبدو و أنه كانت له اليد الطولى في تدبير أمر هذه المحاكمة ، فكان حاضرا أثناء محاكمته ووصفها بقوله " فاتفق أن اجتمع في بعض محافلها الحافلة ، و مجالسها العامرة يأهل الفضل ، الآهلة بطائفة من حذاق الاشعرية و جماعة من فقهاء المالكية ، كالشريف ابن البركات [2] وغيره في فقهاء القطر ففتحوا باب المذاكرة ، وسلكوا سبيل المناظرة و تفننوا في الكلام إلى أن اخذوا في علم الكلام استدراجا بن خميس ، و استخراجا لخبّ مذهبه الفلسفي الخسيس " [3] .

وقد وقف ابن خميس موقف الأبطال حيث دافع عن آرائه وأفحم خصومه بحجج قاطعة حتى لم يبق في المناظرة إلا خصمه الذي نصب له الكمين بحكم

---

(1) العبدري ، مصدر سابق ، ص 5.

(2) هو الشريف أبو البركات محمد بن علي الحسني المعروف ببلده فاس بالشواذكي ، الأصالة عدد 49 ، 50 ، ص 7.

(3) المهدي البو عبدلي ، الأصالة ، المرجع السابق ، ص 131.

مركزه السياسي وهو الشريف أبو البركات [1] الذي كان يستدرجه ليسجله في دفتر الزنادقة ، وتسجيل المحكوم عليه في هذا الدفتر يعني هدر دمه [2] .

ولقد فر ابن خميس من تنفيذ حكم الإعدام عليه عائدا إلى تلمسان التي عاش فيها بعيدا عن انتظار الناس و الحاقدين في حالة انزواء و انعزال يترقب مرور الأخطار التي كانت تحدق به ومن المراقبة الشديدة له لاسيما من قبل خصمه العنيد ابن هدية و قد أشار ابن خميس إلى ما كان يتعرض له من ظلم واضطهاد:

ومن العجائب أن أقيم ببلـــدة ❖ يومـــا واسلم من أذى جهّالهـــا

شغلوا بدنياهم أمـــا شغلتهـــم ❖ عني فكـــم ضيعت من اشغالها

حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم ❖ شمس الهدى عبثوا بضوء ذبالها [3]

وكان لهذه التهمة التي وجهت لابن خميس ، أن بقي مجهولا بين أهله ، على الرغم من أن سمنته قد وصلت إلى المشرق ولم ينتشر له ذكر حتى في كبر ، يوم أصبح فارس حلبة القريض و البيان .

و ذكر المقري أن السلطان أبا عنان المريني قال " اخبرني الإمام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي ، قال : لما توجه الشيخ

---

(1) نفس المرجع و الصفحة عينها .

(2) فرحات خويلد ، المرجع السابق ، ص 37.

(3) الإحاطة مج 2 ، ص 556 .

صالح الشهير ، أبو إسحاق التنيسي من تلمسان إلى بلاد الشرق اجتمع هناك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد [1] فكان من قوله:

- كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ؟ و جعل بحلية بأحسن الأوصاف ، ويطلب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ متعجبا و قال :

- من يكون هذا الذي حليتموه بهذه الحلي و لا أعرفه ببلاده؟

فقال له هو القائل :

عَجَبًا لَهَا أَيَذُوقُ طَعْمَ وِصَالِهَا

قال: فقلت له : إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتهم و إنما هو عندنا شاعر فقط، فقال له : إنكم لم تنصفوه، و أنه لحقيق بما وصفناه " [2] .

ولقد ارتحل ابن خميس نحو الأندلس ليستقر بعض الوقت "بمالقة" ومنها إلى غرناطة حيث وصلها سنة 703 هـ ، و كان أميرها يومئذ محمد الثالث النصري المعروف بالمخلوع و وزيره وقت ذاك أبو عبد الله ابن الحكيم ، الأديب الكبير ، الذائع الصيت ، ولد برندة سنة 660 هـ استكتبه الأمير أبو عبد الله بن محمد النصري في خلافته ، ولما توفي الأمير المذكور ، قلده أبو عبد الله المخلوع الوزارة و الكتابة ، فلقد حقق هذا الوزير لابن خميس الجاه و الهناء و العيش الطيب بقول مخاطبا إياه :

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن وهب العشري المعروف بتقي الدين بن دقيق العيد .

(2) نفح الطيب ج 5 ، ص 370 .

وطـأت لي الدّنيا فلا عـوج ❖ فيمـا أرى منهـا ولا أمـت

امكنتني منهـا فيمـا ليـديّ ❖ ردء ، ولا لمقالـتي عـت

بالغـت في برّي و لا نسـب ❖ أدني إليـك بـه و لا مـت

لكـن حسـبي إن مـتت بـه ❖ يوما إليك و ودادي البحـت

و يقـول:

يا ابن الحكيم آمنت صرف ردى ❖ أبـدا لـه في أثلـتي نحـت

و يقـول أيضـا :

حمـاني فلم تنتب محلي نوائب ❖ بسوء و لم ترزا فؤادي أرزاء[1]

ومن مدينة مالقة ارتحل إلي المرية ، فترل بها في ضيافة القائد ، أبي الحسن بن كماشة ، من خدام الوزير أبي عبد الله بن الحكيم سنة 706 هـ و بها مدح الوزير ابن الحكيم بقصيدته التي أولها :

العُشـيُّ تعيـا و النوابـغ ❖ عن شكر أنعمـك السوابـغ

ومما جاء فيها في حق ابن كماشة

ودسائـع ابـن كماشـة ❖ مـع كـل بازغـة و بـازغ

تأبى جـسمنـا تـهـوى التغـنا ❖ نغ مـن شهيـات اللغالـغ

ومنهـا :

مـا ذاق طعـم بلاغـة ❖ مـن ليس للحوشـي ماضغ[1]

---

(1) [illegible]

لم تنسه حياته الجديدة بالأندلس تلمسان فكان يتشوق إليها في قصائد عديدة منها :

تلمسان جادتك السحاب الدوالح ❖ وأرست بواديك الرياح اللواقــح
وسح على ساحات باب جيادها ❖ ملث يصافى تربــها و يصافــح
يطير فؤادي كلمـــا لاح لامع ❖ و ينهل دمعي كلما ناح صــادح
ففي كل شفر من جفوني ماتــخ ❖ وفي كل شطر من فؤادي قــادح
فما الماء إلا ما تسـح مدامعــي ❖ وما النار إلا مــا تجــن الجوانــح
خليلي لا طيــف لعلــوة طارق ❖ بليل و لا وجــه لصبحي لائــح
نظرت فلا نور من الصبح ظاهــر ❖ لعيني ولا نجم إلي الغــرب جانــح
لساقية الرومــي عنــدي مزيــة ❖ وإن رغمت تلك الرواسي الرواشح
فكم لي عليها من غدو وروحــة ❖ تساعــدني فيهــا المــنى و المنائح
فطرفي على تلك البساتيــن سارح ❖ و طرفي تلــك الميادــين جامــح
تحاربها الأذهـــان و هي ثواقــب ❖ و تهفــو بها الأفكار وهي رواجح
ظبــاء مغانيهــا عواط عواطــف ❖ وطير مجانيهــا شــواد صــوادح
وتقتلهم فيهــا عيــون نواظــر ❖ وتبكيهــم منها عيــون نواضــخ
علــى قريــة العبــاد مني تحيــة ❖ كما فاح من مسك اللطيفة فائــح
وجــاء ثــرى تاج المعارف ديمة ❖ تغص بها تلك الربى و الاباطــح

(1) نفخ الطيب ج 5 ، ص 361 .

إليك شعيب بن الحسين قلوبنا ❖ نوازع لكن الجسوم نوازح

سعيت فما قصرت عن نيل غاية ❖ فسعيك مشكور و تجرك رابح

وان انس لا أنس الوريط ووقفة ❖ أنافخ فيها روضة و أناوح

مطلا على ذاك الغدير وقد بدت ❖ لإنسان عيني من صفاه صفائح

أماؤك أم عيني عشية صدقت ❖ عليه فينا ما يقول المكاشح

لئن كنت ملانا بدمعي طافحا ❖ فإني سكران بحبك طافح

ون كان مهري في قلاعك سائحا ❖ فذاك غزالي في عبابك سابح

فراح غدا ينصب من فوق شاهق ❖ يمثل حلاه تستحث القرائح

إلى أن يقول:

أيا أهل ودى و المشير مؤمن ❖ أتقضى ديوني أم غريمي فالح

و هل ذلك الظبي التصاحى للذي ❖ يقطع من قلبي بعينيه ناصح

كنيت بها عنه حياء و حشمة ❖ ووجه اعتذاري في القضية واضح[1]

ومن تلاميذه و رواة شهره، و جلسائه و أصدقاءه بتلمسان و سبته و فاس وبلاد الأندلس : الإمام النحوي محمد بن علي بن الفخار الجذامي [2].

---

(1) المهدى البوعبدلي ، المرجع السابق ، ص 134 ، 135 ، بغية الرواد ج 1 ، 86-87 .

(2) هو محمد بن على الفخار الجذامي ، أركشى المولود و المنشأ ، كان متفننا عالما بالفقه و العربية و الأدب والقراءات و الحدي له نحو ثلاثين تألبفا توفي بمالقة سنة 723 هـ انظر الإحاطة مج 3 ، ص 91 – 95 .

والفقيه الأديب محمد إبراهيم بن عيشون البلفيقي [1] ، وأبو محمد عبد المهيمن الحضرمي ، و أبو زكرياء بن يحيى بن علي القيسي [2] ، و أبو عبد الله بن قطرال الأنصاري[3] و أبو الحسن البلوي [4] وأما رواة شعره فمنهم: أبو عبد الله بن عبد الرزاق الجزولي [5] و أبو عثمان بن ليون التجيبي[6] والرحالة العبدري والسلطان أبو عنان المريني الذي كان مولوعا به .

من أصدقائه فكان اغلبهم من العلماء و ذوي الشأن و السلطان و منهم : أبو عبد الله بن حمدون ، و أبو زكرياء يحيى بن عصام ، و أبو الفضل يحيى بن عتيق العبدري ، و أبو عبد الله بن رشيد، و أبو عبد الله بن الحكيم ، و أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي و أبو العباس العرفي و غيرهم .

ولقد توفي ابن خميس قتيلا بغرناطة ضحى يوم عيد الفطر في منتهل شوال سنة 708 هـ ، و ذلك يوم مقتل مخدومه ابن الحكم[7] و يقال أنه في صبيحة هذا

---

(1) هو محمد بن محمد بن ابراهيم ، من أهل ألمرية ، كان مستكثرا في الرواية . مشاركا في أصول الفقه و فروعه وعلم اللسان و المنطق ، شاعرا توفي بسبتة سنة 694 هـ انظر الإحاطة مج 2 ، ص 431.

(2) هو يحيى بن علي بن أحمد بن علي القيسى ، يعرف بابن زرقالة من أهل المرية ، كان أديبا شاعرا له نظم في الأدب و علم النجوم توفي بالمرية سنة 750 هـ .

(3) هو محمد بن علي بن قطران الأنصاري ، يعرف بابن قطرال من أهل مراكش ، كان فاضلا صوفيا عارفا متحدثا فقيها زاهدا توفي سنة 709 هـ .

(4) هو الحسن بن إبراهيم بن أبي خالد البلوى كان فقيها ، أديبا ، نحويا توفي سنة 740 هـ.

(5) هو محمد بن عد الرزاق الجزولي من أهل فاس ، نشأ بها و أخذ عن شيوخها ، و انتقل إلى تونس واخذ عن علمائها و عند عودته إلى فاس تولى القضاء توفي سنة 758 هـ .

(6) هو سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي يعرف بابن ليون من أهل المرية ، كان متبحرا في العلم ، له علم بعلم [illegible] و العروض توفي سنة 750 هـ .

(7) بغية الرواد ج1 ، ص 109 ، نفح الطيب ج 5 ، ص 362.

اليوم شرع في نظم قصيدة عيدية ليهنئ بها الوزير المذكور على عادتـه معه فقال :

المنـازل لا يجيـب صداهـا ❖ محيت معالمهـا وصـمّ صداهـا

و يقال أن من قتله هو الرئيس علي بن نصر الشهير بالأبكم .

6. عبد الرحمان بن خلدون :

هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي من أسرة يمنية عريقة دخلت بلاد الأندلس مع جيوش السلامية الفاتحة ، ثم هاجرت نحو إفريقية و اشتهرت بالعلم و حسن الحكم والسياسة ، وولد بتونس سنـة 732هـ 1332/[1] و نشأ فيها فحفظ القرآن الكريم و الحديث الشريف على يد والده و غيره من الفقهاء و العلماء منهم: أبو محمد بن المهيمن الحضرمي ، و أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي بشيخ العلوم العقلية ، و اعتنى بالأدب وأمور الكتابة و الخط ، ولما استولى أبو عنان المريني على تلمسان و بجاية استدعى ابن خلدون لخدمته في فاس [2] ونزل بها سنة 755هـ/1354 ، وفي سنة 757هـ غضب عليه و سجنه مرتين و مكث ابن خلدون في الثاني حتى وفاة أبي عنان عام 759 هـ و في سنة 760 هـ استعمله السلطان أبو سالم المريني كاتب سره ثم عيّنه قاضيا للقضاة؛ ولقد غادر ابن خلدون المغرب بعد وفاة السلطان أبي سالم 764 هـ ليستقر بالأندلس فرحب به ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب وأحسن

(1) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، المرجع السابق ، ص 209.

(2) الإحاطة مج 3 ، ص 498 .

إكرامه و قربه ابن الخطيب إلى مجلسه وكان سفير السلطان الزياني لدى ملك قشتالة فنجحت سفرته و تمكن من بمهمته إتمام عقد الصلح بينه وبين ملوك العـــدوة ، ليعود بعد ذلك إلى المغرب الأوسط ، فقد كتب إليه أبو حمو ليتولى حجابته " الحمد الله على ما أنعم ، و الشكر لله على ما وهب ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون حفظه الله على أنك تصل إلى مقامنا الكريم ، لما اختصصنا كم به من الرتبة المنيعة ، و المترلة الرفيعة و هو قلم خلافتنا و الانتظام في سلك أوليائنا أعلمنا بذلك و كتب بخط يده عبد الله المتوكل على الله ، موسى بن يوسف لطف الله به ... " (1)

واستقر أخيرا بتلمسان مع أهله وولده في خدمة السلطان أبي حمو موسى الثاني ثم تفرغ للعبادة و تدريس العلم ، ثم رأى أبو حمو أن يبعث به سفيرا إلى الدواودة لاسترضائهم فعزف عن السياسة و مال إلي العزلة و الانقطاع والخلوة للعلم و البحث و التأليف و قبل السلطان عذره فخرج من تلمسان إلى البطحاء و لحق بأولاد عريف فرحبوا به و أكرموه ، و أنزلوه مع أهله في قلعة أولاد سلامة من بلاد بني توجين من أعمال تلمسان فأقام ها أربعة أعوام وهناك شرع في تأليف تاريخه العام فأكمل المقدمة المشهورة التي تعتبر الجزء الأول من كتاب (العبر) حيث قال : فأقمت ها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل و شرعت في تأليف هذا الكتاب و أنا مقيم ها و أكملت المقدمة على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة .

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ج 14 ، ص 902 .

و في سنة 784 هـــ ركب البحر بغية الحج إلي البقاع المقدسة وبعد أربعين ليلة نزل بالإسكندرية في عهد الملك الظاهر بن قلاوون و أقام بها شهرا استعدادا للحج الذي لم يتم في ذلك العام ، فانتقل إلى القاهرة و كانت يومئذ كما قال " حاضرة الدنيا و بستان العالم ، غاصة بالعلماء و المدارس ، و لقي بها شيوخا حجاجا من المغرب الإسلامي مثل أبي عبد الله المقري و أبي العباس بن إدريس كبير علماء بجاية ، و القاضي الفقيه أبي القاسم البرجي ، سفير أبي عنان إلى مصر و أعجب ابن خلدون بالقاهرة فقرر الاستقرار بها و جلس للتدريس بالجامع الأزهر ، ثم تولى بعد ذلك القضاء فكان قاضي قضاة المالكية ، وبينما كان ينتظر لحاق أهله من تونس فجع بخبر غرقهم في عاصفة بحرية ، فعظم مصابه و مال إلى الزهد و أشفق عليه السلطان فترك منصب القضاء ، و عكف على تدريس العلم و القراءة وقضى بقية حياته في العبادة إلى أن وفاة الآجل بالقاهرة 25 رمضان عام 808 هـــ [1]/ 17 مارس 1406م.

مآثر ابن خلدون:

لقد عاش عبد الرحمان بن خلدون حياة زاخرة بالأحداث و النشاط العلمي و السياسي،جمع فيه بين التدريس و الإدارة والخطابة و القضاء تقلب بين نعيم القصور و نكبات الزمان و مرارة السجن و لم ينعم بالهدوء و الاستقرار سوى أربع سنوات قاضاها في قلعة بني سلامة القريبة من مدينة تهرت و كانت هذه العزلة أخصب فترات حياته في الإنتاج العلمي،و قد أنهى فيها تأليف المقدمة

---

(1) نيل الابتهاج مج 2 ، ص 275 .

خلال خمسة أشهر قاضاها في التأمل و الكتابة [1] ومن مآثره كتابه المشهور الذي عنونه بـــ: كتاب العبر و ديوان"المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" في أربعة أجزاء[2] و من تأليفه أيضا شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحا بديعيا، و لخص كثيرا من كتب ابن رشد و لخص محصل الإمام فخر الدين ابن الخطيب الرازي [3] و ألف كتابا في الحساب، و أما نثره وسلطانياته مرسلها و مسجعها، فخلج بلاغة ورياض فـــنون ، ومعادن إبداع،و نظم الشعر و من ذلك قوله يخاطب السلطان المغربي ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين و سبعمائة بقصيدة طويلة منها:

أَسْرَفن في هجـــر وفي تعذيـــي ❖ و أطلن مـــوقف عـــبر ونحيـــــى

و أبين يوم لبين موقف ســـاعة ❖ لـــوداع مشغوف الفـــؤاد كئيب

لله عهد الظاعنـــين و غـــادروا ❖ قلـــبي رهـــين صبابة ووجيـــــب

غربت ركائبهم و دمعي سافح ❖ فشرقت بعدهم بمـــاء غروبـــــي

يا ناقعا بالعتب غلّة شوقهـــم ❖ رحمـــاك في عـــذلي وفي تأنيـــبي

يستعذب الصب الملام و إنـــني ❖ مـــاء الملام لـــدَيَّ غيرُ شـــريب

ما هاجاني طرب ولا اعتاد الجوى ❖ لـــــولا تـــذكـــر منزل و حبيب

أهفو إلى الأطلال كانت مطلعا ❖ للبدر منهـــم أو كنـــاس ربـــيب

---

(1) علي علواش، معجم مشاهير، المرجع السابق ، ص195.

(2) شاوش رمضان، المرجع السابق ، ص312 .

(3) يعرف الإمام فخر الدين الرازي و هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، المتوفى سنة 606هـ، يعرف بابن الخطيب.

عتبت بها أيدي البلى و ترددت ❖ في عطفها للدهـر أي خطـوب
لم أنساها و الدهر يثني صرفـه ❖ ويغـض طرف حاسـد و رقيـبي
والدار مونقـة محاسنهـا بـما ❖ لبسـت من الأيـام كـل قشيب

../..

هلاّ عطفت صدورهن إلى التي ❖ فيهـا لبـانة أعيـن و قلـوب
فتؤمّ من أكناف يثرب مـأمنا ❖ يكـفيك مـا تخشاه من تثريـب
حـيث النبـوة أيـها مَجْلُوَّةٌ ❖ تتلـوا من الآثـار كـل غريـب
سرّ غريب لم تحجبـه الثـرى ❖ مـا كان سر الله بالـمحجـوب
يا سيد الرسل الكـرام ضراعة ❖ تقضى من نفسـي و تذهب حوبي
عاقت ذنوبي عن جنابك و المنى ❖ فبهـا تعللـى بكـل كـذوب [1]

7. <u>يحيى بن خلدون</u> 734-780 (1344/1379م)

هو أبو زكرياء يحيى بن محمد بن خلدون شقيق عبد الرحمان بن خلدون، ولد بتونس سنة 734 هـ/1333م [2] و نشأ بها و تلقى العلم على يد فقهائها وعلمائها مثل عبد المهيمـن الحضرمي، و محمد بن إبراهيم الآبلي والسطي و أبو منصور الزواوي و غيرهم، و في عهد السلطان أبي عنان فارس المريني انصرف إلى خدمة الدولة المرينية بفاس.و في أخر سنة 761هـ،رافق الأمير أبا

(1) الإحاطة ،مج 3، ص508،509 .

(2) بغية الرواد، مج1، المصدر السابق، ص7، حاجيات أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص174، حاجيات، الأصالة عدد 26 المرجع السابق، ص26،151.

عبد الله الحفصي الذي توجه نحو بجاية قصد انتزاعها من عمه السلطان أبي إسحاق بمساعدة قبيلة رياح،فلم يحقق هذا الهدف إلا بعد أربع سنوات، و لما استولى أبو عبد الله الحفصي على بجاية سنة 765هـ عين يحيى بن خلدون في منصب الحجابة ثم تركها لأخيه عبد الرحمان، الذي قدم من الأندلس سنة 766 هـ ، و في رجب 769هـ التحق يحيى بن خلدون ببلاط أبي حمو الثاني حيث عين كاتبا للسلطان الزياني [1] و شغل هذا المنصب إلى أن ساءت الأوضاع بين بني مرين و بين زيان، و احتلال السلطان المريني عبد العزيز تلمسان و سائر بلاد المغرب الأوسط سنة 772هـ،فمكث يحيى بن خلدون عدة بتلمسان في بلاط عبد العزيز ثم رحل إلى فاس رفقة أخيه عبد الرحمان و لسان الدين بن الخطيب، و في أول سنة 776هـ، عاد إلى تلمسان فأرجعه أبو حمو عن منصب الكتابة والإنشاء [2].

كانت نشأة يحي بن خلدون في علمي،يحمل طابع الجد والعناية والاهتمام الكبير بالعلوم الدينية، والتفتح إلى الأدب والشعر، الأمر الذي جعله يرتقي إلى طبقة الكتاب المبرزين ، أمثال أبي القاسم ابن رضوان،ولسان الدين بن الخطيب و غيرهما ومن أثاره "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" [3].وقد نظم قصائد عديدة، في مدح أبي حمو الثاني و في المناسبات الدينية.فمنها القصيدة التي قالها في الاحتفال بالمولود النبوي الشريف سنة 764 هـ عندما قدم رسولا للأمير أبي عبد الله وأولها:

(1) أبو حمو موسي، المرجع السابق، ص175.

(2) نفس المرجع، ص176.

(3) ارشاد الحائر، المرجع السابق، ص270، أبو حمو موسي، المرجع السابق، ص175.

قراءات لهــا أعلام نجد فحياهـــا ❖ نسيم سرى من حاجر ورباهـــا
ولاح لها البـــرق اليـــماني فانبرت ❖ تمد حثيثا للعذيب خطاهـــا [1]

و منها القصيدة التي التمس بها رضى أبي حمو،أثناء مقامه بفاس أواخر سنة 775هـــ جاء فيها:

و إذا الديار تعرضت لأخي الهوى ❖ لم يغـــن عنه الصبر والكتمان
يعتـــاده الذكرى و يبعث وجده ❖ أثـــر تخلفـــه لها السكـــان
يا سائل العرصات أقوت ضلـــة ❖ من أين تدري الدار ما الظعان
لا تخش أن ضن الغمـــام لربعها ❖ ظمأ فدمعـــي عارض هتان [2]

و قد قتل يحيى بن خلدون في رمضان سنة 780هـــ بتدبير من الأمير أبي تاشفين بن السلطان أبي حمو.

8. محمد بن يوسف القيس التلمساني المعروف بالثغري:

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني و يقال له الثغري [3] من أشهر شعراء تلمسان الزيانية و بلغائها المبرزين ، ولد بتلمسان، أندلسي الأصل، كان من جملة الموظفين ببلاط أبي حمو موسى الثاني، وصفه المازوني في نوازله بالشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة الأديب الأريب الكاتب، أخذ عن أبي

---

(1) أبو حمو موسى، المرجع السابق،ص177.

(2) نفس المرجع السابق و الصفحة عينها ، أنظر بغية الرواد ج2، ص297.

(3) نسبة إلى الثغر الذي هو المكان الذي يخاف منه هجوم العدو و حيث أنه الشاعر من أصل أندلسي فلا شك أنه من بلدة أو قرية كائنة في الحد الفاصل بين المسلمين الناصري، انظر شاوش رمضان ، المرجع السابق،ص304.

عبد الله الشريف [1] وحلاه المقري في أزهار الرياض بقوله :الفقيه العلامة الناظم الناثر [2] وقد نبغ في فنون الأدب،فنظم القصائد الغراء،كان يلقيها في الحفلات الدينية التي كان يقيمها أبو حمو موسى الثاني في قصيدة خاصة في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[3] و مثال على ذلك نظم الثغري قصيدة ألقاها في الاحتفال بالمولد عام 771هـ منها ما يلي:

يا ليلة الاثنين افتخر* بالبدر الطالع من مضر* في ليلة يوم أثنى عشر

من شهر ربيع المشتهر * بالمولد فهو به علم

كالشمس سناه و كالقمر* و بدت كالزهر* أنوار هدى خير البشر

و نبي الرحمة و البشر* فجميع الخلق به رحموا

يا شهر بك افتخر الدهر* يا شهر جمالك مشتهر* يا شهر كمالك منتشر

يا شهر قدومك يا شهر * تحيي بنوا سمه النسم

يا شهر ربيع فيك بدا *ومن الأنوار قد انفرادا* و الخير بمولده اطرادا

و أتى للخلق بكل هدى* فبطلعته سعد الأمم[4].

ومما ألقاه في مدح تلمسان و سلطانها أبي حمو موسى الثاني.

تاهت تلمسان بحسن شبابها ❖ وبدا طراز الحسن من جلبابها

(1) البستان،ص223، 222.

(2) عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر،ج1،ص217.

(3) عبد الحميد حاجيات،الأصالة،عدد 26، المرجع السابق، ص150.

(4) ابن خلدون (يحي)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مج2، ألفراد بال الجزائر، 1910، ص128-127.

فالبشـــر يبدو من حباب ثغورها ❖ متبسما أو من ثغور حبابـــهـــا
قد قابلت زهر النجوم بزهرهـــا ❖ و بـــروجها ببروجها و قبابهـــا
حسنت بحسن ملكهـــا المولى أبي ❖ حـــمو الذي يحمي حمى أربابها
مـــلك شـــمائله كزهر رياضها ❖ و نداه فاض بها كفيفي عبابهـــا
أعلى الملوك الصيد من أعلامهـــا ❖ وأجلها من صفوهـــا و لبابـــها
غارت ففرت وجهه شمس الضحى ❖ و تثقبت خجلا بثوب ضبابهـــا
و البـــدر حين بدت أشعتهـــا له ❖ حسنا تضاءل نـــوره وضبابهـــا
لله حضرته التي قـــد شرفـــت ❖ خدامها فسموا بخدمـــة بابـــها
فـــاللثم في يمـــناه يبلغها الـــمنى ❖ والمدح في علياه من أسبابهـــا [1]

و له قصيدة رفعها إلى السلطان أبي حمو يصف فيها تلمسان :

أيهـــا الحافظـــون عهـــدا الوداد ❖ جددوا انســـنا بـــباب الجيـــاد
وصلـــوها أصـــائلا بـــليـــال ❖ كـــلال نظمن في الأجـــيـــاد
في رياض منضدات المـــجانـــي ❖ بين تلـــك الربـــا و تلك الوهاد
بروج مشيـــدات المـــبانـــي ❖ باديات السنى كشهـــب بوادي
رقت فيها النسم مثل نـــسيـــي ❖ و صفا النهر مثل صفـــو ودادي
وزها الزهـــر والغصـــون تثنـــت ❖ و تغنـــت عليه ورق ســـوادي

../..

[1] نفح الطيب، ج4، ص 262، 261.

كل حسن على تلمسان وقـــف ❖ و خصوصا على ربـــي العـــباد

منحك النور في رباها و أربـــي ❖ كهف ضحاكها على كل نـــاد

../..

و حبـــاها بكل بـــذل و عـــدل ❖ و حماها من كل بـــاغ و عـــاد

ملك جاوز المدى في المـــعالـــي ❖ فـــالنهـــايات عنـــده كالمبادئ

معقل للهـــدي منـــبـــع للنواحي ❖ مظهر للعلا رفـــيع العمـــاد [1]

و في رثاء المولى أبي يعقوب الزياني قـــال:

المرء في الدنيا رهـــين خطـــوب ❖ والدهر أفصح من خطاب خطيب

من صاحب الدنيا الدنية لم تزل ❖ تأتـــيه بالمكروه فـــي المحـــبوب

و مؤمل الأيـــام ليـــس بحـــاصل ❖ إلا على أمل بـــها في مكـــذوب

دنياي مثل الحلـــم في التجريـــب ❖ ولـــغاية مجهـــولـــة تجـــري بي

يانفسي خلي الصبر وادرعي الأسى ❖ وإذا دعيـــت فبالوجيب أجيـــبي

نادي بنادي المجـــد صرفه نـــاد بـــ ❖ أسفا علـــى المولى أبي يعقـــوب

فعليه يا نفســـي الكئيبـــة فأنذبـــي ❖ وعليه يـــا كبدي القريحة ذوبـــي

أسفا لمن فـــاق الملـــوك جـــلالـــه ❖ و ديانة و لكـــل فـــضل حوبـــي

جمـــع الفضائل باختلاف ضروبـــها ❖ فغـــدا بها فـــردا بغـــير ضـــريب

---

[1] انظر نفخ الطيب، ج7، ص123، 121، عبد الرحمان الجيلالي، ج و ص 217.
بغية الرواد، مج ج .ص 107،109، محمد شاوش، إرشاد الحائر المرجع السابق، ص 309، 308.

أعظـــم بـــه من زاهـــد و مجاهـــد ❖ و منيـــل رفـــد تـــارة و منـــيب
من دأبـــه الديـــن المتـــين و لم يزل ❖ من كل فضـــل أخـــذا بنصـــيب
من كان جيش الموت،يخدم سيفـــه ❖ أودى بجيش للـــمنـــون عصيب
أودى فلم تملـــك لـــه من حيلـــة ❖ أعي دواء المـــوت كل طبـــيب

../..

حملـــوه من شرق لغرب فأغتـــدى ❖ كطلوع الشمس بادرت لغروب
جفـــت ملائكة السمـــاء بنعشـــه ❖ و الخلق حـــول سريره المنصوب
و مشـــوا على أقدامهـــم قدامـــه ❖ يدعـــون بالتغريب و الترهـــيب
لو أمكن الخلـــق الفـــدا بنفوسهم ❖ لفدوه طـــرا من لقـــاء شعوب
فتـــعـــز يا مولاي عنـــه فـــإنـــه ❖ فد فاز مـــن مولاه بالمرغـــوب
و مضى لرحمـــة ربـــه مستبشـــرا ❖ بثوابـــه و إليـــه خيـــر مثيـــب
و اختار دار الخلـــد من دار الفنـــا ❖ بدلا كذلك فعـــل كـــل لبيـــب

8- محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي:

هو أبو الفضل محمد بن محمد أبي القاسم المشدالي، نسبة إلى مشدالة إحدى قرى بجاية، ولد سنة 822هـ/1417م [1] وبها تلقى دروسه على أكابر

[1] عبد الرحمن الجيلالي، ج1، المرجع السابق، ص 265.

مشيختها[1]، وهو ينتمي إلى بيت علم و صلاح، مشهور من قبل بانقطاع أهله إلى التدين والتقوى و خدمة العلم و من علماء هذه العائلة : أبو علي ناصر الدين المشدالي، وأبو موسى عمران المشدالي و والد المترجم عالم بجاية و خطيبها أبو عبد الله بن أبي القاسم المشدالي، و شقيقه محمد بن محمد المشدالي [2].

قال السيوطي :"هو أحد أذكياء العالم اشتغل بالمغـــرب ...... وأقرأ بمصر و غيرها و أبان عن تفـــنن في العلوم فقـــها و أصولا و كلاما و نحوا و غير ذلك،و أخذ عنه طلبه العصر". [3] نشأ أبو الفضل على غرار أسلافه شغوفا بالعلم والحكمة والأدب أخذ القرآن الكريم برواياته السبع عن والده و حفظه في سن مبكرة فروي أنه إبتدأ حفظ القرآن الكريم ببجاية وهو في السنة الخامسة من عمره.وممن أخذ عنهم القراءات الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي رفاع وقرأ لنافع عن الشيخين هارون المجاهد و أبي عثمان سعيد العيساوي،[4] و أخذ علم الصرف و العروض عن أبي يعقوب يوسف الريغي، وأخذ فنون اللغة والمنطق والأصول و الميقات عن أبي بكر التلمساني و أبي بكر بن عيسى الونشريسي وأخذ النحو عن يعقوب التيروني و قرأ على أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر في النحو و المنطق و أخذ الحساب عن موسى بن إبراهيم الحسناوي،ثم سافر إلى تلمسان في حدود سنة 840هـــ و أقام بها سنوات قضاها في الاستفادة من علمائها أمثال ابن مرزوق الحفيد الذي أخذ عنه التفسير والحديث و الفقه و الأصلين والأدب بفنونه و المنطق والجدل و الفلسفة والطب

(1) رمضان شاوش، ارشاد الحائر ، المرجع السابق،ص 328.

(2) عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق و الصفحة عينها .

(3) نبيل الابتهاج، مح2، ص 224.

(4) عبد الرحمان الجيلالي ، ج1، ص265.

و الهندسة،و أخذ الفقه وأصول الدين عن أبي القاسم سعيد العقباني،و عن أبي الفضل بن الإمام أخذ التفسير ، وأخذ عن كل من أبي العباس أحمد بن زاغو و أبي عبد الله محمد بن النجار والمعروف بباسطور القياس، و ذلك لشدة معرفته بهذا الفن.[1]

و بعد أن تبحر في العلم و المعرفة عاد إلى بلدته بجاية سنة 844 وراح يتنقل ما بين بجاية و بونة،و قسنطينة و تونس ثم توجه نحو المشرق فطاف بين بلاد الشام وبيت المقدس و القاهرة و شاع ذكره فملأ الأسماع ووقع على تفضيله الإجماع ، وكان ممن تعرف إليهم في مصر الإمام السخاوي و السيوطي ، والقلصادي الذي وصل القاهرة يوم الثلاثاء السادس عشر من الشهر 29 أوت 1447م.

و قال في رحلته: و دخلنا القاهرة ذلك اليوم، رأينا فيها من الأمور والأحوال ما لا يعده الحصر والقياس، من كثرة الخلق وازدحام الناس ونزلت بجامع الأزهر ووجدت هناك بعض الفضلاء و الأخيار من أهل المغرب.و بعد ذلك وقع اجتماعنا بصاحبها الفقيه الإمام الفذ في وقته ذي العلوم الفائقة و المعاني الرائقة أبي الفضل المشدالي لم أر مثله في تحصيل العلوم و تحقيقها، آخذ في كل علم بأوفر نصيب وضارب فيه بسهم مصيب،و تذكرنا أزمانا مضت لنا بتلمسان ويالها من ليالي وأيام، مع أشياخ و سادة أعلام.

(1) نيل الإبتهاج، مج2 ، ص224 ، انظر أيضا عبد الرحمان الجيلالي، ج1، ص266.

أحاديث أحلى في النفوس من المنى ❖ و ألطف من مر النسيم إذا سرى[1]

و من تلاميذه بتلمسان الإمام أحمد بن زكري، مفتي الديار الزيانية، وبالشام ابن قاضي عجلون،بالقدس الكمال ابن أبي الشريف و بالقاهرة الشهاب البيجوري . ومن مآثره شرح جمل الخونجي[2]، وتوفى سنة خمس وستين وثمانمائة (865 هـ)[3].

ومن شعره قوله مخاطبا بعض أصدقائه ببجاية من أبيات:

برق الفراق بدا بأفق بعادنا ❖ فتضعضعت أركاننا لرعوده

كيف القرار و قد تبدد شملنا ❖ و البين شق قلوبنا بعموده

الله أيام مضت بسبيلها ❖ والدهر ينظم شملنا بعقوده[4]

10. محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي :

هو محمد بن عبد الله محمد الحافظ التنسي مؤرخ و أديب و شاعر من أكابر علماء تلمسان ، ولد بمدينة تنس[5] نشأ وتعلم بتلمسان[6]

(1) رحلة القلصادي، المصدر السابق، ص127، 128.، انظر نيل الابتهاج ، مج2 ، المصدر السابق، ص225، 224

(2) انظر أيضا نيل الابتهاج، مج2 ، ص224.

(3) نفس المصدر و الصفحة عينها.

(4) عبد الرحمان الجيلالي، ج1، ص271.

(5) هي مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر أصلها مستودع تجاري قرطاجني قديم، أقام الرومان مكانه مدينة كارتيناس — كارط تنس و منها جاء الاسم المتداول حتى اليوم تنس كان يحيط بها سور ، وقد كانت دائما خاضعة لملك تلمسان انظر حسن الوزان وصف إفريقيا الجزء الثاني ط2 ،ص 35.

(6) أعلام الجزائر ،المرجع السابق، ص 84، التنسي ص 10.

وصفه أحمد بن داود ببقية الحفاظ قدوة الأدباء | العالم الجليل [1] أخذ العلم عن علماء تلمسان كالإمام أبي الفضل محمد بن مرزوق الحفيد و الإمام العالم أبي الفضل ابن الإمام والإمام قاسم العقباني و الإمام الأصول محمد بن النجار و الولي الصالح إبراهيم التازي و الإمام ابن العباس [2] و غيرهم و اشتهر علمه حتى لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي أنه سئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال : " العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرياسة مع ابن زكري [3].

وقد أخذ عنه الكثير وقد نبغ بعضهم و نالوا شهرة كأحمد البرنسي المشهور برزوق [4] و العلامة أبي عبد الله بن صعد [5] و الخطيب ابن مرزوق السبط وابن عباس الصغير [6] قال : لازمت مجلس الفقيه العالم الشهير سيدي التنسي عشرة

(1) محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان ، المرجع السابق ص 225.

(2) أحمد بابا نيل الابتهاج مجلد 2 ص 261 ، التنسي ص 14، محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري ، ص 226. ، الطمار تلمسان عبر العصور ، ص 225 ، أعلام الجزائر ص 85 ، البستان ص 248 ، عبدلي لخضر ،الحياة ، ص 284 .

(3) نيل الابتهاج ،مج 2 ص 261.

(4) المتوفى سنة 889 هـ 1484 م و له تآليف كثيرة في الفقه و الحديث و العقائد و التصوف ، قرأ على الشيخ السطي و الشيخ عبد الله الفخار و غيرهم ، اشتغل بالتصوف و التوحيد فأخذ الرسالة القدسية وعقائد الطوسي على الشيخ عبد الرحمن المجدولي وهو من تلاميذ الآبي ، أنظر البستان ص45ـ 50 .

(5) المتوفى في سنة 901هـ /1496م له النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب ، وروضة الشريف في مناقب الأربعة المتأخرين " وهم : الهواري و إبراهيم التازي و الحسن بن مخلوف ، وأحمد بن لحسن الغماري "، انظر البستان ص 251ـ252.

(6) فقيه ومتصوف توفي سنة 1011هـ1602 انظر البستان ص203.

أعوام وحضرت إقراءه تفسيرا وحديثا وفقها وعربية وغيرها"[1] ، وأخذ عنه أيضا الشيخ بلقاسم الزواوي[2] وعبد الله بن جلال وغيرهم .

ولقد احتل التنسي مكانة ومترلة مرموقة بين معاصريه مع أن أكثرهم قد بلغ مرتبة عليا في العلم والتعليم ، والإفتاء وأن ما يستدعي الانتباه في هذا الصدد هو الألقاب والنعوت التي أطلقها عليه معاصروه ، فلقد وصفه صاحب نيل الابتهاج بنعوت مختلفة كالفقيه ، الجليل ، الحافظ ، الأديب ،والمطلع ،أما بن داود الأندلسي فقد وصفه " ببقية الحفاظ وقدوة الأدباء " ، وقد وصفه الونشريسي بالفقيه الحافظ ، التاريخي ، الأديب الشاعر ، أما المقري فقد نعته " بشيخ شيوخ شيوخنا وسماه حافظ عصره وذكره في سلسلة الرواة الذين أخذ عن طريقهم الحديث النبوي الشريف قال في إجازة نظمها بدمشق لعالم يدعى يحيى المحاسي (المتوفى 1053م)"[3]

و قد أخذت جامـــع البخـــاري ❖ ومسلـــم عـــن حائـــز الفخـــار

عمـــى سعيـــد وهو عمن يدعى ❖ بالتنســـي قـــد أفـــاد الجمعـــا

عـــن حافظ الغرب الرضـــا أبيه ❖ عـــن ابن مـــرزرق عـــن النبيه[4]

---

(1) نيل الابتهاج مج2 ص261، البستان ص249، التنسي ص17.

(2) فقيه توفي سنة 922هـ ـــ 1516م كان من أكابر أصحاب السنوسي انظر البستان ص 71

(3) نيل الابتهاج مج2 ص260.

(4) التنسي ص21.

مآثره:

لقد ذكر المترجمون للتنسي تآليف عديدة منها :

ـــ نظم الدر القيان في بيان شرف بني زيان .

ـــ الطراز في شرح ضبط الخراز ، وتأليف في الضبط وراح الأرواح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح .

ـــ الجواب المطول في قضية يهود توات ، أبان فيه عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق وأثنى عليه الإمام السنوسي وقال" لقد وفق لإجابة المقصد وبذل وسعة في تحقيق الحق وشفى غليل أهل الإيمان في المسألة و لم يلتفت لأجل قوة إيمانه ونصوع إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني ، الشيخ الإمام القدوة علم الأعلم الحافظ المحقق أبو عبد الله التنسي ، جزاه الله خيرا قد أمد لإبانة الحق ونشر أعلامه النفس ، وحقق نقلا وفهما وبالغ فأبدى من نور إيمانه الماحي ظلمه الكفر أعظم قيس "[1] .

ثانيا : العلوم العقلية .

إلى جانب اهتمام ملوك بني زيان بالعلوم النقلية بمختلف أنواعها فقد اهتموا أيضا بالعلوم العقلية اهتماما كبيرا ،وتعمقوا في دراستها و كانت تشمل هذه العلوم الرياضيات بفروعها من حساب و جبر و فلك و هندسة و تنجيم إضافة إلى الطب و الكمياء و العلم الفلاحة و الموسيقى و غيرها من العلوم و ثمة

(1) نيل الابتهاج مج2 ص 261.البستان ، ص 294.

عوامل أسهمت في تطور هذه العلوم منها التقدم الذي عرفه المغرب الأوسط في ميادين شتى إقتصادية و اجتماعية و ثقافية و عمرانية و قد اسهم في ذلك نزوح العائلات الأندلسية الفارة من الأندلس نحو سواحل المغرب الإسلامي خاصة خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين و قد ترتبت على هذه الهجرة آثار حضارية مست المجالات والميادين المذكورة ، إضافة إلى ذلك ما كان قائما بين أقطار المغرب الإسلامي من علاقات و روابط وثيقة من جهة وبين الأقطار مجتمعة و الشرق الإسلامي والبلدان الواقعة جنوب" الصحراء من جهة أخرى مما شجع حركة الرحلات العلمية في سائر أنحائه و ممن اشتهر في التعاليم و العلوم النقلية:

1. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني(681-757 هـ/ 1282-1350م)

هو محمد بن إبراهيم بن أحمد الآبلي ، أبو عبد الله : شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، و أشهر علماء المغرب الأوسط في المائة الثامنة هجرية، وأحد أساتذة عبد الرحمان بن خلدون و لسان الدين بن الخطيب ، أصل أجداده.من حديثة آبلة [1] AVILA [2] أجاز أبوه و عمه إلى تلمسان فاستخدمهما السلطان أبو يحيى يغمراسن بن زيان في الجندية فكان أبوه قائدا بهنين.[3]

(1) تقع بالشمال الغربي من مدريد (مجريط) من بلاد الأندلس

(2) نيل الابتهاج ، مج 2 ، ص 66 ، انظر أيضا نفح الطيب ، ج 5 ، ص 244. ، أعلام الجزائر ص 12.

(3) هنين مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة ، لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منها في جهة و كانت تحيط بها أسوار عالية متينة ، لاسيما من جهة البحر ، و كانت تأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان و تفصل بين هذه المدينة و هنين أربعة و ثلاثين ميلا ، أنظر وصف إفريقيا ،ج 2، المصدر السابق ص 15.

أصهر والده إبراهيم إلى أبي الحسن محمد بن غلبون المرسى قاضي تلمسان [1] في بنته فأنجبت محمد الابلي الذي كانت ولادته سنة 681 هـ بتلمسان ونشأ في كفالة جده القاضي ابن غلبون فحبب إليه العلم ورغب فيه معرضا عن وضيفة الجندية التي كان عليها والده [2] ، فأخذ عن فقهاء تلمسان كأبي الحسن التنسي و ابني الإمام [3] وقد عينه السلطان أبو سعيد عثمان قهرمان قصره فكره ذلك ، الأمر الذي دفعه إلى الارتحال نحو المشرق في آخر المائة السابعة فدخل مصر و الشام والعراق و الحجاز تم عاد قافلا إلى المغرب بعدما أخذ عن ابن دقيق العيد ، و ابن رقعة و التبريزي و غيرهم من علماء المعقول [4] .

فعاد إلى المغرب الأوسط و استقر لبعض الوقت بتلمسان و كان السلطان أبو حمو الأول قد استفحل ملكه و قد بلغه عن الآبلي تقدمه في علم الحساب فدفعه إلى ضبط أحواله و مشارف أعماله ،إذ ولاه قيادة بني راشد [5] و رفض ذلك وفر نحو فاس فاختفى بها عند شيخ التعاليم بها خلوف المغيلي اليهودي [6]

---

(1) نفح الطيب ج5 ص 244. ، عبد الحميد حاجيات الأصالة عدد 26 ص 152. عبد الرحمان الجيلالي تاريخ الجزائر العام ج1 ص167.

(2) عبد الرحمان جيلالي ج1 ، المرجع السابق ، ص 167.

(3) نفح الطيب ج5 ص 244 ، البستان ص 115.، نيل الابتهاج ، ص67.

(4) عبدلي لخضر الحياة الثقافية المرجع السابق ص 290. انظر نيل الابتهاج مج2 ص 66.

(5) يمتد هذا الإقليم على طول نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب ، وعلى عرض يقرب من خمسة و عشرين ميلا، جهته واقعة جنوبا كلها سهول ، واقعة شمالا كلها تقريبا مرتفعات ، لكن أراضيهما معا صالحة للزراعة ، وينقسم السكان كذلك إلى قسما فأهل هذه المرتفعات يسكنون دورا لائقة جدا مبنية بجدران ، و يزرعون الحقول و الكروم ... و سكان السهول ، وهم أشرق بكثير يقيمون في البادية و يعيشون تحت الخيام ، و هم أثرياء جدا يؤدون بعض الإتاوات إلى ملك تلمسان ، لأهل المرتفعات قرى عديدة أهمها اثنتان :

- الأولى تدعى قلعه هوارة (هي قلعة بني راشد) ، و الثانية المعسكر و بها كان يقسم خليفة الملك مع فرسانه انظر الوزان ج 2 ص 26.

(6) نيل الابتهاج ص 66، عبد الرحمان الجيلالي المرجع السابق ص 168.

فاستكمل عليه فنونه الحكمية ، ثم ارتحل إلى مراكش فلازم العلامة الإمام أبا العباس احمد بن البناء فأخذ عنه [1] و تضلع عليه في المعقول و التعاليم و الحكمة ثم صعد إلى الجبل عند علي بن محمد شيخ الهساكرة فقرأ عليه و اجتمع عليه طلبة العلم فكثرة إفادته واستفادته تم عاد إلى فاس فأمثال عليه طلبة العلم من كل ناحية فانتشر علمه واشتهر ذكره . و ذاع خبره و صار يعرف بعالم الدنيا و ينعت بأعلم خلق الله في فنون المعقول ، و عندما لقي السلطان أبو الحسن عند احتلال تلمسان أبا موسى ابن الإمام أثنى عليه ووصفه بتقدم العلوم ،و كان يعتني و يهتم بجمع العلماء لمجلسه فدعاه من فاس فنظمه في طبقة العلماء ، فعكف على التدريس و التعليم ولازمه وحضر معه وقعة طريف و القيروان قال ابن خلدون :" لازمته و أخذت عنه فنونا ثم طلبه أبو عنان تلمسان فنظمه في طبقة علماء أشياخه ... " [2]

ومن تلاميذه السلطان المريني أبو عنان ، و العالم الشريف التلمساني و ابن الصباغ المكناسي ، و ابن عرفة و الوالي بن عباد [3] و قد بلغ تأثير الآبلي في تكوين يحي بن خلدون و أخيه عبد الرحمان بن خلدون مبلغا عميقا و يتمثل ذلك ، بالنسبة للعلوم العقلية و الطبيعية ، و حتى التاريخ في الحصول على تكوين منطقي ضروري لتفهم الأحداث الإجتماعية و التاريخية فمها صحيحا ، و نقد الأخبار نقدا علميا [4] ومن بين تلاميذه أيضا ، المقري و ذكر صاحب

(1) نفح الطيب ج5 ، ص 244 ، عبد الرحمان الجيلالي ص 168، نيل الابتهاج ص 66.

(2) نيل الابتهاج مج 2 ص 67، انظر أيضا البستان ص 215.

(3) نيل الابتهاج مج 2 ص 71 انظر أيضا البستان ص 214 انظر أيضا محمد الطمار تاريخ الأدب ، المرجع السابق ص 113.

(4) يحي بن خلدون ، بغية الرواد مج1 ص 18.

الإحاطة : " ومن أشياخه الإمام نسيج وحده ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن احمد الابلي التلمساني و هو رحله الوقت في القيام على الفنون العقلية و إدراكه و صحة نظره " [1].

تآليفــــــه :

إن الآبلي مع غزارة علمه و تفوقه في جميعها لم يترك مؤلفا فكيف يختلف تأليف وهو القائل : " دائما أفسد العلم كثرة التأليف و أذهبه بنيان المدارس " . فكانت التآليف في نظره تجعل العلوم سهلة التناول فتضعف الرغبة فيها و يقل التحصيل ، ومن كلامه المأثور أيضا لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل، لأننا أتينا أكثر مما أتوا " [2] يشير إلى اختراق الأمة العربية أكثر مما افترقت عليه بني إسرائيل و اشتهر باسمهم بينهم إلى يوم القيامة حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم. [3]

وكانت وفاة الآبلي سنة 757 هـ/1356م بفاس . [4]

2- محمد بن أحمد الشريف الحسيني الشهير بالعلوي :

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الإدريسي الحسيني العلوي، نسبة إلى قرية من قرى تلمسان تسمى " بالعلويين " [5] ولد بها سنة 710 هـ و ترعرع بها وأخذ العلم من علمائها ، و قد ذكر خاله عبد الكريم وكان يحبه

(1) الإحاطة ، مج 2 ص 202.

(2) نيل الابتهاج ص 70، النسيان ص 218.

(3) نيل الابتهاج ص 70، النسيان ص 218.

(4) البستان ص 215 ، نيل ص 67، عبد الرحمان الجيلالي ج 1 ص 169.

(5) البستان ص 164.

صغيرا لذكائه و يصطحبه معه دائما إلى مجلس العلم والعلماء ، قال : حضرنا مجلس أبي زيد بن الإمام في تفسير القرآن فذكر الشيخ نعيم الجنة ، فقال له الشريف وهو صبي : هل يقرأ فيها العلم ؟ فقال له الشيخ نعم فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين ، فقال له قلت لا علم فيها قلت لك لا لذة فيها فعجب منه الشيخ فدعا له [1] وقد أخذ العلم على علماء عصره أمثال ابني الإمام ، عن أبي موسى عمران المشدالي ، و أبي محمد عبد الله المجاصي ، و أبي عبد الله محمد بن عمرو التميمي ، و القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد النور ، و أبي عبد الله محمد الباروني ، و الشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن و عن أبي عبد الله بن هدية القرشي ، والابلي ، والسطي فاتسع بالعلم باعه وعظم قدره و كان مائلا للنظر و الحجة أصوليا متكلما جامعا لكثير من العلوم العقلية .

ولقد ارتحل في بادئ الأمر إلى تونس سنة 740 هـ فأخذ عن علمائها من بينهم أبي عبد الله بن عبد السلام ، و كان هذا العالم يقدره و يصغي إليه حتى زعموا أن ابنه عبد السلام كان يخلو بالشريف في بيته و يقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الشفاء لابن سيناء ومن تلخيص كتاب أرسطو لابن رشد [2] وما لبث أن رجع قافلا إلي تلمسان و انتصب للتدريس بالمدرسة اليعقوبية ، و قام يدرس بها العلم من منطق وحساب و تنجيم و هندسة ، و موسيقى ، وطب و تشريح وفلاحه وغيرها من العلوم العقلية و النقلية . [3]

(1) البستان ص 167 ، عبد الرحمان الجيلالي ج 1 ص 209.

(2) تاريخ الأدب الجزائر ، المرجع السابق ، ص 114.

(3) حاجيات عبد الحميد ، الأصالة ، المرجع السابق ص 154.

ومن تلاميذه و لده أبو محمد ، و الشاطبي[1] و ابن زمرك وإبراهيم الثغري وابن خلدون و ابن السكاك[2] و محمد بن علي المديوني و إبراهيم المصمودي ، والشيخ بن عتاب و غيرهم و يشهد له كل من أخذ عنه و عرفه بوفر العقل والنجابة والتحصيل ، فكان الإمام ابن عبد السلام يقول : "ما أظن أن في المغرب مثل هذا " وكان الشيخ الآبلي يقول : هو أوفر من قرأ علي عقلا وأكثرهم تحصيلا و قال أيضا : " قرأ على كثير في المشرق و المغرب فما رأيت منهم أنجب من أربعه: أبو عبد الله أنجبهم عقلا و أكثرهم تحصيلا " . وكان الطلبة إذا قرءوا على الشيخ الآبلي و أشكلت مسألة أو ظهر بحث تحقيق يقول : " انتظروا به أبا عبد الله الشريف " و قال له الشيخ ابن عرفة : " غايتك في العلم لا تدرك " و لما ذكروا له موته قال: رحمه الله : لقد ماتت بموته العلوم العقلية " وذكره ابن خلدون فقال " صاحبنا الإمام العالم الفذ ، فارس المعقول و المنقول وصاحب الفروع و الأصول ." و ذكره الونشريسي فقال:" أنه كان أمام في العلوم العقلية كلها منطقا و حسابا و فرائض و تنجيما و هندسة وموسيقى وتشريحا و فلاحه" .

مآثــــــــاره :

---

(1) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهر بالشاطبي كان أصوليا مفسرا ، فقيها ، محدثا لغويا بيانيا نظارا ، و رعا صالحا زاهدا سنيا ، إماما مطلقا باحثا مدققا جدليا ، بارعا في العلوم ، أخذ العربية وغيرها من أئمة منهم : ابن الفخار البيري ، و أبو القاسم السبتي ، و الإمام المحقق أعلم أهل وقته الشريف أبو عبد الله التلمساني و غيرهم ومن تآليفه اشتملت على تحقيقات و تحريرات للقواعد و استنباطات جليلة ، وكتاب الموافقات في أصول الفقه ، و توفي يوم الثلاثاء 08 شعبان سنة 790 هـ انظر نيل الابتهاج مج 1 ص 34-37.

(2) هو محمد بن أبي البركات ابن السكاك العياضي . كان سكونا رابط الجأش جزلا مهيبا لا يعبئا بأهل الباطل مهينا لهم ، أخذ عن الإمامين العلمين الشريف التلمساني و المحقق أبي عبد الله الأبلي العبدري ، و لي قضاء سبته مرارا وقضاء الجماعة بفاس شرح الشفا و أحاده ، و له تأليف في الأدعية و آخر سماه نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما عليهم من حقوق أهل البيت عليهم السلام توفي سنة 818هـ. أنظر نيل الابتهاج ص 150-151.

كان أبو عبد الله الشريف كثير العناية بالإقراء و الدرس فلم يسعه الزمن للإكثار من وضع الكتب و التصنيف و التأليف فلم يترك بالنسبة إلى غزارة علمه من علوم نقليه و عقلية إلا القليل من التأليف منها المطبوع و المخطوط و الموجود المفقود منها:

مفتاح الوصول إلى البناء الفروع على الأصول طبع بتونس سنة 1346هـ و له شرح جمل الخونجي في علم المنطق انتفع به خلق كثير ومؤلف في القضاء و القدر وله فتاوى ورسائل و أجوبة.

وكانت وفاة الشيخ الشريف التلمساني ليلة الأحد الرابع من ذي الحجة سنة 771 هـ / 29 جوان 1370 بتلمسان و حضر جنازته السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني قائلا في تعزيته لولده عبد الله : ما مات من خلفك و إنما مات أبوك لي لأني أباهي به الملوك وولاه مدرسة والده و رتب له جميع مرتباته. (1)

3 ـ أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي تلالسي (توفي في بداية القرن التاسع الهجري) :

هو عبد الله محمد بن أبي جمعة ابن علي التلالسي التلمساني الدار كان طبيب السلطان أبي حمو موسى الثاني ، وشاعرا بارزا من شعراء بلاطه وماهرا في الطب ، وهو من أسرة جل أفرادها علماء و أطباء . لقد نظم قصائد عديدة في مدح السلطان ، وقصائد أخرى نظمها في كل المناسبات و الأحداث التي

---

(1) البستان ص 156-166م ،عبد الرحمان الجيلالي ج1 ص 210 ، تاريخ الأدب الجزائري ص 117، محمد الشريف قاهر ، معجم مشاهير المرجع السابق ، ص 305.

كانت تقع بقصر السلطان ومن بين القصائد التي أنشدها الشاعر ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي أقيم بقصر السلطان سنة 765هـ:

بقبر رسول الله طاب تـــرابها ❖ وأضحى لها جيد بأنواره حالـــي

نبي كريم شـــرف الله قـــدره ❖ وفضله في القبل والبعـــد والحـال

نـــبي به سدنا علـــى كـــل أمـــة ❖ فلا أمـــة إلا لنـــا تحـــت إذلال

سما لإلـــه العـــرش و الليل أليـــل ❖ من المسجد الأقصى إلى المرتقى العالي

لمولده نور على الأرض قد بـــدا ❖ غدا دونه بدر الدجى دون إكمـــال

نجونا به من كل خطب يروعنـــا ❖ و أنقـــذنا من كل جوف و أوجال

هو المصطفى ساد الأنـــام و قدره ❖ على كل مخلوق نطقت بـــه عـــالي

حليـــم رحيـــم مؤثر يتفضـــل ❖ رؤف عطوف مانح دون تسئـــال

ربيع بشيرا للأنـــام أتـــي بـــه ❖ فكـــل ربيـــع فيـــه راحـــة إعـــلال

وهل من شفيع غيره يرتـــجى إذا ❖ عرى الناس سكر من عذاب وأهوال

بإمداحه يـــا نفـــس لو ذي فإنها ❖ شفائي مـــن وعك الذنوب و إبلالي

فمن رام أن يحصـــي فضائل احمد ❖ فذلـــك شيء لا يمـــر على بـــالي

عليه صلاه تملأ الأرض و السمـــا ❖ يحط بـــها وزري تخفـــف أثقـــالي

وبعد الرضى عنه و كـــن آل بيته ❖ وأصحابـــه الفضائـــــل و الآل

أقوم وأدعــو للخليفــة انـــه ❖ لخير إمـــام في ذرى شرف عـــال [1]

و يصف تلمسان و أحوازها:

سقا الله من صوب الحيا هاطلا وَبْلاً ❖ ربوع تلمسان التي قدرها استعلـــى

ربوع بها كان الشباب مصاجبـــي ❖ جررت إلى اللذات في دارها الذيلا

فكم نلت فيها من أمـــان قصيـــــة ❖ وكم منـــح الدهر الضنين بها النيلا

وكم غازلتني الغيـــد فيهـــا تدنلا ❖ و كل عـــذول لا أطيـــع له قولا

وكم ليلة بتنا على رغـــم حاســـد ❖ نذير كؤوس الوصل إذ الصف تملا

وكم ليلة بتنـــا بصفصيفهـــا الذي ❖ تســـامى على الأنهار إذ عدم المثلا

وكديـــة عشـــاق لها الحسن منتهى ❖ يعود المسن الشيخ من حسنها طفلا

نعم و غدير الجوزة السالب الحجى ❖ نعمت به طفلا وطبت بـــه و كهلا

ومنه ومـــن عين أم يحـــيى شرابنـــا ❖ لا نهما في الطيب كالنيل بل أحلى

و عبـــادها مـــا القلب ناس ذمامه ❖ بـــه روضـــة للخير قد جعلت حلا

بها شيخنا المشهور في الأرض ذكره ❖ أبو مديـــن أهلا بـــه أبدا أهـــــلا

لهـــا بهجة تزري علـــى كل بلـــدة ❖ بتاج علاها كالعروس إذا تجلـــى [2]

و قال في رثائه للمولى أبي يعقوب يوسف الزياني:

---

[1] تاريخ الأدب الجزائري المرجع السابق ص 185 ، بغية الرواد ج 2 ص 140-141 عبد الحميد حاجيات و، أخرون المرجع السابق ص 448 ، عبد الحميد حاجيات الأصالة عدد 26 المرجع السابق ص 150 ، إرشاد الحائر المرجع السابق ص 291 عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الثاني ص 173-174.

[2] بغية الرواد ج 1 ص 89-40

كأس الحمــام على الأنــام تــدور ❖ مــا إن لهــا إلا القضــاء مديــر
و كـــذا الليالي لا وفــاء لعهدهــا ❖ إن أقسطت يومــا فبســوف تجوز
كم شتــت من جمع شمل لم يكــن ❖ يخشى الشتــات وكــل ذا مشهور
إن أضحكت في يومها أبكــت غدا ❖ فالخيــر منهــا إن أتــاك غــرور
فجعــت بمولانا الأمير و خلّفــت ❖ في الدمــع آمــاق الجفــون تغور
كنا نؤمــل أن تــدوم حياتـــه ❖ لكنّـــــه ثــوب الحيــاة قصير
رزء ألــمّ فمــا لــه مــن دافــع ❖ أيــردّ رزء ساقـــه المقـــدور
مولاي يوسف والـــد الخلفــا الذي ❖ معناه خطــب في الوجــود كبيــر
ضحّت لمصرعه الخلائــق ضجّــة ❖ كادت بها منا القلــوب تطــير [1]

4- أبو عبد الله النجار التلمساني :

هو محمد بن علي مراكشي الأصل ، ولد و نشأ بتلمسان ، من بيت نباهة في الإمامة و العدالة وهو فقيه تعالمي [2] أخذ على أبي عبد الله محمد بن هلال ، شارح المجسطي بسبتة ، ثم أخذ بمراكش عن أبي العباس ابن البناء ، فنبغ في العلوم العقلية و التعاليم و عاد إلى تلمسان فدرّس بها ثم التحق ببلاط أبي الحسن المريني ، أيام حصاره لتلمسان وصحبه إلي إفريقية ، توفي بتونس سنة 749هـ بالطاعون [3] وأخذ عنه أبو عبد الله الشريف ، و المقري الكبير ، وأبو الحسن

---

(1) بغية الرواد ، ج 2 ص 110.

(2) بغية الرواد ، ج1 ص 119.

(3) بغية ج1 ص 119 ، عبد الحميد حاجيات و آخرون ص 451.

ابن الفحام صاحب المنجانة ، قال العلامة الابلي : ما قرأ على أحد حتى قلت له : لم يبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار ، قال المقري : ذكرت يوما ما حكاه ابن رشد في الخمر أنها إذا تخللت بنفسها طهرت ، و اعترضنه بما في الإكمال عن ابن وضاح [أنها] لا تطهر فقال لي : لا تغتر يقول ابن الوضاح فإنه يلزم عليه تحريم الخل لأن العنب لا يصير فلا حتى يكون خمرا .(1)

وذكرت يوما قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة و هي أصول وفصول، وفصوله أول أصوله و أول فصل من كل أصل و إن علا فقال: إن تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت ، و إلا حرمت فتأملته فوجدته كما قال لأن أقسام هذا الضابط أربعة : التركب من الطرفين كابن العم و ابنة العم مقابله كالأب و البنت ، التركب من قبل الرجل كابنة الأخ و العم ، مقابلته كابن الأخت و الخالة .(2)

5- الحباك : توفي سنة 867هـ/1463م:

هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي يحي المعروف بالحبّاك نشأ و عاش بتلمسان في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي (3) وهو فلكي ناظم له اهتمام بالإسطرلاب و الحساب و الهندسة ، و فقيه مالكي اشتغل

---

(1) نفح الطيب مج 5 ، ص 237 ، البستان ص 153 ، نيل الابتهاج مج 2 72

(2) نفح الطيب ج 5 ص 237 ، نيل الابتهاج مج 2 57-58.

(3) جوانب من الحياة في المغرب الأوسط الموجع السابق ص 62.

انظر أيضا : عبد الحميد حاجيات و آخرون المرجع السابق ص 452.

- عبد الحميد حاجيات الأصالة عدد 26 ص 153.
- مفدي زكرياء الأصالة عدد 26 ص 169.
- بوعياد العلم و الثقافة بالمغرب الأوسط في ق 9هـ/15 م مجلة الدراسات الإسلامية عدد 1 ، الجزائر 2002.

بالفرائض وصفه صاحب البستان و صاحب نيل الابتهاج بـــ: الشيخ الفقيه العالم العلامة الأجل الصالح المُعَدِّل [1] ، الفرضي العددي" [2].

ومن تلامذته حسب ما ذكره تلميذه الملالي أنه أحد شيوخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي الذي أخذ عنه كثيرا من علم الإسطرلاب كما يدل على ذلك كتابه المسمى " بغية الطلاب في علم الإسطرلاب" و نقل عن أستاذه مسائل تفرض بها في هذا العلم ، وذكر السنوسي أن الحبّاك لم يكن أول من ألف في الإسطرلاب و لكن افضل رسالة قرأها في الموضوع هي : بغية الطلاب" و أوضح السنوسي في شرحه أن الحبّاك كان يرمي من ورائها إلى تسهيل حفظها على الطلاب" ، وكما ألف الحبّاك شرح تلخيص ابن البناء و ألف في الربع المجيب أي في الأشكال الهندسية وسمي كتابه فيه " نيل المطلوب في العمل بربع المجيب رتبه في مقدمة و عشرة أبواب تناول فيها معرفة الجيب و جيب التام و السهم و القوس و الوتر ، و استخراج أحدهما من الآخر ، و القطر و الارتفاع و الدوائر ، و الأوقات و العمليات الحسابية الأربع ، وحركة الأفلاك و قد شرح رجز الجادري المسمى " روضة الأزهار في قلم وقت الليل و النهار في الفلك و سمي شرحه " تفجير الأنهار خلل روضه الأزهار " و نظم رسالة الصغار في الإسطرلاب ،و تحفه الحساب في عدد السنين و الحساب ، وفي وفيات

[1] علم التعديل : هو علم يتعرف منه كيفية تفاوت الليل و النهار و تداخل الساعات في الليل و النهار عند تفاوتها في الصيف و الشتاء .

[2] نيل الابتهاج مج2 ص 226، البستان ص 219.

الونشريسي توفي الفقيه الفرضي العددي أبو عبد الله الحبّاك في سنة سبع و ستين و ثمانمائة . [1]

6- منصور الزواوي (710هـ)

هو منصور بن على بن عبد الله الملقب بأبي على الزاوي ، فقيه مالكي وأصولي و حافظ للحديث و نحوي لغوي ، مشارك في كثير من العلوم العقلية والنقلية ، و قال ابن الخطيب في الإحاطة :" هذا الرجل طرف في الخير و السلامة وحسن العهد و الطهارة و العفة قليل التصنع مؤثر للاقتصاد منقبض عن الناس ، مكفوف اللسان واليد ، مشتغل بشأنه ، عاكف على ما يعنيه ، مستقيم الظاهر ، ساذج الباطن ، منصف في المذاكرة ، موجب لحق الخصم ، حريص على الإفادة والاستفادة ، مثابر على تعلم العلم و تعليمه و غير أنف عن حمله عمّن دونه ، جملة من جمل السذاجة و الرجولة و حسن المعاملة صدر من صدور الطلبة ، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية و النقلية ، و اطلاع وتقييد ، و نظر في الأصول و المنطق و علم الكلام ، و دعوى في الحساب والهندسة و الآلات ، يكتب الشعر فلا يعدو الإجادة و السداد " [2] .

ولد و نشأ ببجاية أخذ عن والده وعن شيوخ منهم الإمام منصور المشدالي الذي قرأ عليه أوائل فقه ابن الحاجب ، و أخذ عن علي بن الحسين جملة من العلوم الدينية و الفقهية و الخونجي في المنطق و عن قاضي الجماعة ببجاية أبي عبد الله محمد بن يوسف و أبي العباس أحمد بن عمران [3] و بتلمسان درس على أبي

---

(1) نيل الابتهاج ص 226 ، البستان 220.

(2) الإحاطة مج 3 ص 324-325 ، نيل الابتهاج مج 2 ص 307-309 ، البستان ص 292.

(3) علي بوعلواش ، مشاهير المرجع السابق ص 267.

محمد عبد المهيمن الحضرمي ، و أبي إسحاق بن أبي يحيى و على العباس بن بربوع وغيرهم . [1]

رحل إلى الأندلس سنة 753 فلقي ترحيبا بها ، فأخذ العلم عن ابن الفخار البيري و أجازه وعن قاضي الجماعة الشريف الحسني السبتي نسيج وحده لازمه و أخذ عنه تأليفه و قرأ عليه تسهيل الفوائد الابن مالك [2] و اشتغل بالتدريس في مدارس [3] الأندلس ، ولما أفتي في مسألة فقهية خالف فيها فقهاء الفروع في زمانه في الأندلس اشتد هؤلاء في معارضته و إذايته حتى اضطر سنة 765 إلى مغادرة الأندلس [4] و نزل بتلمسان واستقر بها يقرئ و يدرس سنوات عديدة . ومن تلاميذه "أبو إسحاق الشاطبي [5] يحيى بن خلدون ، و لسان الدين بن الخطيب و يحيى السراج ، و المقري الكبير " .

7- على بن محمد القرشي البسطي الشهير بالقلصادي

عرف بالقلصدي نسبة إلى مدينة " كالزدا" [6] الواقعة شرقي غرناطة ولد بمدينة أندلسية تقع في شمال الشرقي لغرناطة تعرف ببسطة [1] نشأ بها و تلقى

---

(1) عبد لي لخضر المرجع السابق ص 299.

(2) البستان ص 293، نيل الابتهاج ، مج 2 ص 310 ، بغية الرواد ، ج1 ص 132 الإحاطة ج 3 ص 328.

(3) المدرسة النصرية أو جامعة غرناطة الشهيرة ، التي أنشأها السلطان يوسف أبو الحجاج في سنة 750 هـ 1349م.

(4) قال صاحب الإحاطة انه امتحن في هذا العهد الأخير بالمطالبة الشرعية، لتوقف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله و النبوة و شك في القول بتكفيره فقال القول بإشراكه في التكفير و لطخه بالعاب الكبير إذ كان كثير المشاحنة لجماعته فأجلت الحال عن صرفه عن أندلس، انظر الإحاطة مج3 ص 325.

(5) البستان ص 293- 294، نيل الابتهاج ج 2 ، ص 311، عبد الحميد حاجيات أبو حمو موسى ص 194-195.

(6) هذه المدينة يسميها الأسبان سانتا دو مينقو كلزادا Santa dominigo de la calzada. وهي البلدة تتصل بـ بطليطلة Tudela الواقعة شرقي غرناطة .

دراسته الأولى على يد شيوخها ومن بينهم أبو أحمد جعفر بن أبي يحيى المتضلع في الفقه و الفرائض و الحساب و أخذ على أبي الحسن على الخمي القرباني الحاذق لعلوم عصره فدرس عليه التفسير و الفقه و قواعد اللغة العربية و الفرائض والحساب و أبي بكر البياز المقرئ و أبي عبد الله محمد بن محمد البياني ،

وأبي الحسن على بن عزيز الولي الصالح المهتم بقراءة القرآن و أبي عبد الله محمد القسطرلي الورع المشارك في كثير من علوم الشريعة و علوم العربية [2] و كان خلال إقامته ببسطة يتردد على غرناطة عاصمة المملكة .

وفي سنة 840هـ ابتدأ القلصادي رحلة علمية تتيح له أن ينهل من مناهل المراكز الثقافية الشهيرة في عصره بالمغرب و المشرق الإسلاميين فاتجه نحو تلمسان و هي تعيش في أزهى حياتها الثقافية فأخذ عن أشهر أعلامها و مشايخها و من بينهم : أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني و أبو عباس احمد بن زاغو و محمد بن مرزوق العجسي المعروف بالحفيد و عيسى الرتيمي و الحجاج يوسف الزيدوري ، وأبي عبد الله محمد بن النجار ، و قاسم بن سعيد العقباني . [3]

و في تلمسان كان القلصادي يحضر لبعض المجالس العلمية ، و كان قد استفاد منها دون أن يقرأ بنفسه على شيوخها و أعلام هذه المجالس ومن بينهم الحسن بن مخلوف الراشدي ، و أبو الفضل بن الإمام ، و سليمان اليزيدي .

---

(1) مدينة أندلسية تقع في سفح جبل عال بها عيون مطردة و خصب كثير و بينها و بين بياسة ستون ميلا .

(2) رحلة القلصادي ، المصدر السابق ، ص 31.

(3) البستان ص 142-143 ، انظر أيضا جلول حلمو ، معجم مشاهير المغاربة ، المرجع السابق ص 441.

و لم يقتصر القلصادي في هذا الوقت على التلقي بل كان يهتم بالتأليف وممانه في هذه الفترة مؤلفه " التبصيرة الواضحة في مسائل الأعداد" و كان ذلك سنة 847هـ، كما كان يعقد حلقات للدرس و يتولى الإقراء و تدريس بعض الكتب التي صنفها بنفسه و من بين الذين أخذوا عنه : الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي [1] الحسني الولي الصالح الفقيه صاحب التصانيف في علم الكلام و قرأ عليه جملة من الحساب و الفرائض ، و أجازه القلصادي في جميع ما يرويه وممن قرأ عليه أيضا بتلمسان أبو عبد الله محمد الملالي الذي قال عن شيخه:" كان عالما فاضلا صالحا شريف الأخلاق سالم الصدر ، له تواليف أكثرها في حساب و الفرائض كشرحه العجيب على تلخيص ابن البنا و شرحه العجيب على الحوفي ، و انتفع به خلق كثير ... ثم لما قدم من الأندلس استقر عند سيدي محمد بن مرزوق يعني الكفيف ولد الإمام الحفيد ابن مرزوق ، فقرأ عليه جم غفير من الناس ، و أخذت عنه أنا تأليفه في العربية " . [2]

و كانت لتلمسان الحظ الوافر من إقامة القلصادي خلال رحلة إذ مكث بها حوالي ثمان سنوات ليرتحل بعد ذلك نحو تونس و قد اعجب بجوها الثقافي ، وكان قد أقام بتونس مدة سنتين و نصف و سكن خلالها بالمدرسة الجديدة ، بحي باب السويقة ، و المدرسة المنتصرية القريبة من جامع الزيتونة ، و قد استغل الفرصة لتلقى الدروس في مختلف العلوم من أعلام تونس ومن بينهم : أبو العباس أحمد القلشاني المتبحر في المذهب المالكي ، المستحضر للنوازل الفقهية مع عناية

---

(1) رحلة القلصادي ص 33، حاجيات و آخرون ص 452، نيل الابتهاج ص 328.

(2) نيل الابتهاج مج1 ، ص 382، رحلة القلصدي ص 33.

بالتفسير و الحديث و علوم العربية ، و أحمد المنستيري العالم النحوي ، و أبو عبد الله محمد الدهان الطيب الماهر و أبو عبد الله محمد بن عقاب الجذامي قاضي الجامعة بتونس و إمام جامع الزيتونة ، و غيرهم ، و خلال إقامته بتونس اشتغل بالتدريس ، والتأليف فقد صنف فيها كتابه و "كشف الجلباب عن علم الحساب" و كتابه "القانون في الحساب " و كتابه " الكليات في الفرائض " وشرحه في نحو أربعة كراريس .و ارتحل القلصادي نحو مصر و استقر بالقاهرة وأخذ عن الشيخين زين الدين طاهر النويري المالكي ، و علم الدين الحصني الشافعي ، و كانت مدة بقائه بالقاهرة لم تدم طولا ليتجه نحو البقاع المقدسة ليعود ثانية إلى القاهرة و يستقر بها أكثر من ثلاثة عشر شهرا ، اشتغل فيها بطلب العلم قراءة و إقراء ، و قد أخذ عن أعلام مصر المشاهير كالقاسم النويري ، تقي الدين الشمني الحنفي ، و عبد الله البغدادي و أبي العباس شهاب الدين أحمد بن حجر و جلال الدين المحلي ، و قد درس المنطق على بعض العجم و درس كتبا في تفسير و البلاغة و العلوم العقلية على يد الشيخ السمرقندي شمس الدين محمد الكريمي [1] .

وعن عودته إلى غرناطة فقد لازم شيخي الأندلس وعالميها المفتين : أبا إسحاق إبراهيم بن فتوح ، وأبا عبد الله محمد السرقسطي واشتغل بالتأليف والتدريس ، وكان ممن أخذ عنه في غرناطة أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد البلوى الذي قال : أول من قرأت عليه بحضرة غرناطة شيخنا الإمام العلامة الحاج الصالح الرجال فرضي العصر و عدديه ذو التصانيف العديدة الكثيرة الغزيرة أبو الحسن

---

(1) رحلة القلصادي ، ص 36.

علي بن محمد بن علي القرشي الشهر بالقلصادي ... أخذت عنه علمي العدد و الفرائض نقلا و عملا" (1)

وعندما أحس القلصادي بالخطر يتفاقم في وطنه رحل إلى مدينة باجة بتونس حيث واصل نشاطه العلمي.

ومن تآليفـــــه :

- غنية ذري الألباب في كشف الجلباب ، كشف الأسرار في علم الغبار هذا الكتاب اثبت للأوروبيين بأن الإشارات الجبرية * كانت مستعملة عند علماء الرياضة المسلمين، كشف الجلباب عن علم الحساب ، و كتاب التبصيرة الواضحة في مسائل الأعداد ، شرح تلخيص ابن البناء ، قانون الحســاب وشرحه ، شرح الأرجوزة الياسمينية ، و فنون الحساب ، بالإضافة إلى مصنفاته في الفرائض : ومنها الضروري في علم المواريث ، الكليات في الفرائض مع شرحـــه ، شرح الفرائض لابن الحاجب الخاصة بالفرائض مع مختصر خليل ، شرحان على التلمسانية بالإضافة إلى مصنفاته في العروض و المنطق و النجوم ومنها مختصر في العروض ، شرح الخزرجية ، شرح أرجوزة إسحاق بن فتوح ، بالإضافة إلى رحلته (2) و له مؤلفات أخرى في نحو كشرحه للارجومية وشرح على رجز ابن مالك ، و غنية النحاة و شرحاه و في التراجم و في التصوف و

(1) نفسه ص 38 ، البستان ص 142.

* فقد استعملها لعلامة الجذر الحرف الأول من كلمة جذر (ج) و للمجهول الحرف الأول من كلمة شيء يعني (س) ، و لمربع المجهول الحرف الأول من كلمة مال (م) يعني س2 و لمكعب المجهول الحرف الأول من كلمة كعب

(ك) يعني س3 و لعلامة المساواة الحرف ل و للنسبة ثلاثة نقط ∴

(2) رحلة القلصادي ص 40-41 انظر أيضا معجم مشاهير ص 442-444.

مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم- : كشرح البردة ، و شرح حكم ابن عطاء الله و في القراءات و الحديث : كشرح رجز بن بري، و شرح الأنوار السنية لابن جزي . [1]

– وفي منتصف ذي الحجة من سنة 891هـ الموافق لشهر ديسمبر 1486 أدركت المنية القلصادي و هو بمدينة باجة بإفريقية و دفن بمكان يعرف بباب المسيد [2] .

---

[1] رحلة القلصادي ص 46.

[2] رحلة القلصادي ص 52.

الباب الثالث

المراكز الثقافية بالسودان الغربي وعلاقاتها بالمغرب الأوسط

الفصل الأول

المؤسسات الثقافية و العلمية بالسودان الغربي

1. المساجد
2. المدارس و المعاهد العليا
3. العلوم النقلية و العقلية

تمهيـــــــــد

كـــان للإسلام وجود ثقافي رائع في السودان الغربي ، هذا ما ذهب إليه الـــرحالة العرب و الأوروبيين [1] و غيرهم من الوافدين على المنطقة، و الدارس لـــلحالة الثقافـــية يـــرى الفرق الحاصل الذي أحدثه الإسلام في حياة الأفارقة والقبائل الإفريقية ، فتفكير القبائل قد تطعم بأساليب و معطيات جديدة في حين أولئك الباقين على وثنيتهم حافظوا على فنونهم و آدابهم القديمة [2].

كانـــت القـــبائل التي اعتنقت الإسلام قد أخذت من اللغة العربية كلغة دينية وإداريـــة وثقافية ، و هذا ما جعلها ، تتذوق قسما مما أنتجته قرائح العلماء من الثقافة العربية[3] غير أن حداثة السودانيين بالإسلام جعل الطابع القديم من الفنون هـــو المسيطر على الحياة الثقافية ، إلا الإنتاج الفكري الذي طغت عليه الصبغة الإسلامية نتيجة تمكنهم من الدين الإسلامي بواسطة اللغة العربية و من هنا فإن النظرة العامة للحالة الثقافية تؤكد لنا أن ميدان تطور الحركة الفكرية و الثقافية كـــان ضيقا و محدودا و قد اعترف السودانيون للعرب المسلمين بالتفوق الثقافي لهذا طلب منهم أن يشاركوا في إدارة البلاد بخبراتهم الواسعة [4] .

(1) من أشهر الرحالة العرب الذين زاروا السودان الغربي ابن بطوطة و الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي أما الأوروبيون فأشهرهم دولافوس

(2) عبد القادر زيادية المرجع السابق ص 151 .

(3) المرجع نفسه ص 152 .

(4) نعيم قداح المرجع السابق ص 156 .

فيذكر البكري أن كثيرا من وزراء ملك غانة كانوا من المسلمين و كان التراجمة منهم ، و كان وزير الخزانة من المسلمين كما تولوا تنظيم أمور المالية لخبراتهم بها و للثقة الكبيرة التي كان يشعر بها ملوك غانة نحوهم [1] .

و كانت بداية القرن الرابع عشر فاتحة خير على الثقافة في السودان الغربي فقد أرسل السلطات "**موسى**" [2] سلطان مالي بعثات ثقافية من الطلبة إلى المغرب الإسلامي لمتابعة دراساتهم وكان قد اشترى هذا السلطان أثناء حجه كثيرا من الكتب من القاهرة و مكة :

ويروي معظم المؤرخين لمملكة مالي في القرن الرابع عشر الميلادي أن الملك وولي عهده كانا يتقنان العربية قراءة و كتابة و حديثا و قد عملا على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية إلى جانب اللغة المحلية [3] لأنهما وجودا فيها و في الإسلام ثقافة ملائمة لحاجتهما ، فأقبلا عليها إقبال العطشى على الماء و تمثل حبهما للعلم في إكرامهما للمعلم ، فهو محترم من الجميع ، لأن الكثير من المعلمين كانوا يعملون لوجه الخير و المعرفة . كان التعليم في أول أمره محصورا بين الأساتذة العرب القادمين خاصة من المغرب الأوسط ، وبعد مضي مدة تكونت

---

(1) البكري، المصدر السابق، ص 177 .

(2) السلطان منسا موسى سلطان مملكة مالي الإسلامية ، و هو أشهر حاكم حكم مالي على الإطلاق : تولى أمر البلاد بعد مقتل ساكورة أخرج الملك منسا موسى البلاد من الفوضى ، و كان ذلك عام 721هـ/1321 اختلف المؤرخون في اسمه : هناك من يسميه موسى بن أبي سالم التركروري ، و آخر يطلق عليه موسى بن أبي بكر بن أبي الأسود ، و مهما تعددت الأسماء فإن الاسم الذي اشتهر به هو منسا موسى ، فمنسا بمعنى الملك و موسى اسمه ، قام برحلة للحج عام 724 هـ بعد أن وطد أركان دولته ، و قد ازدهرت البلاد في عهده ازدهارا كبيرا في المجال الإقتصادي ، و الفكري والأمني و ربط علاقاته السياسية بمنطقة الشمال الإفريقي و توفي سنة 738 هـ ، أنظر ابن خلدون ، العبر ج6 ، ص 200 .

(3) نعيم قداح المرجع السابق ص 157 .

طبقة مثقفة من السودانيين تولت مهمة التعليم بعد أن تخرجت على أيدي علماء مغاربـــة أو مصريين أشهرهم العالم التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي كان له الفضل في تطور الثقافة الإسلامية في السودان الغربي في عهد الأسقيين.

يعـــد عهد الأسقيين بإمبراطورية سنغاي الإسلامية الذي استمر مائة سنة مـــن الـــزمن أزهـــى عصـــور سنغاي السياسي و الاقتصادي و الثقافي العربية الإسلامية إذ لعبت هذه الدولة أدوارا جسيمة في انتشار الثقافة العربية الإسلامية في الســـودان الغربي كله و في هذا العصر – الأسيقي– اشتهرت المراكز العلمية والثقافية في السودان لغربي و ظهرت قوية و توافد عليها العلماء و طلاب العلم من كل فج عميق [1] كما ظهرت مؤلفات كبار العلماء في العالم إسلامي وأتت الثقافة الإسلامية أكلها ناضجة .

كمـــا يعـــد عهد الأسقيين المرحلة التي بلغ فيها انتشار الإسلام و استقراره في إفريقيا الغربية (السودان الغربي) كلها عصره الذهبي بصفة لم يسبق لها مثيل في تـــاريخ المـــنطقة قبلهم ولا بعدهم ، كما بلغ ازدهار التبادل العلمي و الثقافي والـــتجاري في هـــذا العهد بين سكان السودان الغربي و العالم الإسلامي أوجه وخاصة المغرب الإسلامي كما بلغ ازدهار التبادل العلمي و الثقافي و التجاري في هـــذا العهـــد بـــين السودان الغربي و المراكز الثقافية بالعالم الإسلامي عامة والشمال الإفريقي خاصة و قد نمت أكثر في عهد السلطان العادل الحاج أسقيا محمـــد و ابنه داود ، و كان أسقيا محمد الذي حكم سنغاي 1493– 1528 محبا للعلم و العلماء ، و كان قد استقدم عدد كبير من العلماء من المغرب والمشرق

(1) أبو بكر ميقا–الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي من 400 هـــ إلى 1100 هـــ في عهد الممالك الإسلامية غانا – مالي ص 38 .

الإســـلاميين و في أثناء حجه عام 889 هـــ استقدم بعض العلماء منهم الشريف أحمـــد الصقلي و كاتبه علي بن عبد الله ، كما اشترى في مكة و المدينة جنانا وبـــيوتا وحبسها أوقافا يصرف ريعها على الفقراء و المساكين و العلماء و طلبة العـــلم الذيـــن انقطعوا للدراسة و العبادة من الوافدين من السودان الغربي قال الســـعدي :" أنه اشترى جنانا في المدينة و حبسها على أهل التكرور ، و هي معروفة هناك " .[1]

أولا: المساجـــــــد .

و كانـــت بعض المدن المشهورة لمساجدها و مدارسها و لكونها مركزا تشع منها الثقافة العربية الإسلامية ، مثلت المراكز الثقافية بالسودان الغربي إبان القرنين الرابع عشر و الخامس عشر و حتى بداية القرن السادس عشر ، و هذه المراكز هي المدن التي كثرت بها المساجد و الكتاتيب و الزوايا و المدارس العليا أو كانت مقرا للدعوة الإسلامية و في مقدمتها تمبوكتو و ولاتا، جني ، وغاو ، و أغـــادس و غيرها و كانت المؤسسات الثقافية و التعليمية بها تعرف بمنارات العلم و العبادة و كانت هذه المنارات متمثلة في المساجد فيذكر الوزان في مؤلفه وصـــف إفريقيا :" و لهم مساجد كثيرة و أئمة و أساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود المدارس "[2] .

(1) السعدي ص 73

(2) الوزان ج 2 المصدر السابق ص 164

Zakari Peameni – Issifoo :
L'Afrique noire dans les relations internationales au XVI sicele Analyse de crise entre le Maroc et Sonrhai edtion Kartihala , Paris , 1982 , P 196- 203 .

و تعد المساجد تعبيرا عن الهوية الإسلامية ففيها كان يتم التدريس و تقام العبادات كالصلوات الخمس و الجمعة و صلاة العيدين و يعين لكل مسجد إمام و نائبه وخطيب، و مؤذن يشرف على المسجد ولقد بدأت عملية بناء المساجد في إفريقيا جنوب الصحراء مع انتشار الإسلام ، فقد تحدث البكري عن مساجد غانة وقال:" ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ولها الأئمة و المؤذنون و الراتبون و فيها فقهاء و حلمة علم "[1] و هذا ما يؤكد وجود الإسلام قبل المرابطين الذين أنهوا دولة غانة التي كان يحكمها حكام غير مسلمين و لما انتهت هذه الدولة قامت على آثارها دولة مالي الإسلامية التي ستخلفها دولة سنغاي التي قام حكامها بتأسيس إمبراطورية إسلامية واسعة في المنطقة [2] . و استعانوا بالمسلمين العرب في ترقية الإمبراطورية ثقافيا و اقتصاديا و حتى سياسيا .

و قد اعترف السودانيون للعرب المسلمين بالتفوق الثقافي ، لهذا طلب منهم أن يشاركوا في إدارة البلاد بخبراتهم الواسعة .

1- مساجد تومبوكتو :

كانت تمبوكتو تضم ثلاثة مساجد هامة :

المسجد الجامع الكبير و مسجد سنكري و مسجد سيدي يحي ، وهذه المساجد الثلاثة أصبحت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى و مراكز ثقافية وتربوية ، وقد حققت هذه المساجد أهدافها التعليمية والثقافية و التربوية

---

[1] البكري المصدر السابق ص 175 .

[2] علي يعقوب نبذة من تاريخ الفلاني و أصولهم ، مجلة المغرب الإفريقي مجلة متخصصة في التراث و الدراسات الإفريقية، معهد الدراسات الإفريقية جامعة محمد الخامس الرباط المغرب ، العدد 4 ، سنة 2003 ، ص 69 .

وتخـــرج مـــنها القضـــاة والعلماء و الأدباء و المؤرخون أمثال أسرة كعت[1] والقاضـــي العاقب[2] و علماء و فقهاء أسرة آل أقيت و المؤرخ السعدي[3] صاحب مؤلف تاريخ السودان ، و أحمد بابا[4] صاحب نيل الابتهاج و القاضي محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش و غيرهم كثيرون :

جامع سناكوري Sankoré :

كان هذا الجامع يتصدر منارات العلم و العبادة ، و قد أورد عبد الرحمن السـعدي إن الـــذي قام ببنائها سيدة غلالية فاضلة كانت تمتلك ثروة فوظفت جزءا منها لـــهذه المنارة[5] وقد حدد بناؤها القاضي العاقب عام ستة و ثمانين بعـــد تسعمائة (986هـــ-1578م) و قد بلغ هذا الجامع أوج ازدهاره في عهد إمبراطورية سنغاي زمن الأسقيا الحاج محمد الكبير ، وقد ارتفع شأنه بما بلغه من

---

(1) و قد ظهرت في شخص محمود كعت التنيكتي صاحب كتاب الفتاش فقد كان فقيها من فقهاء تموبكتو .

(2) هو العاقب بن محمود بن عمر بن اقيت قاضي تمبوكتو الإمام الفقيه الفاضل العامل القاضي العادل كان صاحب أحوال غريبة وكرمات كثيرة أخذ عن أبيه و عمه و رحل إلى المشرق و لقي في طريقه الشيخ عبد السلام الأسمر واخذ عنه و أجازه الناصر اللقاني و التاجوري إجازة عامة و هو أجاز أحمد بابا ، مولده سنة 913 و توفي سنة 991 .

انظر شجرة النور الزكية المرجع السابق ص 286 .

(3) من رجال القرن السابع عشر كان قد تجول في بلاد النيجر ، و أقام بتمبوكتو و جني و رحل إلى المغرب الأقصى كان يحمل ثقافة مغربية مع كونه سوداني الموطن ينتمي السعدي إلى أسرة من الفقهاء في تمبوكتو ، كان من علماء ومن بيت علم و جاه تولى إمامة جامع سنكري من 1036 هـــ و ألف كتابه تاريخ السودان .

(4) هو فقيه مشهور ولد بوهران 1556 م من اصل صنهاجي ثم رحل إلى تومبكتو و أقام فيها و شهد الاحتلال في المراكشي للسودان الغربي (سنغاي) و قد ظهرت مواهبه و ارتفعت مكانته العلمية و انتشر ذكره حتى أدرك مراكش وبجاية تلمسان ، وقد حمل إلى مراكش أسيرا و لكنه عاد إلى تومبكتو مرة أخرى حيث توفي ها سنة 1627 أنظر حسن أحمد محمود،الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي القاهرة مصر ،ص 245 .

(5) لم يعرف على تاريخ بناءها إلا أن بعض المؤرخين السوادنيين كمحمود كعت الذي ذكر أن بناءها كان في عهد ابن القاضي محمود و هذا من أبناء القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي أنظر محمود ركعت تاريخ الفتاش : باريس 1964 م ، ص34- 78 .

مستوى علمي راق و أضفى على مدينة تومبوكتو طابعا مميزا حيث جعلها عاصمة من عواصم الدين و العلم و الأدب في مناطق السودان الغربي خاصة والعالم الإسلامي عامة ، و قد ذاع صيت هذا الجامع لما بلغه من مستوى علمي رفيع و قد انفتح هذا الجامع على العديد من مراكز العلم في الأندلس و شمال إفريقيا في فاس ومراكش و بجاية ، و تلمسان و طرابلس و غيرها من مراكز الحضارة [1] .

كان هذه الجامع يشبه إلى حد كبير جامع القرويين بفاس قي التدريس و أساليبه وفي المناهج التي كانت تدرس في فاس و تمبوكتو كما توافد طلاب منها إلى مدينة فاس من أجل التزود بالعلم وما رحيل القاضي (كاتب السلطان موسى) إلى مدينة فاس لتعلم العلم في عهد مملكة مالي الإسلامية بأمر من سلطانها العادل موسى إلا دليل واضح على الامتزاج الحضاري بين هذه المنارة و نظرائها بالشمال الإفريقي وقد يعاقب على التدريس بهذه المنارة عدد من الرجال جمعوا بين العلم و العبادة من بينهم : أبو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت وتولى بعده الإمام **اندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي** ، و تولى بعده أحمد بن صالح ابن عمر و كان عالما بالأدب و اللغة و تولى بعد ذلك بلقاسم التواتي و قد

---

(1) الهادي المبروك الدالي ، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء ص 150
Willemes Didier :recherche sur quelques grandes mosquées du Mzab et du Sahel central , I H A A , Paris IV , 1990-1991, P 96-98 .
انظر أيضا : الهادي المبروك الدالي : العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية و أهم المراكز بالشمال الإفريقي من 7-9 هـ/13-15 م ، ط1 ، مركز دراسات و أبحاث شؤون الصحراء1991 ص 112 ،أنظر أيضا الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية و علاقاتها مع أهم مراكز بالشمال الإفريقي (13/15م) تقديم د.محمد رزق ط2 ، 1999، ص 105-106 .
انظر أيضا : Zakari Op Cit , P 198-203 أنظر أيضا Sari (Djilali) la dimension civilisationnelle de la route des caravanes , in revue la route des caravanes , c.n.r.p.a.h Alger 2001 P 87.

اشـــتغل بهذه المنارة الإمام العاقب بن محمود ، الذي كلف من قبل الأسقيا داود بالإمامة و القضاء معا إلى أن توفي، ثم تولى بعده الإمام أبو بكر بن احمد بير ، ثم تـــولى الإمامـــة عبد الرحمن بن الفقيه محمود [1] و من بين الذين اشتغلوا بهذا الجامع:

محمد بن محمد كرى الذي كان عالما و فقيها ورعا ، و القاضي سيدي أحمد ثم ابـــنه محمد سيدي أحمد ، و سنتاعون الهادي السوداني ، ثم سعيد بابا و الإمام أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنكتي إلى أن يتولى الإمامة و التدريس الإمام الفاضل عبد الرحمن السعدي صاحب تاريخ السودان. [2]

المسجـــد الكبير بتمبوكتو (جينكري بيري) Djingeurber :

يطلق على هذا الجامع (بجنيكري بيري) أي المسجـــد الكبير أو الأعظم تم بناءه من قبل السلطان منسا موسى 707[3]-733هـــ/ 1312 -1337م [4] بعد رجوعـــه مـــن الـــحج ، و قد اختط مـــن قبل المهنـــدس أبـــو إسحـــاق السـاحلي[5] و عـــبد الله الكومي الموحدي الغدامسي [1] على الطراز المغربي

---

[1] محمد سوالمية ص 54 .

[2] تاريخ إفريقيا فيما وراء الصحراء ص 150 .

[3] شارل أندريه جوليان ، تاريخ إفريقيا ، تر/طلعت عوض أباضة القاهرة دار النهضة المصرية 1968 ، ص 135

[4] أحمد بلعراف التكني ، إزالة الريب و الشك و التفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور و الصحراء و أهل في شنقيط تحقيق ، الهاذي المبروك الدالي ، طرابلس 2000، ص 48 .

[5] هو أبو عبد الله الساحلي أحد شعراء غرناطة و كان معماريا ثم التقى في موسم الحج بالسلطان موسى الأول ، فاستقدمه معه إلى السودان الغربي حوالي 1326 م و قد بنى في تومبوكتو جامعا و قصرا للملك ، كما بنى في (بناني) عاصمة مالي آنذاك قصر آخر ، و يقال انه منذ ذلك الوقت أخذ الأسلوب المغربي ، الأندلسي في فن البناء ينتشر بغرب السودان انظر زبادية عبد القادر ، ملامح الحركة التعليمية في تومبوكتو خلال القرن السادس عشر ، الأصالة عدد 53، ص 15

الإسلامي، كان ذلك في أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي و لهذا المسـجد موقع ممتاز بتوسطه مدينة تومبوكتو وقد ألحقت بهذا المسجد من جهة اليـمين قبورهم، و هي عادة عند أهالي إفريقيا فيما وراء الصحراء فهم يدفنون موتـاهم في رحـاب مسـاجدهم و يعـد هذا المسجد من أقدم المسـاجد بتومـبوكـتو [2] ولقد اشتغل بهذا المسجد عدد من الأئمة و من بينهم الإمام عـثمان بـن الحسن التشيّ و محمد كداد بن أبي بكر الفلاني في زمن القاضي العاقب و استمرت إمامته إلى أن توفي عام 989 هـ/ 1581 ثم خلفه الإمام أحمد إمامـة جامع الكبير بتكليف من القاضي العاقب و استمر فيها ستة عشر عام و سـتة أشهر و نصف و كان جزء منها في دولة سنغاي والآخر في عهد العهد السيطرة المغربية على الإقليم.

مسجد سيدي يحيى :sidi Yahya

يعد هذا المسجد أول مسجد بني في مدينة تومبوكتو ، في القرن الخامس الهجـري الحادي عشر الميلادي [3] ، و يقال أن هذا المسجد شيد على ضريح رجل من العلماء الصالحين ويقال أنه قدم من المغرب الأقصى يدعى سيدي يحيى و يـبدو أن لهذا المسجد بني في القرن التاسع الهجري و أول إمام عين بد يدعى الشـيخ سيدي يحيى تبركا بالولي الصالح المغربي سيدي يحيى و استمر في الإمامة إلى أن توفي عام 1463/868 م و لقد رمم هذا المسجد سنة 976هـ/1568م ومن

(1) willems Didiers Op Cit P 90

(2) أنظر محمود ركعت ، تاريخ الفتاش المصدر السابق ص 34-40 ،أنظر أيضا عبد الرحمن السعدي، تاريخ، المصدر السابق، ص 62.

(3) يقال أنه بني في عهد سيطرة الطوارق على منطقة السودان الغربي ،أنظر Williems Didier Op cit P 100

بين الأئمة الذين تعاقبوا عليه الإمام محمد نغيغ ، و الإمام محمد بن محمود الونكري الذي توفي عام 1081هـ/1609م ، ثم الإمام أحمد ابن سعيد الذي توفي سنة 1040 هـ/1630م.

مسجد محمد نض :

لقد بني هذا المسجد بمدينة تومبوكتو ، و قد جدد القاضي العاقب بناءه ووسعه سنة 976هـ.

مسجد التواتيين :

تم بناءه من قبل محمد بن علي التواتي الذي قدم إلى مدينة توات سنة 920هـ/1514 مع جماعة من التواتيين ، و الأمر الذي دفعهم إلى بناء المسجد لأداء الصلاة راجع إلى الخلافات التي حدثت بينهم و بين بعض علماء تومبوكتو فاتخذ هذا المسجد من قبل هذه الجماعة التواتية للعبادة و التدريس ، و كانت الجماعة التواتية عبر تاريخها الزاهر من انشط الجماعات التي سكنت الصحراء .

فلقد قام فقهاء توات بنقل ما عندهم من علوم و معارف إلى مناطق السودان الغربي عن طريق التدريس و الإمامة و الوعظ و الإرشاد بالمساجد عامة ومسجد التواتين خاصة [1] ، و لقد تولى التدريس بهذا المسجد عدد من الأئمة من بينهم الفقيه محمود بن محمد الزغراني التمبوكتي .

مسجد اسقيا الحاج محمد:

(1) فرج محمود فرج ، الدور الحضاري للإقليم التواتي في إفريقيا السوداء ملتقى الدراسات الإسلامية و العربية في القارة الإفريقية

لقـــد أســـس هذا المسجد الأسقيا الحاج محمد و يعد من اكبر المساجد بالمديـــنة ويتمـــيز بصومعته الطويلة ، و قد اعتنى به أسقيا الحاج محمد و جعله مؤسسة تعليمية بالإضافة إلى دور العبادة و هو مبني بالطين و مسقوف بالخشب ، و يختلف في طرازه المعماري عن مساجد تمبوكتو و جني فالمئذنة مفصولة عن المسجد ، و مكان الصلاة عبارة عن بناء طويل .

مسجد أسقيا الحاج محمد باقدز [1] :

بـــنى أسقيا الحاج محمد هذا المسجد و هو في طريق عودته لما مرّ بمدينة أقـــدز ، وأمر بتشييد مسجد بها ، نظرا لأن المساجد البلدة لا تكفي للمصلين والتعليم .

مسجد محمد الفزاني :

و لقد بني هذا المسجد من قبل التاجر الليبي محمد الفزاني القادم من بلدة فـــزان بليبيا في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وقد كانت وظيفة هـــذا المسجد العلم و العبادة و يختلف هذا المسجد عن سابقيه من المساجد فقد انفـــرد هـــذا المسجد بشكله الهندسي الداخلي ومن بين الأئمة الذين اشتغلوا وأشرفوا عليه الشيـــخ عثمان بن أبي بكـــر الحضيري الفزاني في عام 1009هـــ/ 1600م .

مسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي :

(1) هي إحدى حواضر إفريقيا وراء الصحراء ، تقع حاليا ضمن نطاق جمهورية النيجر إلى الشمال من عاصمة نيامي ، تبعد عنها بحوالي ألف كيلومتر قال عنها مارمول :أنها تقع إلى الغرب من إقليم جوبر ...و هي أقرب مدن السودان من المناطق الإفريقية المأهولة بالبيض أنظر مارمول كربخال ج3- تر/محمد حجي و آخرون ص 206 .

لقد شيد العالم المغيلي بمدينة أقدز مسجدا صغير الحجم ، عندما استوطن بأقدز وكان هو نفسه يدرس العلم فيه :

و هـــناك مساجد أخرى و هي عديدة بنيت من قبل الأسقيا داود في عدد من المقاطعات و أطلق عليها لبنة ، بأن أرسل إلى كل من يشيد مسجدا (لبنة) و أمر بـــأن تـــلحق بالمسجد محارب تكسى برداء أحمر ، وسجاد يوضع على المنبر ، وعصي من شجر شاع على قدر قوس طولا يمسك بها الإمام عند الصلاة الجمعة و يلاحـــظ أن جزءا من هذه المساجد قدمها أسقيا محمد و أولاده إلى أشخاص تابعين له ، ولذلك حملت أسماءهم ومن بين المساجد :

مســـجد في بوبو ، مسجد الملك الوتر ، مسجد الحاج قطب اسدارغوا مسجد وهاب ، مسجد طرندك ، مسجد حلصو ، مسجد بور ، مسجد غون ، مسجد فـــرنك ، مسجد طو ، مسجد سند ، مسجد دار السلام . مسجد سداد دكو الحـــاج قطـــب ، مسجد وهاب الحاج محمود ، مسجد أبي غاضو الترووري ، مسجد طراندك سيس....

2. مسجد جني ودوره الإشعاعي

تعـــد جني أقدم مركز ثقافي في السودان الغربي ، حيث يعود الفضل في ازدهارها ثقافيا إلى علماء من المغرب الإسلامي و مصر إلى جانب بعض العلماء السودانيين حيث ذكر صاحب كتاب تاريخ السودان " لقد منح الله لهذه المدينة المـــباركة عددا من العلماء والأولياء الصالحين الذين قدموا من بعيد للإقامة بها والذين تختلف و تتعدد أصولهم ". ولقد اشتهرت مدينة جني بمسجدها الذي تم بـــناءه على تصميم أحد المغاربة يدعى معلوم إدريس و كان معاصرا للساحلي

الذي أشرف على بناء مسجد سنكوري و ربما كان أحد مساعديه و قد أصبح هذا المسجد مركزا لامعا للتعلم أو لتعليم الفقهاء من أمثال مورد ماغاكونكوي Mourimagha Kankoi و فوديا محمد فوديكي سانو الونكري Foudiya Mohamed Foudiki Sanouelouakore [1] و كانت مدينة جني مدينة جامعية كونها مهد القاضي محمود بن أبي بكر باغا يوغو Bagha Yogho والد العالمين الجليلين محمد واحمد الذين كانا لهما الفضل في ترسيخ الثقافة الإسلامية ببلاد السودان [2] .

3. مسجد غاو :

غاو هي المدينة التي اتخذت منها دولة سنغاي عاصمة لها منذ أيام آل ضياء الأولى، وكانت مدينة غاو مركزا ثقافيا حقيقيا وكان المسجد الجامع بها بمثابة مركزا للتعليم، كان العرب المسلمين يشرفون عليه فيذكر الرحالة الطنجي ابن بطوطة الذي زار مالي خلال منتصف القرن 14 و أقام في مدينة غاو مدة شهر كامل " أن بعض العرب المسلمين هم الذين كانوا يشرفون على هذا المسجد وذكر منهم الفقيه محمد الفيلالي الذي كان إماما فقيها " ، وقد عرفت مدينة جني ازدهارا ثقافيا خاصة في عهد الإسقيين الذين كانوا يعتنون بالعلم والعلماء[3] فيذكر صاحب الفتاش أن الأسقيا داود الأول [4] كان أول من انشأ مخازن للمسكوكات و أقام المكتبات و قد كان له نساخا لنسخ المخطوطات ،

(1) Zakari Op cit P 196

(2) زيادية مملكة، المرجع السابق ،ص 107 .

(3) Zakari Op cit P 196

(4) و قد وصفه أيضا بأنه كان سلطانا مهيبا فصيحا خليقا للرئاسة كريما جوادا. . .إنه حافظ للقرآن ، قرأ الرسالة فأتمها و له شيخ يعلمها له ، و يأتي الشيخ بعد الزوال ..." انظر أيضا الفتاش ص 94 .

حيث كان كثيرا ما يهدي منها نسخا للعلماء [1] ، و كانت هذه المكتبات في خدمة مراكز التعليم .

وإلى جانب هذه المساجد المنتشرة بتومبكتو و جني و غاو وكانت توجد مساجد أخرى صغيرة مثل في والاتا [2] نفزة ، و دندي و لكن الحياة الثقافية في كل منها إنما كانت صورة مصغرة عن الحياة في المدن الكبرى، و لم يكن لها دور خاص ومن هنا فإن أهمية المراكز الحضارية الأولى بالسودان الغربي عامة وإمبراطورية سنغاي خاصة تمثلت في مدينة تومبوكتو التي كانت العاصمة الثقافية و الدينية لكل الغرب الإفريقي الواقع جنوب الصحراء الكبرى في القرن 16 م حيث يعود تميزها بهذه الخاصية عن بقية المدن السودانية الأخرى بسبب كونها مدينة متعددة الأعراق فقد استيقظت اهتمام عدد هائل من الخلق لزيارتها من مختلف الأفاق و لعل سبب احتلالها لهذه المكانة هو يعد موقعها عن العاصمة مركز القرارات السياسية (غاو) الشيء الذي أكسب هذه المدينة حرية ذاتية شبه مطلقة على مدار الزمن ، و لذلك اختارها أشهر العلماء المسلمين الذين زاروا المنطقة لاتخاذها دارا لهجرتهم و قضاء فيها أطول وقت ممكن في بلاد السودان ومن ثم كان معظم إنتاجها الفكري قد رأى النور هناك [3] .

(1) الفتاش ص 94 .

(2) ولاته و كانت عاصمتها أدوغست ، مملكة بربرية صحراوية التي تعرف ببني أيس و تتميز بشرتهم سكانها ، لكونها أقل اسودادا من بشرة العناصر الذين يقطنون الشمال النيجر يتلثم رجال و نساء هذه القبائل و لا يوجد بينهم قضاة وليس لهم شعراء و أدباء أغلبهم يعانون من شظف العيش أنظر مارمول ج 3 ، ص 198 .

(3) Zakari Op Cit P 197

ثانيا: المدارس و الكتاتيب.

لاحظ المؤرخون الرحالة نمو الحياة الثقافية بشكل عام في منطقة السودان الغربي ، فقد أشار ابن بطوطة بأن السودانيين كانوا يولون أهمية كبرى لتعليم أطفالهم وإرسالهم إلى الكتاتيب واجتهادهم في ذلك [1] و قد أحصى في القرن السادس عشر في مدينة تومبكتو لوحدها ما يناهز 180 كتابا لتعليم الصغار بالإضافة إلى المساجد و المنازل الخاصة التي كانت تشكل تجمعات علمية أقيمت بها حلقات للدرس و المناظرة .

– مراحل التعليم و مناهجه :

ففي المراحل الأولى من التعليم ، كان السودانيين يرتادون الكتاتيب لحفظ القرآن،وقد اختلفت تسميتها في غرب إفريقيا باختلاف قبائلها [2]، فقبائل الولوف تطلق عليها اسم **دَارًا** ، والمندينغ يسموها **كَارَا** ، وقبائل التكرور يسموها **ديالاجالتي** ، أما الشرسة فيسمون معلم الكتاتيب القرآنية **مَعَالَمْ** و هو تحريق لكلمة معلم[3] .

والالتحاق بالكتاتيب هي المرحلة الأولى من التعليم و هي حجر الأساس والبوابة الأولى التي يدخل منها الطالب إلى أماكن الدراسة ، فعندما يصل عمر الصبي إلى

---

(1) ابن بطوطة تحفة النظار المصدر السابق ، ص 790. عمار هلال الهادي المبروك الدالي ، الإسلام و اللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا من 1850-1914 اللجنة العلمية للدراسة جنوب الوطن العربي دار حنين للطباعة و النشر 1996 ص

(2) عمار هلال الهادي المبروك الدالي ، الإسلام و اللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا من 1850-1914 اللجنة العلمية للدراسة جنوب الوطن العربي دار حنين للطباعة و النشر 1996 ص

(3) الدالي : تاريخ الحضاري المرجع السابق ص 163 .

السابعة أو ما دونها يعهد به والده إلى معلمي الكتاتيب لتعليمه ولتلقينه المبادئ الأساسية في القراءة والكتابة باللغة العربية و تحفيظه النصف الأخير من القرآن الكريم وكذلك تدريبه على الصلوات الخمس وبهذه المرحلة يتعلم الصبي القرآن الكريم عن طريق الألواح الخشبية و يستمر في الحفظ تحت مراقبة المعلم إلى أن يختم القرآن الكريم كتابة و حفظا و في خلال هذه المرحلة المهمة يكون الصبي في معاناته مع الكتابة قد استوعب قسطا مهما من قواعد اللغة و النحو (1) و كانت هذه الطريقة في تعليم الأطفال متشابهة إلى حد كبير الطريقة المتبعة في كتاتيب و مدارس الشمال الإفريقي و عند الانتهاء من هذه المرحلة يقام فصل بشأن الصبي الذي ختم القرآن (2) .

ويظهر أن المعلم الذي يسهر على تسيير الكتاتيب و رعاية الأطفال أو الشبان الراغبين في حفظ القرآن الكريم يكون في الغالب الأحوال من الطلبة متوسطي الثقافة (3) .

و كان المعلم بالاتفاق مع أهل القرية أو المدينة يحصل بموجبه من أسر الأطفال على مبلغ مالي كل أسبوع فضلا عن الهدايا التي يأخذها بمناسبة ختم الطفل للقرآن الكريم (4) و قد أورد كعت عن شيخه، أن عدد مدارس الصبيان كانت تتراوح ما بين 150 و 180 مكتبا و قد أفاد كعت أنه حضر مكتب معلم وشاهد

---

(1) أحمد شكري الإسلام و المجتمع السوداني المرجع السابق ص 212 .

(2) نفسه و الصفحة عينها .

(3) الدالي تاريخ الحضاري المرجع السابق ص 163 .

(4) عرفت مناهج التدريس منحى و حد ويا بين كل البلدان الإسلامية و خاصة منذ القرن الرابع الهجري و كان العرف السائد و الجاري به العمل هو أن التلميذ يدخل الكتاب أولا لتكلم القراءة و الكتابة و الخط و يحفظ شيأ من القرآن أنظر أحمد سلبي ، تاريخ التربية الإسلامية دار الكشاف في بيروت 1954- 117-180 .

الصبيان يأتون بخمس ودعات إلى عشر حسب وضع أسرهم الاقتصادية و قد حصل ذلك المعلم يومها على ألف وسبعمائة و خمسة و عشرين ودعه [1] ، وكانت تلك الرسوم تدعى حق الأربعاء ، وأن عدد ألواح الطلاب مائة وثلاثة وعشرون لوحا[2].

أما المرحلة الثانية من التعليم فلم يكن الالتحاق بها محددا بعمر معين بل كانت الفرصة متاحة لجميع الذين أكملوا تعليمهم الأول بنجاح بحفظهم لنصف القرآن أو كلـــه[3].

وكانت مرحلة التعليم هذه تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها هي الكتب المبسطة وكان يتولى تدريسها غالبا من يسمون بالأشياخ [4] ويبدو أن الأشياخ في العرف العام آنذاك ، كانوا متوسطي الثقافة بالنسبة للأستاذة ، ولكن عددا من الأساتذة تعاطوا أيضا تدريس المؤلفات وتتمثل في دروس اللغة والمبادئ الأولى في العلوم الشرعية و المنطق و الحساب ، وكان الطالب في هذه المرحلة يتدرج من دراسات المؤلفات البسيطة إلى دراسة المؤلفات المفصلة مع شرحها وحواشيها:

---

(1) كان التعامل في تلك الفترة بالودعة cautie وهي عملة من العملات التي كان يتعامل بها أهل إفريقيا فيما وراء الصحراء و الودع من الرخويات البحرية البطنية الأرجل تعيش في المياه الدافئة كانت أصدافها تستخدم نقودا أو للزين، انظر الموسوعة العربية الميسرة القاهرة 1965 ، ص 1946. .

(2) محمود عكت ، المصدر السابق ، ص 180-181. انظر أيضا ، Zakari Op Cit P 201.

(3) الدالي ، تاريخ الحضاري ، المرجع السابق ، ص 165.

(4) زبادية عبد القادر ، ملامح الحركة التعليمية في تمبوكتو خلال القرن السادس عشر، مجلة الأصالة عدد 53 الجزائر صفر / محرم 1398 هـــ جانفي 1978 م ، ص 13. Zakari Op Cit P 201.

ثالث: المعاهد العليا .

وهي مرحلة متقدمة في السلم التعليمي ، والتي تستغرق مدتها عشر سنوات كاملة، تترتب على الحالة المادية للطالب ولذلك كان الطلبة المتمكنين ماديا وحدهم الذين يلتحقون بالمعاهد العليا (الجامعات) لمواصلة تكوينهم العالي حيث برامج التعليم في هذه المرحلة يقوم بتحصيل العلم وفق ما تستدعيه الأعراف الإسلامية القائمة على تعميق المعارف حول القرآن الكريم و تعاليم السنة النبوية الشريفة وتتبع تاريخ الفقه بالاعتماد فيه على المذهب المالكي وتاريخ السير ، والنحو و اللغة و الأمر بالمعروف و النهي على المنكر ...

وقد كان للطالب في هذا الطور الحرية في اختيار ما يناسبه من الشيوخ في حالة ما إذا كان الأستاذة قد درسوا نفس المؤلفات تقريبا ، والتي كان أهمها : كتاب التهذيب وهو مؤلف في الفقه المالكي ألف في القرن العاشر 982 هـ من قبل " أبو سعيد خالف بن أبي قاسم البرادعي " وكتاب الشفاء للقاضي عياض ، وهو كتاب خاص بتعاليم السنة النبوية، وكتاب المختصر للشيخ خليل وهو كتاب مختصر للفقه المالكي ، والمدونة لأبي سعيد المعروف باسم سحنون وهناك مقالة أخرى في الفقه المالكي تدعى "الرسالة لأبي زيد القيرواني" ، وكتاب الألفية للعراقي و التي هي جامع لقواعد اللغة العربية في شكل قصيدة شعرية وكتاب الموطأ وهو جامع للسنة النبوية للإمام مالك بن أنس ، ومقال تلخيص المفتاج لجلال الدين محمد القيرواني ، وكتاب التسهيل لابن مالك و مقال الحكم لعطاء

الله الشاذلي ، وتحفة الحكام لابن عاصم ، ومسائل البيع المعروفة بأركان البيع لسيدي محمد بن أحمد ميارة الفاسي "[1] وكتب المغيلي ، والونشريسي [2].

أما عن فترة الدراسة في هذا الطور من التعليم فلم تحدد بفترة زمنية معينة ، وإنما كانت مشروطة بانتهاء الطلاب من استيعاب عدد معلوم من كتب الفقه والحديث والمنطق والنحو ، وقد ذكر موسى بن أحمد السعيدي ذلك قوله ولازمه أكثر من عشر سنين ، فختمت عليه الموطأ فهما ، وتسهيل ابن ماللك قراءة بحث وتحقيق مرة بثلاث سنين وقد أفادني كثيرا "[3]

وكانت طريقة التدريس تتم عن طريق المناقشة بين الأستاذ وطلابه ، وكانت الطريقة الشائعة في الدرس وهي أن يبدأ الأستاذ بإملاء رأيه في المسائل على طلبته، وبعدها يقرأ الطلاب درسهم من الكتب المقررة بحضور الأستاذ ثم يطلب من كل طالب توضيح ما قرأه وكان الأساتذة يختارون العبارات المبسطة لكي يتمكن الطلبة من استيعاب ما يقولون[4] ويضاف إلى هذا أن المدرسين على اختلاف مستوياتهم لم يكونوا يلتزمون بالتوقف عند مادة بعينها بل أنهم كانوا يتصدون غالبا لتدريس مواد عديدة ولكنهم لا يدرون إلا المواد التي يكونون قد أتقنوها وأجيزوا فيها [5] أي كانوا يتبعون أسلوب الموسوعات الذي كان يجري به العمل عند كل الأمم.

---

(1) Zakari Op Cit P 202.

(2) الدالي : تاريخ الحضاري ، المرجع السابق ، ص 167.

(3) الدالي : تاريخ الحضاري ، المرجع السابق ، ص 168.

(4) زبادية ، ملامح ، المرجع السابق ، ص .

(5) نفسه و الصفحة عينها .

أما العلوم التي كانت تدرس فكانت العلوم النقلية من علوم شرعية وما يتصل بها من علوم لغوية وأدبية وعلوم عقلية من علم الكلام والمنطق و الفلك .

رابعا : العلوم النقلية و العقلية .

1. العلوم النقلية:

ظلت العلوم الشرعية وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في الحركة الفكرية الإفريقية وأهم هذه العلوم هي :

العلوم الشرعية المتعمدة على النص : من تفسير وحديث ومن أبرزها كتاب صحيح البخاري ، ومسلم والشفاء للقاضي عياض.

– الفقـــه:

عرفت المدارس وأماكن العبادة في هذه الفترة من تاريخ بلاد السودان الغربي انتشار كتب الفقه المالكي المعروفة بالمغرب الإسلامي وباقي العالم الإسلامي فهي : مختصر خليل وجامع المعيار ، وتحفة الحكام ، مختصر الفروع والمدونة و الرسالة وكتاب موطأ مالك [1] .

وقد ذكر أحمد بابا أنه درس على أساتذة بغبغ قائلا : ... قرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه ، أما خليل فمرارا عديدة ... وحضرته كثيرا في الملتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاثا

(1) Zakari Op Cit P 201-202. دالي تاريخ ، المرجع السابق ، ص 182.

... وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا ... وكثيرا من تحفة الحكام لابن عاصم في الأحكام ، مع شرح ولديه عليها " [1].

- علوم اللغة والأدب :

من بين العلوم النقلية التي كانت تدرّس في المدارس والجامعات بالسودان الغربي علوم اللغة والأدب من نحو وبلاغة، ومن الكتب التي كانت تدرس نجد تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ، وشرح الكافية الشافية ، في علم النجو وشرحا عن لامية الأفعال ، وكتاب الأصول لابن السراج والخزرجية وتلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة، وقد برز علماء أجلاء في هذا الفن من أبناء السودان الغربي من بينهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، وأبو عبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التمبوكتي 1014هـ/1595م . والذي اشتهر بمؤلفه أطلق عليه المنح الحميدة في شرح الفريدة ، وهو شرح لألفية السيوطي في النحو ومن بين ما قاله الشيخ بابا بن الأمين التنبكتي " فقد استخرت الله تعالى في وضع شرح عزيز ، وتعليق وجيز على الألفية الفريدة ، وإن كان ناظمها لجلال الدين السيوطي ، شرحها بالمطالع السعيدة ، لكن تحتاج إلى تقرير وتحرير ، وإيضاح وتحبير ، ففتح الله لي في هذا الشيخ العجيب والمؤلف الغريب ، فجئت به على طريق المزج ، فكان لإجتناء الفوائد واقتطاف الفرائد كالمرج وسميته بالمنح الفريدة في شرح الفريدة (وجاء بتعريف لجلال الدين السيوطي) وقال كثرت تصانيفه وانتشرت في الآفاق ، من بلاد الشام ، والروم والحجاز ، واليمن والهند و المغرب ، والتكرور وذلك في حياته وبلغت مؤلفاته أربع مائة ... وقعت بينه

(1) دالي تاريخ ، المرجع السابق ، ص 182.

وبين الشيخ عبد الكريم المغيلي ، مكاتبة عظيمة في أمر المنطق .. ولما دخل مصر أمر المؤمنين أسقي الحاج محمد قاصدا الحج ، اجتمع معه ولازمه ، وسأله عن أشياء فيما الأحاديث المتفقة في فضل السلطنة ، ذكر في أوله أنه جعلني تحفة للمسلمين المالكين، الصالح العادل المجاهد المرابط القائم بالحق ، الناطق بالصدق ، وملك تكرور أسقي نصره الله ونصر به الدين ، وقطع بسيفه رقاب الملحدين ، ونشر به لواء العدل في العالمين .. ثم جاءه بمال عظيم من الذهب فأبى واعتذر بأنه لم يثبت في ملكه قط ثلاثة مثاقيل ثلث مثقال ... وأخبر جلال الدين السيوطي السلطان أنه مقتول في الوقت الفلاني ..." (1).

وهذا يبين مدى اهتمام علماء السودان الغربي بتعلم العلم بما فيه علم النحو والتبحر فيه و تطويره وشرحه شرحا مستفيضا ، بالإضافة إلى حرص سلاطين السودان الغربي كالاسقيا محمد و الأسقيا داود ومن قبلهم منسا موسى بسلطان دولة مالي الإسلامية أبان القرن الثامن الهجري ، على ملاقاة العلماء سواء كان من المشرق أو المغرب الإسلاميين كاتصال محمد الأسقيا بجلال الدين السيوطي بمصر وهو في طريقه إلى الحج واتصاله بعبد الكريم المغيلي التلمساني والعمل بنصائحه الفقهية .

أما فيما يخص الأدب من تراجم وتاريخ وشعر فقد اهتم علماء السودان الغربي بهذا الفن وألفوا فيه مؤلفات عديدة من بينها ما ألفه العلامة أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج الذي ترجم فيه إلى ثمانية مائة واثنين عالما، ومؤلف كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج وهو مختصر لنيل الابتهاج ومن بين

(1) الدالي ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 191.

كتب التاريخ نجد ما ألفه بابا كور بن الحاج محمد بن الحاج الأمين بعنوان دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان ، ومن كتب التاريخ أيضا تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمجهول ، وتاريخ الفتاش في أخبار البلدان، والجيوش ، وأكابر الناس ، وذكر وقائع التكرور ، وعظائم الأمور ، وتفريق أنساب العبيد عن الأحرار. [1]

أما الشعر فقد عرف لونين المدح والرثاء :

أ- المــدح : نجد من بين شعراء السوذان الغربي الشاعر الشيخ المختار بن القاضي أندغ محمد الذي عدة قصائد من بينها قصيدة يمدح فيها السوقيين عدد أبياتها أربعة وأربعون بيتا .

جزى الله أهل السوق عنا بخيره ❖ فما حسدوا فضلا وما نطقوا جهــرا

فإنهم ذاقوا عسيلــة علمهـــم ❖ فاوارثهــم فضلا وأعقبهــم دخــرا

يضمون علما الغير عفوا لعلمهم ❖ ففازوا بقصب السبق واستحدثوا فخرا

ومن بين شعراء السودان الغربي الذين نبغوا في الشعر الفقيه المختار بن أيداه ، الذي له عدة قصائد في المدح فيقول في قصيدة في حق أحمد بابا التنبكتي .

حسبي من آل الشيخ بابا أحمــد ❖ الطيـــب المجـــب المحمـــــد

الفاضـــل المبــارك المـــود ❖ الطاهــر الحلاحــل الزيــد الجـد

(1) هذا المؤلف لصاحبه محمود كعت هو أبو الثناء محمود ابن عمر كاتي الصنهاجي التومبوكتي 1548/1463 وهو قاضي تومبوكتو وهو فقيه و مؤرخ فقال في مؤلفه : " لما رأيت إهمال الناس للتاريخ ، على ما له من فائدة جليلة في معرفة البلاد ... التمست من الله تعالى جلت قدرته أن يساعدني على كتابة هذا التاريخ الذي يبحث في سلاطين السوداني " أنظر نعيم قداح المرجع السابق ، ص 147. الدالي ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 197.

الماجـــــــد السميـــدع المجـــد ❖ شمــس الضحـــى المبجـــل المنفـــرد

يا بابا جـــد أن أبـــاك مرشك ❖ كـــن جلـــدا إن أبـــاك جلـــــــد

عن مسعـــدا إن أبـــاك مسعـــد ❖ كـــن أســـدا إن أبـــاك أســـــــد

كن مفـــردا إن أبـــاك مفـــرد ❖ إن أبـــاك مثلـــه لا يوجـــــــــد

وقد نبغ شعراء السودان الغربي في لون آخر من ألوان الشعر وهو الرثاء ومن بينهم الشيخ سيدي يحيى التادلي يرثي فيها الفقيه محمود بن محمد الكابري ، وهي من البحر الطويل جاء فيها

تذكـــر في التذكار جل الفوائـــد ❖ وفي طيـــه ورد علـــى خير وارد

ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا ❖ وسفر دوي الأفكار أخطى بزائد

تفئ لـــب المـــرء طيبـــة الصبـــا ❖ فيلحق فتيانا ويقـــوى لساعـــدي

../..

وصلى إلـــه العـــرش ربي بمنـــه ❖ على خير مبعوث و أفضل شاهـــد

محمـــد المختـــار للختـــم رحـــمة ❖ بتتميـــم أخلاق كـــرام معاهـــد

2. العلوم العقلية:

وكان أبرزها علم الكلام والمنطق والفلك فكانت أهم كتبه صغرى السنوسي والجزيرية ، ويذكر أحمد بابا في نيل الابتهاج قول ... وحضرت عليه ... صغرى السنوسي مع شرح الجزيرية ، وحضرت عليه الكبرى وشرحها"[1].

وفيما يخص علم المنطق فقد كان للمغيلي دور كبير في هذا المجال فكان المغيلي من بين علماء المغرب الإسلامي الذين تأثروا بدرجة كبيرة بالمنطق على غرار ابن رشد الذي يعد من المتعصبين له، إذ كان يرى أنه بواسطة المنطق يتمكن الفرد من الوصول إلى اليقين ويرى أيضا أنه لا سعادة لأحد بدون المنطق لأنه يمهد الطريق والسبيل أمام معارفنا ،حتى ترقى من الجزئي المحسوس ، إلى الحقيقة العقلية المجردة[2].

فلقد اهتم المغيلي بالمنطق لأنه كان يرى أن الشرع أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها : وكما قال ابن رشد في مؤلفه فصل المقال " وكان الاعتبار ليس شيئا أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه ، وهذا هو القياس، فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي وبين أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع وحث عليه ، وهو أتم أنواع القياس وهو المسمى برهانا" [3].ولقد كان للمغيلي دور في تعليم المنطق بالسودان الغربي .

فقد كانت مؤلفات المغيلي أبرزها، على الساحة الإفريقية إذ درست بعض من كتبه وخاصة رجز المغيلي ، الذي أطلق عليه منح الوهاب في رد الفكر إلى

(1) الدالي ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 182.

(2) دي بور ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة دار النهضة العربية بيروت ط 5 ، 1988 ، ص 288.

(3) ابن رشد ، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، تعليق أبو عمران الشيخ وجلول البدوي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ص 25.

الصواب ومن الذين تأثروا بفكر المغيلي الفقيه محمد بن عمر بن محمد أقيت الذي شرح منهج الوهاب ، هذا الرجز الذي أصبح من جملة المتون المقررة على الطلاب بالسودان الغربي خاصة ببلاد سنغاي .*

أما علم الفلك اهتم به السودانيون ، وكان من بين العلوم التي كانت تدرس، فقد درسوا كتبه المشهورة ومنها الهاشمية في التنجيم ومقدمة الشيخ عبد الرحمان التاجوري و تأليف مكتوب في شهور السنة على حساب العجم لآبي العباس أحمد بن البناء لازدي والشيء الملاحظ أن السودانيين لم يولوا أهمية كبرى لتلقين طلابهم العلوم الدقيقة (من جبر وحساب ، وهندسة ...) على خلاف جامعات المشرق والمغرب الإسلاميين التي كانت تزخر بذلك.

إن تطور الحياة التعليمية بالسودان الغربي نلمسه في العالم أحمد بابا التمبوكتي الذي شكل في حقيقة الأمر مثلا للعالم السوداني المتشبع بالثقافة العربية الإسلامية ، وتتبين لنا الحياة التعليمية لأحمد بابا في النظام العام الذي كان يسلكه الطالب في تعليمه وتلقيه للمواد العلمية ، من فقه وحديث وقرآن ولغة وبلاغة ومدح وأدب ، كما تنقله عبر الشيوخ يدل على كثرتهم ، وعلى انتظام التعليم في ذلك العصر،وقد تمكن أحمد بابا أن يألف عددا من التصانيف في مواضيع عدة فاقت الستين وقد ذكر أحمد بابا أن مكتبة كانت تضم 1600 كتابا .

* انظر الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الدراسة

الفصل الثاني

أعلام السودان الغربي ودورهم في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية

أولا : أعلام تومبوكتو

ثانيا : أعلام جني

ثالثا : الكتب و التأليف المتداولة بالسودان الغربي .

تمهيـــــــد:

لقد عرف السودان الغربي ما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين مستوى رفيعا جدا في ميدان العلم و الثقافة ، بحيث عرفت الثقافة العربية الإسلامية كل المعارف التي توصل إليها العالم الإسلامي سواء عن طريق الفقهاء والعلماء الذين ارتحلوا إلى حواضر السودان الغربي ؛ تومبوكتو جني وغاو أو عن طريق الكتب التي كانت تر على أسواقها بكميات كبيرة أو عن طريق الطلاب الذين عرفت عنهم حركة دائبة تجاه شمال إفريقيا والذين سيتحولون إلى دعاة وفقهاء وعلماء ومؤلفين .

كان يتواجد بالسودان الغربي عدد لا بأس به من الأعلام من المغرب الإسلامي أو من صحراء توات كانوا يتولون منصب القضاء و الإمامة أو المتفرغين للتدريس و من بينهم :

- القاضي أبو العباس الدكالي ، كان قاضيا بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى.

- الفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان بمدينة كوكو، وهو ممن استضافوا الرحالة الطنجي ابن بطوطة .

- الفقيه المدرس يحيى وهو أخو قاضي ولاته محمد بن عبد الله بن يرمر .

- الفقيه المقرئ عبد الواحد الذي كان بعاصمة مالي الإسلامية .

- الفقيه أبو عثمان سعيد الدكالي أقام بمالي نحو 35 سنة.

- الفقيه أبو عبد الله محمد بن وانسول ، من أهل سجلماسة، استقر بمدينة كوكو عاصر ابن خلدون و صاحبه ، و أمده بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي ويذكر أنهما التقيا بالقاهرة خلال العقد الأخير من القرن الثامن الهجري .

وكان ابن بطوطة قد التقى بهؤلاء الفقهاء و ذكرهم في رحلته غير أنه لم يحدد طبيعة وظيفة الكثير من الشخصيات الأخرى كمحمد بن الفقيه الجازولي ، والحاج محمد الوجدي التازي، ومحمد بن عمر وهم من أهل القرن الثامن الهجري.(1)

أولا: أعلام تومبوكتو .

1- العالم سيدي بن عبد الرحيم : (توفي سنة 866هـ)

هو سيدي يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمان الثعلبي بن يحيى البكاء ابن أبي الحسن علي بن عبد الله بن الجبار بن تميم ، بن هرمز ، بن حاتم بن قصى ، بن يوسف ، بن يوشع بن ورد ، بن بطال ، بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن ابن على بن أبي طالب كرم الله وجهه من علماء و صلحاء تومبوكتو ، قال فيه أبو البركات : الفقيه الشيخ ما وطئ قدم تومبوكتو قط إلا وسيدي يحيى أفضل منه.

و قيل فيه : كل بلاد لها رجال و لكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله والقطب في تمبوكتو هو سيدي يحيى (2) توفي سنة 866هـ/1461 (1)

(1) ابن بطوطة تحفة النظار ، ص 696.

(2) الدالي ، تاريخ المرجع السابق، ص 206-207.

2- محمد الكابري (نسبة إلى ميناء كابرا ميناء تومبوكتو) .

ولد في القرن التاسع الهجري (15م) ، نزيل تمبوكتو و درس بها و أخذ عنه الفقيه عمر بن محمد أقيت ، و الشيخ الفقيه سيدي يحيى بن عبد الرحيم التادلي كان معاصرا للفقيه عبد الرحمان التميمي و الفقيه أندغ محمد الكبير جد الفقيه سيدي محمود لأمه و الفقيه عمر آقيت [2].

توفي آخر القرن التاسع الهجري و قد رثاه سيدي يحيى التادلي بقصيدة من البحر الطويل :

تذكــر ففي التذكار جل الفوائــد	وفي طيـــه ورد خيــــر وارد
ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا	و سفر ذوي الأفكار أحظى بزائد
تفــي لــب المرء طبيبــة الصبــا	فيلحـــق فتيانــا و يقوى لساعد
يثيــر هـــموم القلـــب فقد سميدع	فقيــه حليــم حامـــل للفرائد
محمـــد الأستاذ مؤدب ذي النهـــى	رباطا صبـــارا أمـــره في التزايد
فيـــا عجبـــا هـــل بعده من مبين	و يــا عربا هل بعده من مجالد [3]

3- الشيخ محمود البغدادي :

هو الإمام فريد زمانه الشيخ محمود البغدادي قدم إلى بلدة أهير في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، اشتغل بالتدريس وأخذ عنه ت

---

(1) عبد الرحمان السعدي ص 51.

(2) البرتلي فتح الشكور في معرفة عيان علماء التكرور "، تاريخ السودان ص 47.

(3) الدالي ، تاريخ المرجع السابق ص 208 تاريخ السودان ص 49. (إسماعيل ميغا المرجع السابق ص 200.

الشيخ أبو رويس [1] ، و الشيخ الولي أحمد بن الفقيه عبد القادر يحيى ، الشيخ أحمد الفقيه ، الشيخ الكامل بن الحاج ، الشيخ أحمد زروق تي فس بمعنى قادم من فاس و الولي المكاشف الفقيه الحاج سيكاف ، و الفقيه عبد الله بن تكرش وغيرهم و قد عمل على نشر الطريقة القادرية في المنطقة و التي كانت أول طريقة تصل إلى منطقة السودان الغربي [2] .

4- الفقيه القاضي الإمام كاتب موسى :

وهو من أئمة المسجد الجامع الكبير في تومبوكتو ، مكث في الإمامة أربعين سنة ، وهو من العلماء الذين رحلوا إلى المغرب لطلب العلم بأمر من السلطان منسا موسى فلما انتهى من دراسته بفاس عاد إلى بلاده مالي و استقدم معه الفقيه القاضي عبد الله البلبالي وهو أول رجل أبيض صلى بالناس إماما بالمسجد الكبير وكان جميع أئمته منذ تأسيسه من السود.

كان الفقيه كاتب موسى إلى جانب توليه منصب الإمامة في الجامع الكبير والتدريس فيه يشغل منصب القاضي [3] كان من العلماء الصلحاء البارزين الذي أثروا في النمو و ازدهار الحركة العلمية و الثقافية في بلاد السودان[4] .

5- مسر بوب الزغراني التومبوكتي :

ينتمي لقبيلة الزغرانيين في غرب السودان الغربي ، كان عالما فقيها صالحا ، وقد اشتهر بالعلم و الصلاح وقد أخذ عند عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن

(1) من علماء بلدة أهير درس على الشيخ البغدادي و توفي في سنة 1533/940م.

(2) الدالي ، تاريخ، المرجع السابق، ص 210.

(3) تاريخ السودان ص 55، أحمد شكري الإسلام المرجع السابق ص 217 إسماعيل ميغا المرجع السابق ص 202.

(4) مبخوت بودواية، أعلام السودان الغربي ما بي القرنين 8 ـــ 10 الهجريين ، حولية المؤرخ العدد 6 ،جويلية 2005.

عمر أقيت و قد ساهم في نشر العلم و الثقافة الإسلامية في تومبوكتو خاصة والسودان الغربي عامة .

6- الفقيه صديق تعلي (المتوفى سنة 973هـ)

وهو من كابرا، و جنجوي المولد ، كان إماما للمسجد الكبير بتومبوكتو وقد وصفه سعدي بأنه كان عالما فقيها فاضلا خيرا صالحا وهو من علماء وفقهاء قرية جنش القريبة من تومبوكتو و كان قد رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج وإلتقى بكثير من العلماء في مصر والحجاز و منهم الشيخ محمد البكري الصديقي.[1]

7- محمد بغبغ (1002/930هـ)

وهو محمد بن محمود بن أبي بكر الونكرى التومبوكتي عرف بغبغ بباء مفتوحة فغين ساكنة فباء مضمومة فعين مهملة فهو فقيه محقق فاصل صالح عالم ، أخذ عن والده و خاله ثم أخذ مع شقيق أحمد عن الفقيه أحمد بن سعيد ولازماه ثم رحلا إلى الحج مع خالهما واجتمع بالناصر اللقاني و التاجوري والبحيري والشيخ الشريف يوسف و الشيخ محمد البكري و أخذ عنهم و عن والد الشيخ أحمد بابا وعنه الشيخ أحمد بابا و لازمه أكثر من عشر سنوات من مآثره له تعاليق و حواش عن المختصر نبه فيهما على ما وقع لشراح خليل وتتبع

[1] إسماعيل ميغا ، المرجع السابق ، ص 204.

ما في الشرح الكبير للتتائي من السهو نقلا و تقريرا في غاية الإجادة و له فتاوى كثيرة .(1)

قد أورد أحمد بابا أنه سمع بوفاة محمد بغيغ وهو بالمغرب الأقصى يوم الجمعة من شهر شوال عام اثنين و ألف .

8- الفقيه أندغ بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح :

عالم من علماء السودان الغربي في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي قال فيه السعدي : هو معدن العلم والفصل و الصلاح و قال فيه أحمد بابا : هو أول من خدم العلم من أجداده ، تولى قضاء تومبوكتو في أواسط القرن التاسع الهجري و كان عالما و فقيها وعالما صالحا أخذ عن محمد الكابري و عاصر السيد يحيى التادلي.

9- القاضي محمود كعت و أسرته :

هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني دارا وتومبوكتي مسكنا الوعكي أصلا، ولد في منطقة كورما غرب مدينة غاو أخذ العلم عن علماء تومبوكتو وفقهائها ، برع في الأدب و الفقه و تقلد منصب القضاء ، عاصر الحاج محمد الكبير أسقيا دولة سنغاي 1528/1493 و قد خلف أبناء كان لهم أدوار جسيمة في نمو الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي وهم : القاضي الفقيه إسماعيل بن محمود كعت و الفقيه يوسف بن محمد

(1) شجرة النور الزكية ، المرجع السابق ص 287، إسماعيل ميغا المرجع السابق ص 204-206، انظر أيضا محمد بلو بن عثمان فودي ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور تحقيق بهيجة الشاذلي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط 1996، ص 311، الدالي ، التاريخ، المرجع السابق ص 219-220.

كعت و محمد الأمين بن محمود كعت ، وحفيده ابن المختار وهو ابن بنت القاضي محمود كعت (1).

ومن مآثر القاضي محمود كعت كتابه المشهور " تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس و ذكر وقائع التكرور و عظام الأمور و تعريف أنساب العبيد من الأحرار " خلال القرن السادس عشر الميلادي كان مولد صاحب الترجمة 1468م و توفي سنة 1593 و قد زامن الغزو المغربي لبلاد السودان في عهد أحمد المنصور الذهبي ، وما سبق ذلك من أزمات سياسة بين المغرب والسودان الغربي في عهد الاسقيين ، مما يعطي كتابه ميزة خاصة غير أن الحوادث التي جاء بها كتابه تجتاز عمره بست سنوات مما يبعث على الاعتقاد بأن الكتاب قد أتمه بعض أحفاده بعد وفاته و كان قد أخذ عنه خلق كثير من بينهم الشيخ الفقيه أحمد بابا الذي قال: " لقد صار شيخ زمانه في العلوم والفنون لا نظير له ، لازمته أكثر من عشرة سنين ، فقرت عليه بلفظي مختصر خليل ، ابن الحاجب قراءة بحث و تحقيق و تحرير و ختمت عليه الموطأ قراءة منهم ، و حضرته كثيرا في المدونة ، و رجز المغيلي في المنطق و الخزرجية في العروض، و سمعت بقراءته هو كثيرا من البخاري ، وهو أستاذي و شيخي ، مما انتفعت بأحد انتفاعي به و بكتبه ، و أجازني جميع ما يجوز له ومنه وكتب لي بخطه في ذلك ". (2)

(1) مبخوت بودواية ،المرجع السابق ص 185 - 186 .

(2) يحيى بوعزيز ، إفريقيا الغربية ، المرجع السابق ، ص 196-197.

10- الفقيه الحاج جد القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر بن الحاج:

كان من علماء جامعة سنكوري ، تولى القضاء بتمبوكتو في أواخر دولة مالي الإسلامية و يعد من بين العلماء الذين هاجروا نحو مدينة تمبوكتو للمشاركة في النهضة العلمية و الثقافية التي ازدهرت في ذلك الوقت و الإشراف على التدريس بجامعة سنكوري .

11- محمد أقيت و أسرته :

هاجر "محمد أقيت" جد أسرة أقيت من موطنه الأصلي : بلاد ماسنة إلى بلدة بير، استقر محمد أقيت بتمبوكتو في منتصف القرن التاسع الهجري و قد انحدر من هذه الأسرة علماء كان لهم الأثر بالبالغ في الثقافة الإسلامية و اللغة في السودان الغربي عامة وتومبوكتو خاصة و منهم :

الفقيه "أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد ين نوح" و قد وصفه السعدي بأنه معدن العلم و الفضل و الصلاح ، هو جد جد أحمد بابا لأمه ، كان فقيها تولى قضاء تومبوكتو في أواسط القرن التاسع الهجري ، وكان من شيوخ جامعة سنكوري و علمائها الدين قاموا بدور بارز في الرفع من وزن الجامعة ثقافيا و علميا .

عمر بن احمد : هو والد جد الشيخ أحمد بابا التميوكتي ، كان عالما صالحا تتلمذ على الفقيه القاضي ، مودب محمد الكابري ، و كان حيا حول بداية الثلث من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، و كان هذا العالم من فقهاء جامعة سنكوري .

12- المختار النحوي :

هو مختار بن عمر بن أحمد السالف الذكر ، لقب بالنحوي لتضلعه في هذا الفن ، كان عالما بكل فن من فنون العلم ، توفي أواخر العام الثاني والعشرين بعد تسعمائة ، كان من فقهاء جامعة سنكوري و علمائها الذين ساهموا في بناء النهضة الثقافية و ازدهارها في السودان الغربي .[1]

13- احمد بن عمر محمد أقيت (943 هـ\ 1536م)

هو أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التومبوكتو، عرف بالحاج احمد وهو جد أحمد بابا التومبكتي ، و أكبر الاخوة الثلاثة ، اشتهروا بالعلم و الدين كانوا من أهل الخير و الفضل و العلم و أخذ عن عدد من الشيوخ منهم جده لأمه الفقيه أندغ محمد قاضي مدينة تمبوكتو وخاله الفقيه المختار النحوي ، و بعض شيوخ منطقة توات .[2]

ارتحل إلى المشرق الإسلامي و حج عام 890هـ-1485 و لقي العالم الجليل جلال الدين السيوطي ، و خالد الأزهري إمام النحو و غيرهما ، و رجع في زمن فتنة الخارجي سني علي ، و دخل كانو و اشتغل في التدريس و انتفع به خلق

---

(1) تاريخ السودان ص 28،29 ، إسماعيل ميغا ، ص 184، 186 ، الدالي التاريخ الحضاري المرجع السابق ص 210،211، شجرة النور الزكية ، ص 285، 286.

(2) تاريخ الفتاش ص 85، إنفاق الميسور ص 314 ، سعد حراش ص 260، احمد بابا التمبوكتي ص 137، الدالي،التاريخ ص 210-211.

كثير من طلاب العلم منهم : أخوه الفقيه محمود قرأ عليه المدونة و غيرها توفي ليلة الجمعة في ربيع الثاني عام ثلاث وأربعين و تسعمائة عن نحو ثمانين سنة [1] .

14- الشيخ عمر بن الشيخ محمد أقيت (و أبناؤه)

و لد في القرن التاسع الهجري ، عاش في فترة السلطان سني علي ، كان عالما فقيها صالحا تقيا درس على يد الفقيه الصالح محمد الكابري ، رحل إلى ولاته عام 872هـ / 1467 م بأولاده الثلاثة ، الفقيه الحاج أحمد وهو أكبرهم سنا والفقيه عبد الله و الفقيه محمود و هو أصغر اخوته و كان بمعية صهره الفقيه النحوي المختار بن القاضي أندغ محمد و أدرك الإمام الزموري في ولايته فأجازه كتاب الشفاء و رجع ابنه محمود ، و عبد الله إلى تمبوكتو ، أما الشيخ عمر فقد فضل البقاء هناك إلى أن توفي أما ابنه الحاج احمد فانه لتحق باخوته في تمبوكتو .

و قد أصبح عبد الله بن عمر بن محمد أقيت فقيها حافظا زاهدا وورعا صالحا درّس بولاته و توفي بها سنة تسع و عشرين و تسعمائة هجرية ، أما محمود بن عمر بن محمد أقيت تولى قضاء تومبوكتو ، وكان فقيها و إماما و كان من خيار عباد الله الصالحين العارفين به ، فاشتهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته ، مع ملازمته التدريس و الفقه من فيه حلاوة و طلاوة ، سهل العبارة حسن التقريب بلا تكليف حسن التكرار فانتفع به خلق كثيرون و أحيى العلم ببلاده، زار البقاع المقدسة سنة 915هـ فلقي السادة الأجلاء إبراهيم المقدسي ، والشيخ زكريا ، و القلقندشي من أصحاب الحافظ بن حجر و اللقانين و غيرهم

(1) إنفاق الميسور ص 316، أحمد بابا ص 137 ، و عبد الرحمان سعدي ص 37. سعيد حراش ص 260 ، الدالي ، تاريخ ص 210-211. أنظر أيضا ، عبد الوهاب بن منصور ، أعلام المغرب العربي الجزء الخامس ، الرباط 1410 هـ /1990م ص 158-159.

، و رجع إلى بلاده فاشتغل بالتدريس مدة خمسين سنة حتى توفي سنة 955 هـ ليلة الجمعة سادس عشر رمضان ، أما مولوده فكان سنة 868 ، أخذ عنه الكثير من بينهم أولاده الثلاثة : محمد ، العاقب ، عمر وغيرهم [1].

15- الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى:

ولد أحمد في 01 محرم 929 هـ [2] / 1522 م ، وهو والد أحمد بابا التمبوكتي كان ذكيا مدركا متفننا محدثا أصوليا منطقيا [3] ، له نفس طيبة وقلب عطوف ، أخذ عن عمه محمود بن عمر شتى فروع العلم ، زار البقاع المقدسة سنة 956هـ/1549 م و لقي بمصر العلماء و الصالحين منهم الناصر اللقاني [4] والشريف يوسف الأسيوطي تلميذ السيوطي ، و جمال الدين بن الشيخ زكريا والشيخ التاجوري وأخذ عن سيدي عبد السلام الأسمر الزليطني الطريقة و لقي بالحجاز بمكة و المدينة جماعة من كبار العلماء منهم أمين الدين الميموني و ابن حجر المكي و الملائي، وبركات الحطاب [5] ، و عبد العزيز اللمطي و عبد المعطي السخاوي و غيرهم، فقد استفاد منهم كثيرا في شتى فروع المعرفة . وعند عودته اشتغل بالتدريس فأخذ عنه الفقيه محمد و أخوه أحمد ابني الفقيه محمود بغبغ قرأ عليه الأصول و البيان والمنطق كما درس على يده الأخوان عبد

---

(1) انفاق المسيور ص 320، الدالي، التاريخ ، المرجع السابق ص 212 ، أحمد بابا التمبوكتي ص 161.

(2) احمد بابا ص 93.

(3) ميغا إسماعيل ص 191.

(4) انظر ترجمته في شجرة النور الزكية

(5) هو بركات بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب المكي الفقيه الإمام الصالح العلامة المتفنن المعمر البركة اخذ عن والده و غيره و أخذ عنه جماعة منهم ابن أخيه يحيى بن محمد ووالد الشيخ احمد بابا بالإجازة، له شرح خليل في أربعة أسفار سماه المنهج الجليل، انظر شجرة النور الزكية ص 279.

الله و عبد الرحمان ابنا الفقيه محمود وغيرهم و أخذ عنه ابنه أحمد بابا عدة علوم ، و أجازه جميع ما يجوز له ، و سمح بقراءة الصحيحين و الموطأ و الشفاء.

ومن آثاره : شرح مخمسات العشرينيات الفازازية لابن مهيب في مدح النبي – صلى الله عليه و سلم – ، شرح منظومة المغيلي في المنطق شرحا حسنا ، وكتب حاشية على شرح التتائي على خليل نبه فيه على مواضع السهو منه وقطعا على مواضع من خليل و شرحا يسيرا جدا على جمل الخونجي و علّق على صغرى السنوسي والقرطبية و ألّف الأصول توفي عندما كان يقرأ في صحيح مسلم بالجامع الكبير بعد أن ثقل لسانه فأمره الفقيه محمود بغبغ بقطع القراءة فتوفي ليله الاثنين سابع عشر من رمضان عام 991هـ/1583 م. [1]

ثانيا : أعلام جني[2]

1- الفقيه موركنكي :

وهو من العلماء الذين وفدوا على مدينة جني و قد وصفه عبد الرحمن السعدي بالعالم البارع في التدريس و المتمكن في المعلومات [3] وهو مورمغ كنكي ارتحل من بلدته إلى مدينة كابرا لتلقي العلم من علمائها ليرتحل بعد ذلك

---

(1) إسماعيل ميغا ص 192-193، تاريخ السودان ص 44، الدالي ، التاريخ ص 115و 116.

(2) حاضرة من حواضر السودان الغربي تقع إلى الشرق من العاصمة المالية بامكو بجمهورية مالي بحوالي أربعمائة كيلو متر وإلى الجنوب الغربي مدينة تومبوكتو بحوالي تسعمائة كيلومتر ، و معنى مصطلح جني فهناك رأيان : الرأي الأول يقول أن اسمها اشتق من اسم الجنة نظرا لأنها كانت زافرة الخيرات وأما الرأي الثاني أن اسمها اشتق من اسم أول ملوكها جنور أنظر الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الدراسة .

(3) تاريخ السودان ص 16.

إلى مدينة جني و ذلك في منتصف القرن العاشر الهجري أي الفترة التي كان يحكم فيها الأسقيا موسى بن محمد الحاج الكبير 1528-1531 م.

وقد ذكر السعدي أن مورمغ كنكي كان عالما ، فقيها بارعا في العلم صالحا عابدا زاهدا و أنه فور وصوله إلى مدينة جني توافد عليها الطلبة و أسرعوا إليه للاستفادة منه و لينهلوا من علمه ، و قد باشر في مدينة جني مهنة التعليم والتدريس بالمسجد الجامع بانتظام دائم. و لقد كان لهذا العالم دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية و نمو الحركة الفكرية في البلاد و أثّر في حياة جني العلمية تأثير قويا ، ولا يزال ذكره عالقا في أذهان أهالي المنطقة . [1]

2- القاضي محمد سانوا الونكري :

كان فقيها عالما عابدا صالحا ، قدم إلى مدينة جني في أواخر القرن التاسع الهجري قادما من قرية تسمى "طور" القريبة من جني و عند استقراره بمدينة جني أحاطه السلطان بمظاهر التبجيل و الاحترام ، و أصبح بعد ذلك من أهل الشفاعة لديه. و أصبحت له مكانة مرموقة ليس فقط بمدينة جني بل تعدت شهرته العلمية وصلاحه إلى مدينة تومبوكتو مركز الثقافية الإسلامية و العلم العلماء ، و عندما زار الشيخ محمود بن عمر بن محمد أقيت عالم بلاد السودان و إمامها مدينة جني في مطلع القرن العاشر الهجري التقى بهذا العالم الفقيه فأعجب بعلمه و صلاحه ، فأثنى عليه ولما رجع إلى تمبوكتو نقل ما رآه من حاله و من علمه وصلاحه وزهده إلى مسامع أمير المؤمنين الحاج أسقيا محمد فعيّنه على قضاء مدينة جني بعد عودته من الحج حوالي سنة 904 هـ ، و كان أول قاضي

---

[1] إسماعيل ميغا ، المرجع السابق ص 226، أحمد شكري، الإسلام، المرجع السابق ص 218.

شرعي يفصل بين الناس بالشرع ، و توليه منصب القضاء في جني نقطة تحول في تاريخ القضاء الإسلامي في هذه المدينة حيث لم يكن الشرع قبل تعينه قاضيا يطبق عند الفصل بين الناس في خصوماتهم و سائر القضايا ، بل كان الناس – قبل تعينه – يتقاضون إلى خطيب المسجد الجامع فيسعى بينهم بالصلح .

و الفقيه محمد سانوا الونكري من العلماء الذين تركوا بصماتهم في ازدهار الحركة العلمية و الثقافية في مركز جني .

3- الفقيه القاضي محمود بغيغ :

تولى الشيخ محمود بغبغ قضاء جني في عام التاسع و الخمسين بعد تسعمائة 1551م و ولاه القضاء السلطان أسقيا إسحاق ابن أمير المؤمنين أسقيا الحاج محمد الكبير بعد وفاة القاضي العباس الكب . [1]

يعد القاضي محمود من بين العلماء الذين قاموا بدور عظيم في إثراء الثقافة الإسلامية بالسودان الغربي ، وهو والد العالمين الجليلين : الفقيه محمد بغبغ عالم تومبوكتو و الفقيه أحمد بغبغ .

إنّ العلماء الذين هم من أصل الونكري كانوا كثر في مدينة جني و كان لهم دور هام في نشر الثقافة الإسلامية في جني خاصة وفي السودان الغربي عامة، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام في بلاد الهوسا (نيجيريا) .

ومن بين العلماء الذين ساهموا في تطوير الحركة العلمية و الإسلامية بمدينة جني : عالم كناجي الذي عاصر السلطان أسقيا الحاج محمد الكبير [2] والعالم

---

(1) أحمد بابا المصدر السابق ص 341 ، تاريخ السودان ص 19. فتح الشكور ص 113.

(2) تاريخ السودان ص 19.

ماما الذي تولى الخطابة بمدينة جني بعد موت الخطيب القاضي أحمد " ترف" في نهاية القرن العاشر الهجري (16م) [1] و العالم محمد "**بنب كنات** " و اصله من ونكرا تمكن من أمورالفقه و تولى منصب القضاء في نهاية القرن العاشر هجري [2] والقاضي " مود بكر تروي " المتوفى سنة 985 هـ / 1577 م الذي يعد من أبز قضاة مدينة جني ، فقد خدم العلم فنال بركته و توفي أواخر القرن العاشر هجري ومن القضاة الذين عرفتهم مدينة جني القاضي مود موسى الذي عاصر باشا المغرب الأقصى على بلاد سنغاي محمود زرقون.

ثالثا: الكتب والتأليف المتداولة بالسودان الغربي .

وكانت الكتب الدراسية المتداولة في جني وغاو و تومبوكتو هي نفس الكتب و التأليف المعروفة في البلاد الإسلامية الأخرى ومن بينها : تأليف التفسير من أهمها الجلالين [3] ، موطأ مالك في الحديث و الفقه ، الصحيحين البخاري ومسلم [4] و الشفاء للقاضي عياض في السيرة ، و مدونة سحنون في فقه الإمام مالك ، و الرسالة الفقه المالكي ، ومختصر خليل و المنتقى للباجي شرح الموطأ [5] و مختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه المالكي و مختصر ابن الحاجب الأصلي في الأصول [6] و تهذيب البرادعي في الفقه المالكي، و جامع

(1) تاريخ السودان ص 19.

(2) المصدر نفسه و الصفحة عينها.

(3) السعدي ص 33 .

(4) نيل الابتهـــاج ، ص 342 .

(5) أحمد بابا التومبكتي ، ص 341 ، 342.

(6) هذان الفرعان لجمال الدين أبي عثمان ت 646، عرف ابن الحاجب و هو دفين الإسكندرية ، وكانت كتبه تدرس بجني و تومبوكتو .

المعيار للونشريسي ، والحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، الدرر اللوامع الابن بري التازي ، دلائل الخيرات لمحمد بن سليمان الجزولي ، مدخل ابن الحاج، و البيان و التحصيل لابن رشد ، و المعيار المعرب عن فتاوي علماء أفريقية و الأندلس والمغرب للونشريسي ، و الجامع الصغير في الحديث للسيوطي ، و ألفية العراقي في علوم الحديث مع شرحها، و سيرة ابن هشام ، الجزائرية للزواوي [1] ، ورجز المغيلي الكبرى في المنطق و شرحه لأحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، وتحفت الحكام و العباد[2] وعقائد السنوسي في التوحيد وهي ثلاثة: العقيدة الكبرى والوسطى و الصغرى ، والخزرجية في العروض بشرح الشريف ، و العشرينيات في مدح الرسول – صلى الله عليه و سلم – و عرفت بالفازازية [3] ، و حكم ابن عطاء الله مع شروح زروق عليه ، و الهاشمية في التنجيم مع شرحها ، و مقدمة التاجوري و البسط والتعريف في علمك التصريف للمكودي [4] ولامية ابن المجراد السلوي في الجمل ، والمرشد المعين لابن عاشر الفاسي ، و لامية الزقاق ، و المنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق أيضا ، و إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة لأحمد المقري ، والمقامات الحريري في الأدب العربي ، و ألفية الأثر في الحديث ، و شرح النقاية في الأصول ، و البيان والتصوف ، وشرح الكوكب الساطع في نجم جمع الجوامع

---

(1) احمد بن عبد الله الجزائري الزاواوي تـ 884 هـ / 1479 م ، صاحب اللامية المشهورة في علم الكلام ، عرفت في السودان الغربي باسم المنظومة الجزائرية ، أنظر سعيد حراش ، العلاقات الفكرية ، المرجع السابق ، ص 243.

(2) حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 244 .

(3) لصاحبها عبد الرحمان الفازازي ، القرطبي تـ 627 هـ / 1229 م ، استعمله السودانيون في المدح .

(4) هو عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي توفي 808 هـ / 1405 م له أيضا شرح المكودي على ألفية ابن مالك، والمقصودة المشهورة في مدح الرسول – صلى الله عليه و سلم –

وهو في الأصول و البيان والتصوف، و شرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد والشاطبية [1] التي انتشرت انتشارا سريعا في بلاد السودان ، و لقد كان لسلاطين السودان الغربي في عهدي دولة مالي وسنغاي دور في اقتناء هذه التأليف و الكتب فيقول العمري عن السلطان منسا موسى " و جلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب مالك رضي الله عنه و استغل مروره بالقاهرة أثناء حجه ، فاشترى مجموعة كبيرة من كتب فقه المالكية [2] ، كما أحضر هذا السلطان لمراكز التعليم بدولته نوادر الكتب من مصر و الحجاز ومن الأقطار التي مر بهما ومن ثم أنفق جزءا من أموال مملكته على شراء الكتب [3].

وأكثر من ذلك ، يظهر أن حكام مالي كانوا يسهرون على افاد الطلبة السودانيين للمراكز الثقافية ببلاد المغرب و المشرق الإسلاميين ، و ذلك على نفقتهم الخاصة ، وأخذت رحلة العلم السودانية تعرف نموا مطردا و متزايدا مع بداية القرن التاسع الهجري و كان ذلك خلال بروز العائلات العلمية السودانية خاصة عائلتي أقيت ، و بغيع و بما أن القاهرة كانت توجد في طريق الحجاج السودانيين ، فقد كان أهل مالي و سنغاي يستغلون فرصة مرورهم بها لحضور حلقات العلم بالجامع الأزهر ، و الاتصال بفقهاء المالكية ، و يذكر أن سلاطين السودان الغربي أنشئوا مدرسة خاصة بهم بمصر و تحملوا جميع نفقاتها يقول المقريزي عن هذه المدرسة المالكية التي حملت اسم منشئها : " هي بخط حمام الريش من مدينة مصر (القاهرة) كان الكانم من طوائف التكرور لما وصلوا إلى

[1] لصاحبها القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفى 590 هـ / 1193 م .

[2] أحمد شكري ، الإسلام و المجتمع السوداني ، المرجع السابق ، ص 221 .

[3] الدالي ، العلاقات ، المرجع السابق ، ص 113 ، حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 246.

مصر سنة بضع و أربعين و ستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضي "علم الدين بن رشيق" مالا بناها به و درس بها فعرفت به و صار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة و كانوا يبعثون إليها في غالب السنين المال" . [1]

ولقد ظهرت طبقة من المثقفين المبدعين في تأليف مختلف الفنون الإسلامية ، في الفقه و المدح و النحو و المنطق و التصرف و التاريخ ، ففي الفقه برز كما ذكرنا برز العالم أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، بن عمر بن علي بن يحيى الذي علق علي موضع خليل و على شرحه للتتائي بيّن مواضع السهو منه .

كما ألف في الفقه العلامة أحمد بابا التمبوكتي عدة تأليف منها :

- تنبيه الواقف
- درر الوشاح في فوائد النكاح
- ترتيب جامع المعيار للونشريسي
- تعليق على مواضيع ابن الحاجب
- الزند الورى في مسألة تخيير المشترى
- اللمغ في الإشارة إلى حكم التبغ
- معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود

أما في المدح ، فألف علماء السودان الغربي قصائد في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم– فمن بين تأليف أحمد بابا في هذا المضمار و هي :

- الدر النظير في ألفاظ الصلاة على البشير النذير .

---

(1) أحمد شكري ، المرجع السابق ، ص 224 .

- خمائل الزهر في كيفية الصلاة على البشير النذير

أما في النحو فقد ألف أحمد بابا التمبوكتي مؤلفات عدة ومن بينهما :

مسألة مساواة الفاعل للمبتدأ و شرح الألفية

أما أبي عبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التمبوكتي فقد ألف :

- المنح الحميدة في شرح الفريدة ، و هو شرح لألفية السيوطي في النحو .

أما في المنطق ، فقد أبدع فيه عدد لا بأس به من السودانيين ومن بينهم : الفقيه محمد بن محمود بن عمر أقيت الذي شرح رجز المغيلي ، و الفقيه أحمد بن أحمد أقيت الذي وضع شرحا سماه شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب للمغيلي ، كما وضع تعليقا على صغرى السنوسي التلمساني .

أما في التصوف فقد ألف فيه بعض من علماء السودانيين ومن بينهم أحمد بابا الذي ألف مؤلفا أطلق عليه فتح المجيب و فتح الرزاق و كذلك لعمه أبي بكر بن أحمد أقيت التمبوكتي 932 هـ 991 هـ) تأليف في التصوف سماه معين ضعفاء في القناعة و هذه رسالة في التصوف تلقي الضوء على هذا النوع من الإبداع تقول : " الشيخ الصالح الزاهد القطب أبي مدين شعيب الغوث ، المولاية ، نفعنا الله بهم آمين و صلى الله على سيدنا محمد ، عدد ما ذكره الذاكرون ، و غفل عن ذكره الغافلون ، إلى يوم الدين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، بتاريخ أوائل صفر عام ثمانية و ثمانين و ألف (1088 هـ 1677 م) على يد كاتبه العبد الحقير ، الفقير بقلة عمله ، ورجاء عفو ربه ، عبيد الله تعالى عبد الكريم بن الصالح بن أبي محمد بن أحمد السوقي ، كتبه لخيار

ابن إدريس ، و كل من نظر فيه أن يدعو لنا و لجميع المسلمين الخاتمة بجاه محمد و آله أجمعين " [1] .

أما في التراجم و التاريخ و الشعر فقد برز عدد من السودانيين و أنتجوا عدة مؤلفات و يتصدرهم العلامة أحمد بابا التمبوكتي الذي أنكب على تأليف الكتب وإعداد تراجم و سير العلماء و الفقهاء و الصلحاء ، خاصة فقهاء المالكية ابتداء من الإمام مالك إلى عهده هو وزادت تأليفه على الخمسين كتابا من بينها :

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الذي ترجم فيه إلى ثماني مائة و اثنين عالم .
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، و هو مختصر لنيل الابتهاج.

و كلاهما عبارة عن تكملة لكتاب الديباج الذي ألفه العالم ابن فرحون ، وذكر أحمد بابا في مقدمة نيل الابتهاج ، بأن وجوده بمراكش ، و توفر المراجع بها ، خلال نفيه إليها ، وهي التي أتاحت له فرصة التأليف و قد جاء في هذين المؤلفين معلومات سياسية ، و ثقافية و اقتصادية و اجتماعية ، و ترجم لأعلام كثيرين من الأندلس و المغرب الأقصى ، و المغرب الأوسط و المغرب الأدنى.

ومن المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ الإفريقي ، المؤرخ بابا كوز بن الحاج محمد بن الحاج الأمين الذي ألف كتابا عنونه بـــ:" درر الحسان في أخبار بعض ملوك السودان ، الذي استفاد منه المؤرخ محمود كعت [2] في وضعه لكتاب تاريخ

(1) الدالي ، التاريخ ، المرجع السابق ، ص 194 .

(2) ولد الشيخ محمد بم محمود كعت عام 1468 م ، حسب رواية الشيخ عبد الرحمان السعدي ، بمدينة تمبوكتو ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ القاضي محمود و عنه أخذ علوم اللغة العربية و الفقه و الحديث والتاريخ و التفسير، و السير العلماء و الفقهاء ، و ارتحل إلى مصر فأخذ عن علماء الأزهر ثم زار البقاع و

الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس ، و ذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور و تفريق أنساب العبيد من الأحرار " وقد ألف هذا الكتاب في القرن 16 م و قد سجل فيه صاحبه أهم الأحداث التي شاهدها و عاصرها بدأ حديثه عن الاسقيا محمد الأول الكبير ، و أثنى عليه ، و وصفه بالعدل و الصلاح ، والإنصاف ثم أرخ لمدينة تمبوكتو و ما أصابها من دمار وغزو من قبل المغاربة عام 1591 م وقال " ولما أجلاهم القوم و ارتحلوا صارت تمبوكتو جسما بلا روح و انعكس أمرها وتغير حالها ، و تبدلت عوائدها ، و رجع أسفلها أعلاها و أسفلها ، و ساد أرذالها على عظمائها " .

ومن المؤرخين الذي أرخوا للسودان الغربي المؤرخ عبد الرحمن السعدي الذي ألف كتابا عرف بتاريخ السودان و ذكر في مقدمته أسباب تأليفه و قال : "ولما رأيت انقراض ذلك العلم و دروسه ، و ذهاب ديناره و فلوسه ، و أنه كبير الفوائد ، كثير العوائد بما فيه معرفة المرء بأخبار وطنه و أسلافه ، وتواريخهم ووفياهم فاستعنت بالله سبحانه و تعالى في كتب ما رويت من ذكر ملوك السودان أهل سنغاي ، و قصصهم و أخبارهم و سيرهم ، و غزواهم ، وذكر تمبوكتو ، ونشأتها ومن ملكها من الملوك و ذكر بعض العلماء و الصالحين الذين توطنوا فيها و غير ذلك إلى آخر الأحمدية الهاشمية العباسية سلطان مدينة الحمراء مراكش " . وقد أرّخ السعدي للمالك الإسلامية في السودان و نشأة المدن الإسلامية و نبذ عن أخبارها ، وعن الدعاة و القضاة " و أئمة المساجد ث

الحجاز وعند عودته إلى تمبوكتو اشتغل بالتدريس و الإقراء لعلوم الفقه و الحديث و المنطق و تتلمذ عليه كثيرون منهم الشيخ الفقيه أحمد بابا و غيره ، أنظر يحيى بوعزيز ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 197 .

و الخطباء ، وأرّخ للسلاطين الكبار من أسرة الاسقيا محمد الكبير و خلفائه من بعده .

ولقد ترجم السعدي لحوالي مائتي عالم سوداني في كتابه على رأسهم أحمد بابا التومبوكتي .[1]

ومن كتب التاريخ أيضا، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمجهول ، وجاء في الكتاب أخبار باشوات إفريقيا و مآثرهم ، و حروبهم و صراعاتهم مع القادة المغربية[2].

(1) يحيى بوعزيز ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 207 ، 208.

(2) الدالي ، التاريخ ، المرجع السابق ، ص 196 ، 197 .

الفصل الثالث

الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط

والسودان الغربي

أولا : أثر محمد ابن عبد الكريم المغيلي باقليمي توات و السودان الغربي

1- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري و البدني بإقليمي توات و السودان الغربي.

أ- إقليم توات (التسمية و الموقع)

ب- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي في إقليم توات

2- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي بإقليم السودان الغربي

ثانيا : دور الزوايا و الطرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الإسلامية

تمهيـــــد :

لقد ارتبط سلاطين بني زيان بعلاقات ودية مع سلاطين ممالك السودان الغربي (مالي ، سنغاي) ، فكانوا يتبادلون الهدايا و الرسائل ، وكانت العلاقات متصلة عبر الدروب و المسالك الصحراوية ، فكان طلاب السودان الغربي يفدون إلى تلمسان لتلقي العلم في مدارسها المشهورة و معاهدها الدينية التي بذل لها سلاطين بني زيان الكثير من الرعاية و حسن اختيار الأساتذة و العاملين بها [1]

فكان لتلمسان دور كبير في تقديم يد المساعدة و العون للحجيج السودانيين عند مرورهم بها ، وكان بعض أبناء بلاد السودان الغربي يفضل الإقامة و الاستقرار بتلمسان و عدم الرجوع تكسبا للعمل أو الدراسة لاسيما في مسجدها الأعـــظم [2] أو بمدارسها الخمسة التي كانت تشبه جامعات العصر الحديث ، فقد نهل السودانيون منها علوم مختلفة سواء في الشرع أو العلوم العقلية من طب و علوم الطبيعية ، و المنطق و غيرهما وكان لبعض علماء و فقهاء المغرب الأوسط دور في نشر الثقافة العربية الإسلامية ببلاد السودان و كان على رأسهم العلامة الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي كان له الأثر البالغ ليس فقط بتلمسان وتوات و السودان الغربي بل في العالم الإسلامي .

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب الغربي مج 3 مكتبة مدبولي القاهرة ، مصر ، ص 170.

(2) نفس المرجع و الصفحة عينها .

أولا: أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري والديني بإقليم توات والسودان الغربي .

1. أثر محمد عبد الكريم المغيلي بإقليم توات

أ – إقليم توات (التسمية و الموقع)

ذهب البعض أن كلمة " توات " أصل تكروري و تعني وجع الرجل [1]، ويرجع البعض الآخر على أن توات اسم لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين سكان الصحراء ، و الملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ، ومنهم طوائف الطوارق و لمتونه و توات [2] و يرى محمد بن امبارك أن الكلمة أصلها أعجمي أطلقتها قبائل من لمتونة عندما التجأت للإقليم – توات – في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي على المكان بعد أن وجدوا المكان مناسبا و مواتيا فقرروا الاستقرار فيه و سموا هذا المكان بتوات [3] .

وهناك رأي آخر مفاده أن اسم توات جاء من الإتاوات التي كانت تدفع إلى الموحدين بدءا من عام 518 هـ – 1124 م . [4]

ويقع إقليم توات الذي يضم أدرار ، تيميمون ، وعين صالح في جنوب غرب الصحراء الجزائري (المغرب الأوسط) ، ويضم الإقليم عددا من الواحات

---

(1) عبد الرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص 07.

(2) الرصاع (محمد) فهرسة الرصاع ، تونس ، 1967 ، ص 127.

(3) عبد الرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص 07.

(4) أحمد حمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رسالة الماجستير ، 1999 – 2000 جامعة وهران ، ص 6.

والقرى والقصور على شكل هلال ، فهو يقع بين خطي عرضي 26,7 و28,5 درجة شمالا [1] و بين خطي طول 2,30 غربا إلى 1 شرقا و هي امتداد لمنخفض تترروفت [2] و تعد توات قاعدة للانطلاق إلى بلاد السودان [3] .

يجد توات من الناحية الشمالية العرق الغربي الكبير و منطقة تيكورارين [4] وكذا وادي الساورة و عرق الراوي .

وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي ، وفدت على إقليم توات جماعات من عرب المعاقيل[5] فاستغلوا ضعف نفوذ أمراء بن مرين على هذه المناطق فطاب لهم المقام بالمنطقة و ساعدهم على ذلك الخلافات المستمرة بين القبائل

(1) Rouire (L) , le sud-ouest oranais et le touet , in revue de la société de géographie d'Oran 1891 , P 362.. أنظر أيضا
DEVORS (P) ; le touat étude géographique et médicale, archives de l'institut Pasteur T. XXV n° 3-4 Septembre , décembre Alger 1974, P 224. أنظر أيضا فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 01.

(2) هي الصحراء الشاسعة بلغة البربر .

(3) عبد الرحمن بن خلدون ، ج 6 ، ص 72.

(4) تيكورارين ، منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو مائة و عشرين ميلا عن شرق تبيست ، حيث يوجد ما يقارب من خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل ، و سكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم ، اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان و هنا مجمع القوافل ، أنظر حسن الوزان ج 2 المصدر السابق ، ص 133.

(5) دخلوا المغرب برفقه الهلاليين في قلة، و نزلوا المنطقة التي تلي ملوية و رمال تافيلالت و بقي منهم بإفريقية جمع اندمجوا في جملة بني كعب بن سليم، و حيث أنه يمكن القول بامتداد حدود دولة بني عبد الواد من جبال سعيدة ووادي مينة شرقا إلى وادي ملوية و مدينة وجدة غربا وهم ينسبون إلى معقل جدهم ومنه سجير ومحمد ومن سجير ولد عبيد الله و ثعلب ، ومن عبيد الله ذوي عبيد الله ، البطن الكبير ومن ثعلب ، الثعالبة الذين هم بنواحي الجزائر أنظر ، عبد الرحمن بن خلدون ج 6 ، ص 59، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص 159، القلقشندي صبح الأعشى ج5، ص 149 مصطفى أب ضيف أحمد عمر ، القبائل العربية في المغرب ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ، ص 232،231.

التواتية [1] وسرعان ما تمكن هؤلاء العرب الرحلة من بث نفوذهم على الإقليم فلم يجد أمراء بني مرين مفرا من الاعتراف بالأمر الواقع ، فظل إقليم توات مفتوحا أمام الهجرات المختلفة ، فسيطرت عليه أيضا أقلية يهودية يرجع اصلها إلى ما قبل الفتح الإسلامي إذ كانت هذه الهجرات إلى المغرب الأوسط اضطرارية عموما فرارا من موجة تعصب ديني أو من اضطهاد عنصري أو من عواقب عصيان أو تمرد أو مؤامرات ارتكبوها في حق المجتمعات التي استضافتهم قبل الإسلام ، مثلما حدث في ليبيا مع الرومان اثر العصيان الذي دعا إليه إلى خام AKIBA إضافة إلى الاحتكارات التجارية التي كثيرا ما أثارت غضب المجتمعات ضدهم [2] .

ويذكر أن بعض الفارين من يهود يثرب من شبه الجزيرة العربية قد استقروا قبل فتح شمال إفريقيا بهذه المنطقة بما فيها المغرب الأوسط ، وحطوا رحالهم بالجنوب الجزائري بمنطقة قصور توات وورقلة وتقرت و جنات ، و يذكر أيضا أن المئات من العائلات اليهودية التي كانت تشتغل بالتجارة و بمختلف الحرف قد انتقلت مع الفاتحين المسلمين إلى شمال إفريقيا بمحض إرادتها و تحت رعاية عقبة بن نافع الذي يقال أنه استعان بهم في تعمير مدينة القيروان التي كانت أول محطة لهم ، قد عرفت الهجرات اليهودية الجماهيرية تزايدا في الفترة الواقعة ما بين 1391 م – 1491 أي بعد أحداث إشبيلية ثم بعد سقوط غرناطة [3] و استقرارهم بالمدن

(1) فرج محمود فرج المرجع السابق ، ص 06

(2) فوزي سعد الله ، يهود الجزائر، دار الأمة الجزائر 1996 ، ص 39.

(3) نفسه و الصفحة عينها، أنظر أيضا شريب سبيتروفيتش ، حكومة العالم الخفية ، ترجمة مأمون سعيد البليدة الجزائر ، ص

الساحلية و حتى الداخلية و المناطق الصحراوية لاسيما منطقة توات غير أن الجالية اليهودية تعرضت للطرد و الملاحقة بتلمسان مرتين على التوالي سنة 1442 و سنة 1476 ثم بمدينة توات و تمنطيط إحدى أهم المراكز التجارية في شمال الصحراء على يد الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي مع حلول السنوات الأولى من القرن السادس عشر .

و قد عرفت توات وفود على فترات متعاقبة عناصر من البربر و العرب والزنج ، وبعد امتزاج هذه العناصر ، أصبحت تحتكم لعادات و تقاليد و قيم اجتماعية موحدة نابعة من انتمائهم الإسلامي بمقتضى الطبيعة الصحراوية القاسية و التي نستلزم ذلك التآلف الاجتماعي أيضا ، فبنوا الدور وخلقوا لأنفسهم جوا معيشيا على الرغم من قساوة المناخ و استنبطوا المياه الجارية بإبداعهم الغريب قلّ أن نجد ذلك في تلال المغرب " وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها تم تصعد الفعلة و يقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء ، فينبعث صاعدا فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا و يزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء و هذه الغريبة موجودة في قصر توات و تيكورارين وورقلا، [1] وهذا الإبداع الغريب كان يعرف بالفقاقير أو الفقرات .

إن سكان توات " هم أهل عدة وعدد ... فيهم الرحالة و الخيالة و أكثر معاشهم من بلح النخل ، و فيهم التاجر إلى بلد السودان " [2] ومن طباعهم إلى

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، ج 7 ،ص 68 ، 69.

(2) بن خلدون ، العبر ج 7 ، ص 119.

جانب تدينهم الطيبة و كرم الضيافة و هم أهل التقوى و الصلاح ، على الرغم من أن توات أرض جدب و قلة مع بركة و قناعة وأمانة وعافية تتهيأ فيها العبادة والرياضة والزهادة " [1].

لقد خضع إقليم توات للنفوذ المغربي خاصة في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي حينما أرسل حملة عسكرية يقودها كل من محمد بن بركة وأحمد بن الكداد العمري المعقلي لإخضاع إقليم توات و إرغام أهله على دفع الضرائب مرة ثانية لحكومة المخزن ، و يبدو أن الحملة لم تجد أية مقاومة ، بل أحسن استقبالها الشيخ عمرو بن محمد الذي كان شيخا على الإقليم ، مما كان له وقعا حسنا لدى السلطان المغربي ، الذي أصدر موافقة على بقاء الشيخ عمرو بن محمد في منصبه شريطة مواظبته و التزامه بإرسال الضرائب السنوية لحكومة المخزن . [2]

وكانت مدينة تمنطيط [3] عاصمة الإقليم التواتي حيث كانت تمتاز بانتشار عمرانها وكثرة سكانها و مركزها العلمي و الديني ، وقد وصفها ابن الحاج عبد الرحيم بابا حيدة بقوله : ".. فاعلم أن مدينة تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات

---

(1) ابن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تحقيق محمود فرج المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1977 ، ص 1.

(2) المخزن ويعني الحكومة و سلطتها بمصالحها و مظاهر نفوذها في الشرطة و الجيش و رجال الحكم الممثلين لها في الأقاليم، وقد انتقل هذا المصطلح من الأندلس إلى المغرب ، في أواسط القرن الثامن الهجري الخامس عشر الميلادي على عهد بني مرين، أنظر عبد القادر زمامة " كلمات من المغرب الأقصى ، مجلة المجمع العربي بدمشق المجلد 40 أفريل 1965 ج2 ص 428.

(3) تقع في الناحية الجنوبية لقصر تيمي ، و هي تتشكل من خمسة قصور ثلاثة منها عبارة عن حصون متصلة فيما بينها .

اجتمع فيها العلم والعمارة والديانة والرئاسة و انتب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع ... " [1]

فكانت تمنطيط عاصمة لإقليم توات ومقر لقاضي الجماعة فكانت تعرض على قاضيها بعض المنازعات التي كان يتخبط فيها الإقليم حينذاك كالخلافات القبلية التي كانت تدور رحاها بين قبائل أولاد أحمد بمقاطعة تيمي و قبائل أولاد بن عمر و أولاد سلام و أولاد يحيى التي كانت تقطن مدينة تمنطيط . هذه الخلافات غيرت المجرى السياسي للمنطقة ، بانتقال عاصمة الإقليم من مدينة تمنطيط إلى أدرار اكبر مدن مقاطعة تيمي و ذلك في نهاية القرن السابع عشر الميلادي .

ب- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي في إقليم توات :

شهد المغرب الأوسط غداة القرن التاسع الهجري نشاطا فكريا كبيرا ومن بين العلماء الذين ساهموا بقسط وافر في تطور الحركة العلمية و الفكرية كان العلامة الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي [2] و لقد أثر تكوينه الديني ووعيه بالمخاطر التي كانت تحدق بالمغرب الأوسط خاصة و العالم الإسلامي كافة عشية سقوط الأندلس على موافقه من التجاوزات اليهودية بحيث أعطتها صلابة وتشددا، و انتقل المغيلي إلى توات [3] و بالضبط إلى تمنطيط و ذلك سنة 882 هـ فاشتهر بعلمه و قضيته مع يهود توات أزالت الغبار عن مكانته في القرن التاسع الهجري ، فقد اتخذ من تمنطيط مركزا لنشاطه الفكري و منطلقا لنشر

---

(1) بابا حيدة ، المصدر السابق ، ص 13 ، 14.

(2) انظر ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الدراسة .

(3) يقال أن سبب انتقال المغيلي من تلمسان نحو توات هو لما رأى من جور الحكام بتلمسان ، و توليتهم من تتقي شوكته من اليهود و سكوت العلماء شدّ الرحال نحو توات .

الإسلام و تصحيح العقيدة الإسلامية في مناطق عديدة من السودان الغربي فقال فيه صاحب القول البسيط " وهو مشهورا بالعلوم الظاهرة و الولاية الباطنة فهو آية الله في أرضه وحجته في شريعته " [1].

وقد أسس زاويته القادرية بتمنطيط فكان لها صدى عبر مناطق السودان الغربي، و لقد رأى الشيخ المغيلي من يهود توات تجاوزا للحدود الدينية — الشرعية واستعلاء على المسلمين حتى أنهم أكثروا من التعدي و الطغيان و التمرد على الأحكام بتوليه أرباب الشركة أو خدمته السلطان [2] ، كما لاحظ تساهلا وتسامحا من قبل المسلمين مع اليهود حتى كان الواحد منهم يقربهم من نفسه وعياله أو يستعملهم في أعماله بيدهم ما شاء من ماله مع أنه لا دين لهم و لا مروءة ورأى تدهورا أخلاقيا كبيرا للمسلمين مما ساعد اليهود التدخل في إدارة دواليب السلطة وبث نفوذها في كل مكان له حيوية و نشاط يستفاد منه لصالحهم ، حيث اقدموا على بناء الكنائس أو البيع و استعلائهم بذلك عن الإسلام و المسلمين ، وقد رفض، رفضا قاطعا هذا السلوك السلبي للمسلمين تجاه اليهود وهذا الصمت والتعامل العادي معهم الذي يوحي بالرضى و التواطؤ ، فرفع عقيرته مستنكرا على اليهود عملهم هذا بتزعمه تيارا رافضا لهذا الوضع و قيادة حملة عسكرية لطرد اليهود و القضاء على الفساد و الانحطاط الذي أصاب المسلمين وأنهكهم فلقى معارضته أدبية من قبل بعض العلماء و القضاء في توات وعلى رأسهم قاضي توات آنذاك " أبو عبد الله العصنوني مما اضطره إلى الاتصال بعدد من مشاهير العلماء والفقهاء و رجال الدين بتونس و فاس

---

(1) ابن بابا حيدة المصدر السابق ، ص 31.

(2) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 43.

وتلمسان و قد أدى هذا الجدال والنقاش حول هذا الموضوع إلى مساهمته كل من الشيخ السنوسي و محمد بن عبد الجليل التنسي، و الرصاع مفتي تونس و أبو المهدي الماواسي مفتي فاس و ابن زكرى مفتي تلمسان والقاضي أبو زكرياء يحيى بن أبي البركات الغماري و عبد الرحمن بن سبع[1] . وسرعان ما وصله جواب التنسي و معه كلام السنوسي سارع هو و أتباعه إلى ارتداء لباس الحرب.[2] وقصدوا كنائسهم و أمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها ، و ألزم اليهود بالذل و الهوان و لقد قال المغيلي لمناصريه من قتل يهوديا فله علي سبع مثاقيل وجرت يومئذ في ذلك أمور[3]، و طهر توات وتمنطيط نهائيا من اليهود ، و لما ظهرت بعض جيوب المقاومة في أوساطهم طاردهم و لاحقهم حتى تومبوكتو حيث حرض عليهم حكمها وقد كلفته هذه العملية حياة ابنه عبد الجبار المغيلي الذي قتله اليهود أثناء غيابه في مهمته دعوية ببلاد السودان الغربي ، و عندما بلغه خبر مقتل ابنه اشتد غضبه و لم يتحكم في نفسه ، فطلب من سلطان التكرور إلقاء القبض على جماعة من التواتين بكاغو فقبض عليهم السلطان [4] ، و أنكر عليه الفقيه أبو المحاسن محمود بن عمر إساءته إلى هؤلاء الأبرياء إذ لم يفعلوا شيئا فرجع عن ذلك و أمر بإطلاقهم ، و رحل لتوات و استقر بها إلى أن أدركته المنية سنة 909 هـ / 1505 م .

(1) أحمد بابا ، نيل الابتهاج ج 2 ، المصدر السابق ، ص 265.

(2) نفس المصدر و الصفحة عينها .

(3) نفس المصدر ، ص 266.

(4) نفس المصدر و الصفحة عينها .

لقد كان للمغيلي أثر بارز في إقليم توات إذ يعد من بين العلماء الذين أثروا الحركة العلمية و الدينية بالإقليم فقد كانت للمغيلي حلقات علمية كثيرة بمساجد توات و منطقة السودان الغربي و قد تتلمذ على يد العديد من العلماء والفقهاء أشهرهم محمد بن عبد الجبار الفجيجي و إبراهيم عبد الجبار الفجيجي و العاقب بن عبد الله الأنصمني و محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي ، و عمر الشيخ بن أحمد البكاي:

- **عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي** :ولد سنة 865 هـ/1460 م وقد درس في بداية مشواره على يد والده ثم ارتحل إلى بلاد المغرب و منها إلى مصر ثم إلى بلاد الشام و زار البقاع المقدسة ليعود بعد ذلك إلى بلاد السودان الغربي و التقى بالعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي فلازمه وأخذ بفضائله و تبعه في كل جولاته الداعية إلى نشر الدين الإسلامي وتصحيح العقيدة الإسلامية وقد لازمه في سفره نحو المشرق و التقيا بالعلامة الجليل السيوطي ، و كان لعمر الشيخ دور في إكمال رسالة محمد بن عبد الكريم المغيلي في نشر الطريقة القادرية ببلاد التكرور و التي كانت ترمي إلى الإصلاح و تصحيح العقيدة و تثبيت الدين الإسلامي .

- **محمد بن عبد الجبار الفجيجي** : وهو عالم متصوف أخذ عن والده عبد الجبار علوم الحديث و عن علماء منطقة فجيج الفقيه اشتهر بالشعر ، و أسس زاوية في بلده فجيج و مسجدا كما بنى بيتا للفقراء و لمريدي [1] التصوف ينفق عليهم ويمونهم وكان قد باع جميع ماله من الأرض وأنفقها على المريدين

[1] ابن مريم البستاني ، المصدر السابق ، ص 287.

الذاكرين الله على الدوام [1] ، وقد ارتحل إلى تلمسان لطلب العلم فأخذ بها عن الشيخ ابن مرزوق الكفيف ، وعند وصوله إلى فاس التقى بمحمد بن عبد الكريم المغيلي حيث لازمه طوال وجوده بها ، فأخذ عنه التصوف وكثير من علوم الحديث والفقه والمنطق ، توفي سنة 950 هـ /1543م . [2]

– **إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي** : هو أكبر أبناء الشيخ عبد الجبار وأغزرهم علما قرأ على أبيه و عند انتقاله إلى فاس أخذ عن شيخ الجماعة الإمام بن غازي ، ثم ارتحل إلى تلمسان فأخذ بها عن الإمام السنوسي ثم ارتحل إلى المشرق وأخذ عن السيوطي و بعد عودته اشتغل بالتدريس بفجيج ثم ارتحل نحو السودان الغربي و في طريقه مر بتوات فالتقى بالمغيلي فأخذ عنه السياسة الشرعية والمنطق و الحديث والعقيدة ، و تأثر بمبادئ المغيلي و آرائه المعادية لعلماء السوء الذين باعوا دينهم واقتنع بوجهات نظر المغيلي بضرورة نصح الحكام و أولي الأمر للعودة إلى الطريق الصحيحة و كان قد سافر مع المغيلي نحو بلاد السودان لنشر الثقافة العربية الإسلامية و تصحيح العقيدة .

– **الشيخ العاقب بن عبد الله الانصمني المسوفي**: وهو من أهل أقدز ، أخذ عن المغيلي علم التوحيد و المنطق و اللغة العربية و أخذ عن الإمام السيوطي لما حج وغيرهما [3] قال عنه أحمد بابا " فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذهن وقاد الخاطر مشتغل بالعلم ، في لسانه حدة له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل : وخصصت نية الحالف حسن مفيدا جدا ، اختصرته مع كلام غيره في

(1) نفس المصدر و الصفحة عينها .

(2) نفس المصدر ، ص 288.

(3) أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، مج 1 ، ص 399.

جزء سميته تنبيه الواقف على تحرير و خصصت نية الحالف ، و له جزء في وجوب الجمعة بقرية **أنصمن**، خالف غيره من شيوخ بلده و أرسلوه لعلماء مصر فصوبوه والجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود ، و أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير أجاب فيها السلطان أسقي الحاج محمد و غيرهما ووقع له منازعة مع الحافظ مخلوف البلبالي (1) في مسائل " (2).

وكان ملازما للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي طوال وجوده بالسودان الغربي، حيث تأثر به .

– **محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي** : اشتهر بأبد حمد ، بهمزة مفتوحة ثم باء ساكنة ثم دال مفتوحة بعدها ، ومعناه بلغتهم " أبركان" كان فقيها عالما علامة محققا فهامة محدثا متفننا رحلة شهيرا محصلا نافذا جيد الخط و الفهم حسن الإدراك كثير المنازعة ، درس ببلده على جدي الحاج احمد بن عمر ، ثم رحل إلى تكدة (3) فلقى بها المغيلي و حضر دروسه ، ثم ارتحل إلى المشرق صحبة الفقيه محمود فلقى شيخ الإسلام زكرياء، و القلقشندي وابن الشريف وعبد الحق السنباطي في جماعة فأخذ عنهم علم الحديث ، و سمع وروى وحصل و دأب حتى تميز في فنونه و صار في أعداد المحدثين (4) و لقي الشمس اللقاني والناصر أخاه وحضر دروسهما و تصاحب مع أحمد بن عبد الحق

(1) هو مخلوف بن علي بن صالح البلبالي ، هو فقيه حافظ ، اشتغل بالعلم على كبر ، فأول من أخذ عنه الشيخ الصالح عبد الله بن عمر بن محمد آقيت ببلاد ولاتن، و أخذ عن ابن غازي ، و قيل إنّه يحفظ صحيح البخاري ، رحل إلى السودان الغربي (ككيو ، وكشن) و جرى له هناك نوازل و أبحاث مع الفقيه العاقب توفي 940 هـ ، انظر نيل الابتهاج مج 2 ، ص 304،305.

(2) نفس المصدر و الصفحة عينها .

(3) تكدة : تقع بمملكته أهير شمال أقدز أنظر اتفاق الميسور ، المصدر السابق ، ص 74.

(4) نيل الابتهاج ، مج 2 ، ص 278، 279.

السنباطي و أجازه من أهل مكة أبو البركات النويري ، و بن عمه عبد القادر وعلي بن ناصر الحجازي، وعند عودته استقر **بكشن** بالسودان الغربي وولي قضائها إلى أن توفي في حدود نست وثلاثين و تسعمائة .

1- أثر محمد بن عبد الكريم الفكري و الديني بإقليم ال سودان الغربي:

رحل الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى بلاد السودان الغربي ليعمل على تصحيح العقيدة الإسلامية الذي أخذ الفساد يدب فيها و ليصبح أحد أهم الروابط الثقافية و الفكرية التي ربطت المغرب الأوسط بالسودان الغربي عن طريق منطقة توات ، فمنذ القرن الخامس عشر ميلادي أصبح هذا الإقليم مركزا هاما لنشر الفكر و الثقافة الإسلامية بالمدن السودانية القريبة من الأطراف الجنوبية للصحراء. وكان قد سبق المغيلي هذه الديار فقهاء وعلماء من بينهم الشيخ الفقيه أبو الأنوار ابن عبد الكريم التنلاني الذي استمر فترة طويلة يعمل في الاقتناء والتدريس بمدينة تومبوكتو، والشيخ بن سعيد البكري و الشيخ محمد بن أحمد ، دون أن ننسى التجار الذين كان أكثرهم من الفقهاء و العلماء [1]. وعند الوصول المغيلي إلى هذه الديار رأى بأن فهم الناس لأحكام الدين الإسلامي تطبع عليه البساطة ، مما أشاع ظاهرة الشعوذة التي كان من وراءها أناس ادعوا الفهم الصحيح لديننا الحنيف ، وأول منطقة حل ها المغيلي منطقة " أهير " مارا "بتدمكت" التي كانت لا تزال في أيام علي ازدهار ملحوظ، ومنها انتقل إلي "كشين" ، أو " كانو" التي بقي ها للقضاء و الاقتداء ، و التدريس وتزوج وأنجب ثلاثة أبناء هم: أحمد ، وعيسى و السيد الأبيض ، فتوطدت الصلة بينه

[1] عبد القادر زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 148.

الصلة بينه وبين ملك "**كانو** " "**محمد زنقا بن يعقوب**" الذي قربه إليه ، واستأنس به ، وكان قد طلب من المغيلي أن يكتب له وصية في شؤون الدولة فكتبها له، فجاء في هذه الوصية الأحكام الشرعية لتنظيم شؤون الدولة وقد عنونها بـــ " **فيها يجوز للحاكم**" وتشبه هذه الوصية في إيجازها وشمولها وصية سيدنا عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري في شؤون القضاء و تشبيه في إيجازها وصية حسن البصري لعمر بن عبد العزيز في وصف الإمام العادل .

ولقد كتب المغيلي لسلطان " كانو" مجموعة أخرى في شؤون الإمارة و تنظيم الدولة و كان قد عنونها المغيلي بـــ " ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة " قسمها إلى ثمانية أبواب جاء الباب الأول فيها يجب على الأمير من حسن النية للإمارة أما الباب الثاني فجاء فيها يجب على الأمير من حسن الهيئة ، وجاء الباب الثالث فيها يجب على الأمير من ترتيب مملكته، و الباب الرابع جاء فيه فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر و السفر ، أما الباب الخامس فجاء فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور وجاء الباب السادس فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام ، وجاء في الباب السابع في مجيء الأموال من وجوه الحلال وجاء في الباب الثامن و الأخير في مصارف أموال الله [1].

وكان قد وصل الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي إلى "كاغو" عاصمته مملكة سنغاي عام 1502 [2] بسلطانها الحاج الكبير الذي كان يسعى بجد لإصلاح شؤون إمارته وتصحيح فهم الناس الأحكام الدين الإسلامي ، فقدم له سبع

---

(1) مبروك المقدم ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، ج1 المرجع السابق ص 252 – 268، انظر أيضامبروك مقدم أجوبة المغيلي ،ج 2 ، 2002ص 49ـــ 50.

(2) البستان ، المصدر السابق ، ص 182 ، أنظر أيضا يحيى بوعزيز ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ، المرجع السابق ، ص 97.

أسئلة موسعة ذات فروع متعددة ، استفتى فيها المغيلي تألمه الشديد من كون علماء بلاده لا يفقهون من الدين الإسلامي إلا بعض الأحكام البسيطة وفهمهم كان في الغالب سقيما [1] فلقد احتوت أسئلة الأسقية السبع [2] على تعاليم إسلامية قويمة منها نبذ المشعوذين و إبعاد علماء الهوى عن بلاط المملكة ، وعكست هذه الأسئلة الوضع الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي بمملكة سنغاي .

ونستنتج من هذه الأسئلة أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري و الديني بإقليم السودان الغربي ، وكان المغيلي بذلك من أهم الفقهاء الذين عملوا على تصحيح العقيدة في إقليم السودان الغربي وما امتداد جهوده إليه إلا دليل على المكانة الحضارية و الثقافية للمنطقة وعلى علاقتها المتينة مع المغرب الأوسط ، فأصبح وفود الفقهاء و العلماء إلى السودان الغربي ، و التحاق الكثير منهم بالملوك والأمراء عاملا في تقديم الخبرة و الثقافة إليهم ، وتحبيب الدين الإسلامي الصحيح إلى نفوسهم ، ومن أهم الوافدين على السودان الغربي من المغرب الأوسط عامة و إقليم توات خاصة:

- أبو يحيى بن محمد المنياري الذي اشتهر بالعدل و الإصلاح [3] .
- الحاج عبد الرحيم الأول صاحب شهرة معروفة بالإقليم وكان مقصدا للضعفاء و الأعيان على السواء .

---

(1) زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 159.

(2) للاطلاع على ما جاء في أسئلة الاسقيا ، أنظر محمد بن عبد الكريم المغيلي ، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي تقديم و تحقيق عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر1974 ، انظر أيضا مقدم ، أجوبة ،المرجع السابق ، ص50 ومابعدها.

(3) محمد بن بابا حيدة، القول البسيط ، المصدر السابق ، ص 30 .

- محمد بن أحمد المعروف بباب حيدة الذي كان مشهورا بالعلم والولاية ، وله تأليف عديدة نظما ونثرا [1] .

2- تأثير المغرب الأوسط في الفن و العمارة للسودان الغربي:

أ- الجانب الفني و المعماري :

عرف عن الحركة الفنية في عهد الاسيقيين ، أنها كانت على درجة من الحذق والمهارة خاصة الموسيقى و الرقص و الغناء و النقش و النحت فقد أشار الحسن الوزان بأنه شاهد بنفسه في بلاد السودان الغربي أن سكان الأحياء المختلفة يبيتون في غناء و رقص حتى مطلع الفجر خاصة في الأعياد و المناسبات كما أشار أيضا السعدي أنه أثناء خروج الجيش فإن ضربات الطبول كانت لا تتوقف حتى وهو في المعركة ، و آلات الطرب كانت موجودة حين ذاك ، كانت الطبول بأنواعها الكبيرة التي يستعملها الحرس الملكي بالجيش ، الصغيرة التي يستعملها الناس عامة، كما كانت توجد الأبواق المصنوعة من قرون الأبقار وأنياب الفيلة ، بالإضافة إلى المزامير المصنوعة من قصبات اليراع ، وقد عرف عن السودانيين أنهم كانوا يشتركون بشكل جماعي في الرقص ، ويسيرون على ضربات الطبول. و فيما يخص الفنون التشكيلية من نحت و نقش باستثناء ما اتصل بفن العمارة لم يكن لها وجود يستحق الذكر بالسودان الغربي .

ومن التأثيرات الإسلامية على المنطقة كان في فن العمارة ، فإن بناء المساجد فن عربي إسلامي قائم بذاته و هو دليل دخول الإسلام إلى المناطق الموجودة بها تلك المساجد ، وكما كان للإسلام البادرة السودانية الكبرى الواقعة على طريق

---

[1] نفسه ، ص 31.

القوافل التجارية فقد كان للمغرب الأوسط في إدخال طابع خاص في بناءها باستخدام الأجر لأول مرة . فأصبح لكل مدينة مسجدها الكبير [1] .

لإضافة كانت الأجور المحيطة بالمسجد تماما كتلك الموجودة في بلاد المغرب الأوسط عامة ، من ذلك بناء و تنظيم المخازن و المتاجر و الحوانيت خول المسجد، والتي كانت تبيع العطور والكتب و أبنية الصناعة و التجارة [2].

ومن تأثير المغرب الأوسط أنه خصص في كل مترل جناح خاص للضيوف، وقد ذكر أن قصر ملك بغانة كان محصنا ومبنيا بالطوب المشوي و له نوافذ زجاجية وبداخله نقوش و تزيينات، وكان الملوك و النبلاء ويستقدمون البناءين من المغرب الأوسط ليقيموا لهم البيوت و القصور على الطراز العربي المغربي الذي كان سائدا في أول الأمر في القسم العربي من مدينة كومبي صالح [3] وكانت في بداية القرن الرابع عشر بداية ظهور الفن المعماري المغربي حين بنى المهندس الشاعر أبو إسحاق إبراهيم الساحلي في تومبوكتو كثيرا من المباني المساجد والقصور ، وكان المسجد الذي بناه عرف بــ " جينكري بيري" Djinguerber أي المسجد الكبير [4] .

لقد انتقل الفن المعماري المغربي الأندلسي إلي اغلب مدن المغرب الأوسط فأصبحت المدن الثلاثة تومبوكتو و جني و غاو أشبه ما يكون بالمدن المغربية ، كبناء المخازن البضائع في أسفل دور السكن التي كانت تتسم بالسطوح العليا والأبواب الضخمة و هذه هي المظاهر الأساسية في مدن المغرب الأوسط ، و قد

(1) فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 114.
(2) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 145.
(3) نفسه ، ص 146.
(4) Didier Williams Op cit P 90.

عرفت هذه المدن أيضا القصور الشامخة و الدور الرفيعة و المدارس الأنيقة والمساجد الفسيحة المزخرفة [1].

وفي القرن الخامس عشر قام المعماري السوداني محمد فادي الذي أخذ عن المهندسين المغاربة فن البناء المسمى بالطراز المغربي الأندلسي أو المتمثل في الشكل المربع المسقوف بالتراب ، و المحاطة جوانبه من الأعلى بإطار قليل الارتفاع وكثير ما تتخلله ثقب صغيرة ، وكان خاصة بالمساجد و دور السادة في بداية الأمر ثم عما استعماله لدى الجميع بعدما كان الفن المعماري السوداني القديم الذي كان يتسم بقاعة مستديرة وحائط مستدير مسقوف بالتبن أو القش و المحاط كذلك بحوش دائري ، وقد عرف بعد ذلك الشكل الهرمي الذي استعمل خاصة في بناء المساجد لاسيما في عهد الأسيقيين .

لقد احتفظ المغرب الأوسط بحكم علاقاته القوية بالسودان الغربي .

ثانيا : دور الزوايا والطرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الإسلامية.

* الطرق الصوفية .

إذا كان انتشار الطرق الصوفية [2] في المغرب الأوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي دليل على ضعف و تساهل الحكومة في بسط نفوذها

---

(1) عبد الرحمان الجلالي ، المرجع السابق ، ص 251.

(2) الصوفية مأخوذة من التصوف وهو التخلق بالأخلاق الإلهية ، بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا ، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ، و باطنها فيرى حكمها من الباطن في الظاهر ، و هو مذهب كله جد يقوم على عشرة أركان أولها تجريد التوحيد ، ثم فهم السماع ، و حسن العشرة ، و إيثار الإيثار، و ترك الاختيار و سرعة

على الأمة مباشرة و على تقصير علمائه في إحياء كتاب الله [1] فإن في السودان الغربي كان لها دور كبير في نشر الإسلام و القضاء على المعتقدات الشائعة كعادة وأد الأطفال[2] و الكهانة [3]، و السحر و الشعوذة و قراءة الأثر و ضرب الرمل واستحضار الأشياء ، فقد عملت هذه الطرق على تعليم عامة الشعب خصائص الإسلام الذاتية من سهولة و سير و فطرة [4].

1. الطريقــة القادريــة:

ومن بين الطرق الصوفية انتشارا في السودان الغربي ، الطريقة القادرية التي أسسها سيدي عبد القادر الجيلاني [5] في العراق ثم انتقلت إلى وسط إفريقيا في القرن الخامس عشر ، ويعد الشيخ عمر بن الشيخ أحمد البكائي أول من أوصل هذه الطريقة إلى الأطراف الشمالية للسودان الغربي [6] حيث أقبل الكثير من السودانيين على الانضمام إليها ، و ذلك راجع لنشاط دعاتها الذين حرصوا على

الوجد ، والكشف عن الخواطر ، و كثرة الأسفار ، و ترك الاكتساب ، و التحريم الادخار انظر عبد المنعم الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسرة بيروت ط 1 ، 1980 م ،ص 45.

(1) علي عبد القادر حلمي ، مدينة الجزائر ، نشأتها و تطورها قبل 1830 الجزائر 1972 ، ص 271 .

(2) كانت عادة و أد الأطفال منتشرة في المجتمع الإفريقي و ذلك لعدة أسباب فقد يوأد الطفل لأنه ولد بقدميه بدلا من رأسه أو لأنه ولد وأحد كيفية ينقص أو يزيد إصبعا عن الأخرى .

(3) وهي من العادات التي كانت شائعة في إفريقيا ، و يرجع ذلك في أصله و أساسه إلى محاولة الإفريقيين تفسير الغوامض وتحليل الظواهر المحيطة بهم ، أنظر عبد الرحمن عمر الماحي ، الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 14 .

(4) إبراهيم علي طرخان ، إمبراطورية البرنو الإسلامية القاهرة 1975 ، ص 74.

(5) هو عبد القادر الجيلاني ولد سنة 471 هـ و توفي سنة 561 هـ ، 1079-1166 م عاش ببغداد حيث اتصل بشيوخ التصوف و أخذ عنهم و برع في أساليب الوعظ و الإرشاد و تصدر للتدريس و الإفتاء في بغداد سنة 528 هـ ، انظر إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983، ص 221، انظر أيضا عمار الهلال ، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا ، الجزائر ، 1988 ، ص 109.

(6) نعيم قداح ، حضارة الإسلام و حضارة أوروبا في إفريقيا الغربية دمشق 1465 ، ص 118.

نشر الدين والعلم معا، بإنشائهم الكثير من المدارس و المراكز في ولاتة ثم تومبوكتو التي كانت في هذه الفترة قد وصلت أوج قمتها الثقافية والاقتصادية والعمرانية ، [1] مما ساعد كثير من الدعاة العرب على نشر هذه الطريقة الصوفية و ممارسة نشاطاتهم الأخرى الدينية و الثقافية و تشجع و تحفيز الطلبة للاستزادة في العلم والترحال من أجل طلبه إلى شمال إفريقيا ،كالقيروان ، فاس ، وتلمسان وتوات والقاهرة . و تعد الطريقة القادرية هي أقوى الطرق الدينية في الصحراء و أكثرها توغلا في السودان الغربي [2] و أوفرها نجاحا في نشر الإسلام [3] بين الوثنيين ، ولقد عمدت هذه الطريقة استخدام وسائل الترغيب رغبة في نشر الدين ابتغاء مرضاة الله و حسن الثواب في الآخر و هداية الناس ، فبدأت بتأسيس منارة العبادة و التعليم من مساجد و مدارس و حتى عن طريق المصاهرة مه أهالي البلد أو بشراء العبيد لتعليمهم مبادئ الدين الحنيف ، ثم عتقهم ، ونشر مبدأ الحرية و الإخاء والعدل والمساواة ، إذ أن الزنجي لا يحبذ أن يعامله إخوانه في الإسلام بالنظر إلى لونه على أنه من طبقة دنيا نسبه إليهم [4] .

ولقد اتسعت خريطة انتشار الطريقة القادرية في بلاد السودان على يد الشيخ الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي و عنه أخذ الطريقة الشيخ سيدي أعمر بن

---

[1] عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 110 ، أرنولد توماس ، الدعوة إلى الإسلام تر / حسن إبراهيم حسن ، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة مصر 1957 ، ص 365 .

[2] فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977 ، ص 110.

[3] عن دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في السودان أنظر إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 221 ، وعمار هلال المرجع السابق ، ص 112، 114.

[4] حسن إبراهيم حسين ، انتشار الإسلام و العربية فيما يلي الصحراء الكبرى ط 3 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1983 ، ص 16 ، 17.

الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي أحمد الكنتي (959 هـ /1552 م) وأصبحت تسمى بالبكائية و هي جزء من الطريقة القادرية و بلغت البكائية أوج مجدها مع ظهور الشيخ سيدي مختار الكنتي المتوفى سنة 1226 هـ /1821 والتي عرفت انتشارا واسعا جنوب بلاد شنقيط (موريتانيا) إلى السنغال و السودان وغينيا.

لقد نجحت الطريقة القادرية بانضمام ملوك و أمراء السودان الغربي إليها و الذين اتخذوا من مقدمي الطريقة القادرية مستشارين لهم فاستفادوا من خبراتهم وثقافتهم مما سهل على الطريقة القادرية الانتشار أكثر في بلاد السودان الغربي إذ وصلت كنكاء و تمبو بجبال فوتاجالون ، و مسرد و بلاد الماندينغ و موطنهم على نهر جميمي في غينيا .

و لقد لعب إقليم توات دورا أساسيا سوء في نشر الطريقة القادرية أوفي استقبال السودانيين الذين قدموا لإتمام دراستهم بالمدارس التواتية ، حتى إذا ما أتموا دراستهم الدينية عادوا إلى أوطانهم مزودين بالعلم و الدين للعمل على نشر العقيدة الإسلامية بين مواطنيهم، ولقد أسس التواتيون بالسودان الغربي مراكز دينية بمختلف المدن السودانية تقوم على نشر الطريقة الصوفية التي كانت تدعو إلى حب الجار والتسامح و الإرشاد و غيرهما من الصفحات الكريمة التي يتميز بها المسلم المتصوف[1] .

(1) أرنولد توماس ، المرجع السابق ، ص 366.

وبعد أن توطدت أركان القادرية في الجزء الغربي من إفريقيا السوداء أخذت طريقها نحو المناطق الأخرى للقارة عبر الطرق التجارية التي كانت تسلكها القوافل التجارية من تومبوكتو إلى دار فور و قردفان و الخرطوم . [1]

2. الطريقة الشاذلية [2]

يعود تأسيس هذه الصوفية إلى أبي القاسم الجنيدى الذي تأثر به الشيخ شعيب أبو مدين الأندلسي ، الذي كانت له شهرة كبيرة ، إذ انتشر صيته خلال القرن 12 م في كافة العواصم الإسلامية ، و قد تتلمذ على يد الشيخ المغربي عبد السلام بن مشيش [3] ، ويعود الفضل إلى هؤلاء الثلاثة في ظهور الطريقة الشاذلية التي ظهرت في صيغتين متباينتين :

أ- **الناصريــة** : و تربط في سندها و تصوراتها بالشيخ محمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة 1036 هـ / 1626 م ، و قد تم نقلها إلى هذه المنطقة عن طريق جماعة من العلماء مثل سيدي عثمان بن سيدي عمر الولي المحجوبي المتوفى سنة 1132 هـ/ 1719 م ، وسيدي عبد الله التنواجيوي المتوفى سنة 1145 هـ / 1732 م ، والحاج أبي بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوي المتوفى سنة

(1) نعيم قداح ، حضارة ، المرجع السابق ، ص 94-95.

(2) تنسب هذه الطريقة إلى أبي الحسن علي بن عطاء الله بن عبد الجبار الشاذلي الملقب بتقي الدين المولود سنة 593 هـ / 1196 م توفي سنة 656 هـ / 1258 م و تتلمذ الشاذلي على يد أبي محمد عبد السلام بم مشيش الذي بدوره تتلمذ على يد الشيخ أبي مدين . ويختلف المؤرخون حول مكان ولادته فهناك من يرجعها إلى مدينة الشاذلية القريبة من جبل زفران بتونس و هناك من يذهب أنه ولد في قرية غمارة قرب سبته المغربية .انظر عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 100، إسماعيل العربي ، المرجع السابق ن ص 222، انظر محمد الظريف ، الحركة الصوفية و أثرها في أدب الصحراء المغربية 1800-1956 ، جامعة الحسن الثاني ، المحمدية ، المغرب ص 181.

(3) محمد الظريف ، المرجع السابق ، ص 181.

1146 هـ /1733 م و الطالب محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد المتوفى سنة 1165 هـ /1751 م و غيرهم . (1)

وكانت هذه الطريقة أقوى نفوذا و أوسع انتشارا من غيرها و ذلك بساطتها ، وانسجام مبادئها مع ميول على تبسيط المعارف و العلوم و تقريبها للأذهان ، وتتحاشى الخوض في الخلافات المذهبية الضيقة و الإغراق في تأويل النصوص ، لذلك أقبل عليها أهل الصحراء و تنافسوا في أخذ أورادها و أذكارها و تعاليم شيوخها ومن أبرز مراكزها:

- مركز أدرار و يمثله مجموعة من الشيوخ مثل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم المتوفى سنة 1232 هـ /1816 م ، و الطالب أحمد بن طوير الجنة المتوفى سنة 1265 هـ /1848 م و غيرهما .
- مركز الترارزة و تمثله أسرة حمدي بن مختار بن الطالب أجويد المتوفى سنة 1220 هـ /1805 م ، وقد امتد تأثير الناصرية عن طريق هذا المركز إلى الكثير من القبائل المجاورة مثل أولاد بيمان ، و تاشدبيت وغيرهما.
- مركز تندغة و قد عرف هذه الطريقة عن طريق محمد فال بن متالي المتوفى سنة 1287 هـ/1870 م، وقد ساهم هذا المركز في نشر التعاليم الناصرية في مختلف المناطق المجاورة له . (2)

ب- **الغظفيــــة:**

(1) محمد الظريف ، المرجع السابق ، ص 182.

(2) الخليل النحوي ، بلاد شنقيط المنارة .. و الرباط ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم تونس 1987 ص 122 ، محمد الظريف ، المرجع السابق ، ص 182.

و تنسب إلى الشيخ محمد الاغظف الداودي الجعفري المتوفى سنة 1277 هـ /1860 م وقد ظهرت بأوجفت بمنطقة أدرار وهي مزيج من القادرية والشاذلية وتتميز هذه الطريقة بالتقشف و الانغلاق،و الرقص و الجذب ، إذ تصدر عن اتباع هذه الجماعة شطحات غريبة خلال اجتماعهم للذكر ويأخذهم الجذب و الرقص، فتتعالى أصواتهم بالتهليل و التكبير . [1]

وهناك طرق أخرى تفرعت عن الشاذلية و انتشرت بالمغرب لتأخذ طريقها بعد ذلك إلى السودان الغربي و نذكر منها الرازية [2] و الغازية [3] و غيرهما من الطرق الصوفية الأخرى .

ولقد انتشرت الطريقة الشاذلية كطريقة صوفية في المغرب الأقصى خلال القرن الخامس عشر الميلادي على يد أبي عبد الله محمد سليمان الجزولي [4] ، صاحب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ، ينتمي إلى قبيلة جزولة البربرية ألف كتابه المذكور بمدينة فاس و يقال أنه جمعه من كتب خزانة ، جامع القرويين [5] .

---

(1) محمد الظريف ، المرجع السابق ، 182.

(2) الرازية : ظهرت نحو 1526 م في وادي الدرع بالمغرب الأقصى و مؤسسها الشيخ الرازي بن أبي القاسم أو أبي الحسن القاسم الرازي .

(3) نسبة إلى أبي الحسن القاسم الغازي ، الذي أنشأ زاوية هامة في وادي الدرع .

(4) هو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر سليمان الجزولي السملالي بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف ، ينتسب إلى الإمام علي كرّم الله وجهه ، ولد في دمشق في سوس سنة 807 هـ / 1404.

(5) حسن جلاب ، محمد بن سليمان الجزولي ، مقاربة تحليلية لكتاب الصوفية مراكش المغرب ، ص 18.

أخذ الجزولي بالأزهر عن شيخه علي عبد العزيز العجمي الفقه و لما رجع إلى فاس التقى بالإمام أحمد رزوق الذي كان سببا في توجيهه و إرساله إلى الشريف أبي عبد الله محمد بن أغمار الذي أرشده إلى الطريقة الشاذلية .

تأثر الجزولي أيما تأثير بالطريقة الشاذلية التي وجد فيها منفذا روحيا بشدة إلى آن يتوغل في معرفة الحقائق الباطنية لا الظاهرية عن المتصوفة الآخذين بشعار : لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ، لكم القشر و لنا اللباب ، لكم الفقه العقلي ولنا الذوق الروحي ... " [1] لقد انتقل الجزولي من فاس إلى آسفي لنشر طريقته الجزولية ثم نحو المناطق الصحراوية تم تأسيسه العشرات من الزوايا [2] التي عملت على تحقيق أهداف سامية من إرشاد ديني و إصلاح اجتماعي وتوجيه ثقافي .

نستنتج من هذا كله أن الطرق الصوفية بفروعها أدت أدوارا جسيمة منهـــــا:

1. تحفيظ القرآن الكريم للطلبة الصغار و الكبار عبر المدن و القرى .
2. اهتمام بتلقين دروس في اللغة العربية و نشر الثقافة الإسلامية فنبغ فقهاء وعلماء كثر .
3. عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأقطار البعيدة عبر الإقليم الصحراوية والممالك السودانية الوثنية .

---

[1] حسن بن عمر ، أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي السملالي حياته و آثاره ، رسالة الماجستير ، جامعة تلمسان 2003/2002 ، ص 11.

[2] Auguste (cour) , l'établissement des dynasties des chérifs au MAROC et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger , 1509-1830 , Paris 1904 , p 36.

4. عملت على نشر العدل و المساواة بين أفراد المجتمع السوداني .

5. ساهمت إلى حد كبير في إرشاد حكام الممالك السودانية في كيفية إدارة الحكم وإصلاح حال الرعية .

6. عملت على تقديم المساعدات المادية من خلال الإيواء و المأكل و الملبس والتعليم و رعاية الضعفاء و الأيتام و الفقراء .

* الزوايـــــــا .

كان للزوايا [1] دور مماثل للمدارس و المساجد في نشر التعليم و تثبيت دعائم الإسلام بربوع القارة السمراء، و لقد أنشئت هذه الزوايا من قبل رجال الطرق الصوفية ، و لقد وصلت إلى السودان الغربي عن طريق علماء توات ورجالها الذين اشتهروا بكثرة ترحالهم وكثرة بنائهم للزوايا المتعددة الخدمات فكانت عبارة عن منارة للعبادة و العلم و مراكز لإقامة الطلبة و نزول المسافرين و إيواء الفقراء وأبناء السبيل .

إن خدمات الزوايا و أنظمتها و نشاط رجالها ساعدت كثيرا في انتشار الإسلام في السودان الغربي ، و فتحت الطريق أمامه نحو بقية الوثنيين .

وكان للزوايا التواتية الفضل الكبير في تحقيق التعريب في السودان الغربي و في بث معارفها بين الناس عن طريق بعث الدعاة المسلمين الذين كانوا يجوبون البلاد الإفريقية ومن بين الشيوخ و الفقهاء الدين أسسوا زاوية هناك الفقيه محمد عبد الكريم المغيلي الذي استقر بتوات و الذي اتخذ منها قاعدة لنشر الإسلام والمبادئ الصحيحة بمناطق السودان الغربي و قبائل الهوصا ، و بعد وفاته استمر

[1] الزوايا مأخوذة من فعل انزوى ، ينزوي ، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف و التعبد

التواتيون يغذون هذه المنطقة (السودان الغربي) بالأفكار و الثقافة الإسلامية ، فقد استقر كثير من تجار توات بمدينة تمبوكتو و اسهموا في بناء الزوايا والمساجد (1) .

(1) عباس عبد الله ، الدور الحضاري لإقليم كوات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9و 10 هـ / 15 ، 16 م ، رسالة ماجستير الجزائر 2001/2000 ، ص 125.

الباب الرابع

العلاقات الاقتصادية والتجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان

الفصل الأول

الحياة الاقتصادية و النشاط التجاري بالمغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان

أولا: الحياة الاقتصادية

1- الفلاحــــة

أ - الزراعـــــة

ب- الثروة الحيوانية

2- الصناعـــة

ثانيا : التجارة الداخلية

ثالثا : الموارد المالية

1- الضرائـــب

أ- الضريبة الجمركية ، الزكاة

ب- الجزية ، المكوس .

2- السكــة و النقــود

أولا: الحيـــــاة الاقتصاديـــــة .

لقد اعتمدت الدولة الزيانية في اقتصادها على الزراعة و الصناعة والتجارية الداخلية و الخارجية و الثروة الحيوانية، و لقد اعتنت الدولة بهذه الأمور و أولتها اهتمام خاص. وإنتاج الإمارة الزيانية وفير؛ واتسمت بقلة سكانها و كانت همزة وصل بين أوربا و إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي) [1] فكانت الدولة الزيانية تجني دخلا كبيرا من جراء حركة التصدير والاستيراد .

ولقد اعتنت الدولة الزيانية بالصناعات التقليدية من معدنية وحيوانية وصناعة السفن ...

1- الفلاحـــــة :

أ- الزراعـــــة .

كان النشاط الفلاحي بدولة بني زيان هو العمود الفقري لاقتصادها فكانت تحترف هذا النشاط نسبة كبيرة جدا من سكان القرى و المدن ، ويقول صاحب الاستبصار [2] عن البلاد الزيانية " و للمغرب الأوسط مدن كثيرة وهي كثيرة الخصب و الزرع كثيرة الغنم و الماشية طيبة المراعي ... "

---

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق، ص 175.

(2) الاستبصار ص 179.

وكانت أهم مناطقها المنتجة للحبوب سهل متيجة برشك، تنس [1] مستغانم ، وهران [2] ، ارشكول [3] ، هنين مليانة، تاهرت، مازونة، ندرومة، وتلمسان، سهل واد شلف، سهل تاسالة [4].

والمنتجات الفلاحية في هذه المناطق متنوعة بعض الشيء وليست مقتصرة على الحنطة والشعير فقط ، بل يشمل النشاط الزراعي ،زراعة الحبوب من قمـــح ، وذرة ، وأنواع الخضر والفواكه. أما القمح والشعير فهو الغالب على تلك الأنواع كلها و كانت تنتجها سهول المغرب الأوسط خاصة المناطق الساحلية والهضاب من واد ملوية إلى وادي يسر [5] حيث الخصوبة والغيث والأودية الجارية بالمياه ،كوادي شلف ومنية [6] ومن بين المنتجات الزراعية الأخرى الزيتون والتين والرمان ومن الفواكه والخضر التي كان سكان تلمسان يعرفونها ويزرعونها ببساتينهم الفول ،الكرنب والخس واللفت والفقوس والخيار والبطيخ والأجاص [7] وقد أشار الوزان إلى ذلك " وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدنيون بسكناها في الصيف ،حيث الكروم المعروشة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون ، طيبة المذاق جدا ، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى ، والتين الشديد الحلاوة ،أسود غليظ

(1) مارمول ، إفريقيا المصدر السابق، مج 2 ص 354.

(2) مارمول ص 329 ، الاستبصار 134.

(3) مارمول ص 297.

(4) بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993 ،ص 211، 212.

(5) Dhina (Atallah) , les états de l'occident musulman au XIII , XIV et XV siècles , O.P.U Alger 1984 . P 336.

(6) Ibid , P 338.

(7) الدراجي مرجع سابق ص 212

طويل جدا، يجفف ليأكل في الشتاء والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة [1] .

أما التمور فقد انحصر إنتاجها بنواحي تلمسان و تيكورارين (شمال توات) أما العسل و الشمع اشتهرت بإنتاجهما مدينة الجزائر و تنس و اشتهرت بإنتاج القطن و الكتان برشك ، هنين و مستغانم و ندرومة [2] و الحرير بشرشال [3].

ب- الثروة الحيوانيـــــة :

لقد اهتم سكان البلاد الزيانية بتربية الحيوانات فاهتم سكان المناطق الجبلية بتربية المواشي كتوجين ومغراوة أما قبائل الجنوب فاغلب حيواناقم المعز و الإبل أما تربية الخيل و البغال و الحمير فيبدوا أها كانت تتم في رعاية سكان السهول و الهضاب ، وكان أهل تلمسان و ناحيتها يعتنون كذلك بتربية الخيل و البغال والحمير فهذه الأخيرة كانت تستعمل للركوب و حمل الأثقال و غير ذلك أما الخيل فإنها كانت معدة لركوب الفرسان وهنا يجب علينا أن نميز بين تربية الماشية المستقرة التي تستعمل الحيوان للحاجات المترلية و بين التربية البدوية للماشية التي تتخذ أهمية أكبر بكثير بسبب الأغراض المطلوبة من الحيوان: كالتغذية من لحم وشحم و زبدة وألبان ولتقديم مادة أولية صناعية كالصوف

(1) الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ص20.

(2) بوشامة ،مرجع السابق، ص 396.

(3) حسن الوزان ، وسف إفريقيا ، مج 2 ص 34، انظر إسماعيل العربي ، القارة الإفريقية و الجزارة الأندلس الجزائر 1983 ص 159.158.

والجلد أو لاستخدامه كقوة محركة مثل الحصان والجمل والبغال والحمير لان هذا الحيوان أساس قوام القافلة [1].

فقد ذكر صاحب الاستبصار أن بلاد المغرب الأوسط كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي ،فمن بين مدن المغرب الأوسط التي اشتهرت بذلك ومنها المسيلة التي كانت تكثر بها المواشي والبقر وكانت جزائر بني مزغنة أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم ولأهل شرشال مواشي و أغنام كثيرة و أكثر أموالهم الماشية ومثلها مدينة برشك و كانت مستغانم زكية الزرع و الضرع بل أنها مشتقة من "مشتى غنم". [2]

2- الصناعة :

لقد ظهرت ببلاد المغرب الأوسط صناعات عديدة إذ كانت تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف درجة التطور ، فان صنائع المجتمع البدوي تختلف عنها في المجتمع الحضري فهي تتركز في المجتمع البدوي و الريفي حول توفير الطعام والملبس و الخيام و بعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن للناس ، و يختلف الأمر بالنسبة للمجتمع الآخر أي – المتطور – فقد اشتهر بنشاط و مهارة الصنّاع ، وكانت هناك مراكز صناعية منتشرة عبر أنحاء بلاد المغرب الأوسط ومن بين المدن التي اشتهرت بمنتجاتها الصناعية مدينة مسيلة ، و جزائر بني مزغنة

(1) موريس لومبارد ،الجغرافية التاريخية للعالم الأساسي خلال القرون الأربعة الأولى تر/ عبد الرحمن حميدة دار الفكر دمشق سوريا 1998،ص230

(2) جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10 م) ، د.م. ج الجزائر 1992.

وتلمسان المدينة العظمى المشهورة بالغرب [1] وكان صناعها أناس أقوياء يعيشون في هناء و متعة [2] ، وقد اشتهرت تلمسان بصناعة المنسوجات الصوفية وقد تكلّم عنها الوزان بقوله " و غالب تكسّبهم أي سكان تلمسان الفلاحة وحوك الصوف ، يتغنون في عمل أثوابه الرقاق فتلقى الكساء و البرنوس عندهم من ثماني أواق و الإحرام من خمس وبذلك عرفوا في القديم و الحديث ، ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا و غربا ؛ فقد عرف قماش بالتلمساني وهو صوف خالص أو حرير خالص مختم و غير مختم ومن أنواع الملبوسات التي اشتهرت بها تلمسان الزيانية حسب يحي بن خلدون ثوب المرعز و القهزي والحرير و الملف و الذرايع و العمائم و الاحاريم [3] .

و لم ينحصر هذا النوع من الصنائع مدينة تلمسان بل عرفت بمدن أخرى كشرشال التي تخصصت بالمنسوجات الحريرية و هنين بمنسوجاتها القطنية و لم تقتصر الدولة الزيانية على هذا النوع من الصناعة بل تنوعت الصنائع ، فيذكر أن البلاد الزيانية عرفت صناعات مختلفة لاسيما في عهد أبي حمو موسى الثاني فأشار يحي بن خلدون في بغية الرواد : أن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم و تباين لغاتهم و أديانهم ، فمن : دارق و رماح ، و دراع ولجام ، ووشاء ، و سراج ، و خباء ، و نجار وحداد ، وصائغ ، و دباح ، وغير ذلك ، فستك لأصواتهم و آلاتهم الأسماع ، و تجار في أحكام صنائعهم الأذهان

(1) اليعقوبي ، البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي دار الكتب العلمية ط1 ، بيروت لبنان 2002 ص: 196

(2) الوزان المصدر السابق ج 2 ص 21.

(3) مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر المرجع السابق ص 484.
انظر أيضا بد الرحمان الجيلالي تاريخ الجزائر العام ج 2 ص 245-246.

وتوقف دون بحرهم الهائل الأبصار ، ثم تعرض قومتهم أصلان (هكذا) كل يوم مصنوعاهم فيه بين يدى الخليفة أيده الله و تخزن كل بحجار (هكذا)، صنعة المعدلة ، و يتصف العاملون من أرزاقهم عدلا (هكذا) أبدا" [1] .

ثانيا : التجارة الداخلية.

تقوم الأسواق حيث توجد تجمعات سكانية ، فكان يخصص السكان مكانا يجتمعون فيه للتبادل التجاري و للتزود بما يحتاجونه من بضائع ، ولهذا كان لكل قبيلة أو قبائل متجاورة سوق محلية تجتمع فيه و قد توجد حول كل ماء يقيم حوله الضاربون وفي المحطات التي تقع على الطرق الرئيسية الرابطة بين المدن بالإضافة إلى الأسواق التي تقوم حولها المدن.

وكانت الأسواق تقوم أحيانا في نطاق دائرة أمير يكون قادرا على توفير الأمن والحماية ، وكان غالبا ما يحمل السوق اسم ذلك الأمير ومن هذا سوق حمزة ، و سوق إبراهيم ، و سوق يوسف.

كانت هذه الأسواق تمثل المركز الاقتصادي للمدينة أو للمنطقة فقد كان يتردد عليها مختلف الناس ممن له غاية تجارية للكسب و الشراء [2] . وكان للسوق وظائف أخرى اجتماعية و ثقافية ومن بين الأسواق التي اشتهرت بها مدن المغرب الأوسط أسواق مدينة تلمسان إذ قال عنها البكري أنها قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق " ، و يصف الادريسي مدينة وهران فيذكر أن " بها سوقا مقدرة وتجارات نافقة " و يذكر أنه كان بمستغانم أسواق و حمامات و جنات

[1] بغية الرواد ج 2 ص 161.

[2] جودت عبد الكريم المرجع السابق ص 136.

وبساتين"[1] و يذكر البكري أن مدينة تنس كان بها " أسواق كثيرة و نفس الأمر بالنسبة لجزائر بني مزغنة [2] التي يقول عنها حسن الوزان : " وهي كبيرة جدا تضم نحو أربعة آلاف كانون أسوارها رائعة و متينة جدا مبنية بالحجر الضخم ، فيها دور جميلة و أسواق منسقة كما يجب ، لكل حرفة مكانها الخاص، وفيها كذلك عدد كثير من الفنادق والحمامات ... [3] .

لقد كانت هذه الأسواق همزة وصل بين أسواق أوروبا (العالم المسيحي) وأسواق إفريقيا السوداء ، و التجار بدولة بني زيان هم؛ أما من أصل إسلامي محلي أو من الذميين اليهود أو من المسيحيين و اليهود مواطني الدول الأوروبية وأنشط هؤلاء العناصر كانوا من اليهود الذين كانوا يعيشون بالمغرب الأوسط وقد تكاثر عددهم لاسيما منذ سنة 1391 م (793 —794 هـ) عند اضطهدهم الأسبان[4] و طردوهم وكانوا يشتغلون منذ العصور الوسطى بالتجارة الخارجية ، إلى جانب الحرف اليدوية ، وكان بعضهم ينشط في التجارة البرية فيتنقلون مع القوافل بين مختلف المدن المشهورة بأسواقها[5] ، كما كانوا ينتقلون بين المدن الأوروبية و خاصة ميورقة و برشلونة و بين مدن المغرب الأوسط لممارسة عملية التبادل التجاري ؛ وكانوا يقومون بدور الوساطة بين التجارة المسلمين و الأوروبيين خاصة تجار أرغون [6]، ومن أهم السلع التي كان اليهود يتاجرون بها الأسلحة ، التوابل الحرير و العبيد ، وكانوا يوزعون

---

(1) الادريسي ، المغرب الغربي من كتاب نزهة المشتاق ، حققه محمد حاج صادق 1983 ، ص 128.

(2) البكري ، مصدر سابق ص 61-76.

(3) حسن الوزان ج 2 مصدر سابق ص 37.

(4) فوزي سعد الله يهود مرجع سابق ص 40.

(5) نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب ، القاهرة ، ص 308.

(6) DHINA , Op cit . P 357

بضائعهم في تلمسان ، سجلماسة ، فاس ... ، على التجار المسلمين لتسويقهما ، بالأسواق الأخرى و كان اليهود أكثر التجار عملا بالذهب ، فقد ساهموا في تزويد المدن الأوروبية به كما اشتغلوا في الصرافة ، و اشتهروا بقرض المال مقابل ضمانات وفوائد كبيرة ، وشراء العبيد و بيعهم بأثمان بخسة لبيعهم فيما بعد إلى الدول الأوروبية وغيرها بأثمان أرفع ، فقد نافسوا التجار المسلمين واحتكروا التجارة[1]. و لم تكن اختلاف هؤلاء اليهود حسنة إذ أن الفقهاء قد حرّموا التعامل بالربا لكن اليهود كانوا يلجئون إليه ، دعاهم إلى ذلك ، اختصاصهم وتصريف الأموال و التعامل مع المسلمين بالربح الوفير .

وكان للتجار المسيحيين أيضا دور هام في التجارة ، فكانوا يقيمون بمدن المغرب الإسلامي ، وكان جميعهم يحافظون على جنسياتهم و يتمتعون بالحرية الدينية يعيشون تحت حماية قناصلهم. ولقد عمل هؤلاء المسيحيين بجلب معهم كميات من السلع المختلفة فيبيعونها بأسواق المغرب الأوسط كوهران ، هنين، و تلمسان التي كان بها مراكز القيصرية وفيه تتجمع السلع ويتم عقد الصفقات بين التجار المسلمين و المسيحيين ، أسس هذا المراكز من قبل السلطان أبي حمو موسى الأول فوق مساحة شاسعة و كان تجار الدول الأوروبية كقشتاله ، أراغون ، والبندقية و ميورقة ، يقصدون القيصرية بحثا عن الذهب ، فكانت بين الدولة العبد الوادية و هذه الدول علاقات تجارية حددتها معاهدات منها :[2]

- معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 1286 و المبرمة مع مملكة أراغون.

---

(1) بوخالفة (نور الهدى) ، دولة بني واسول ، المرجع السابق ص 226. انظر أيضا عطاء الله دهينة ، الجزائر في التاريخ المرجع السابق ص 479-480 . انظر أيضا فوزي سعد الله المرجع السابق ص 61.

(2) عطاء الله دهينة ، المرجع السابق، ص 478.

- معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 1339 و المبرمة مع مملكة ميورقة.
- معاهدة بيربينيون وتلمسان المؤرخة في سنة 1362 لمدة خمس سنوات والمبرمة مع مملكة أراغون أيضا [1].

وكانت تتم العمليات التجارية عن طريق المقايضة و البيع و الدين ، ولقد ارتبطت حركة البيع و الشراء بين التجار المسلمين و المسيحيين في دولة بني عبد الواد بالمكوس [2].

ثالثا : المـوارد الماليـة.

لقد كانت الموارد المالية لدولة بني زيان شبيهة بالموارد المالية للدولة الموحدية ، وبالتالي يمكن القول أن النظام المالي الزياني امتداد للنظام المالي الموحدي توارثه سلاطين الدولة بوراثتهم للسلطة و الحكم فمن بين الموارد التي كانت تعتمد عليها الدولة العبد الوادية ، الضرائب بجميع أنواعها و بعض الفوائد التجارية و الغنائم .

(1) لقد تم ابرام هذه المعاهدة التلمسانية يوم 25 جوان 1362م بمدينة بيربينيو Perpignan بين ملك أرغون بطرس لوسيريمون Pierrele céré monieux ، و سفيرين يمثلان أبا حمو موسى الثاني .
انظر 377- 376 هـ ، DHINA ، Op cit.

(2) عبارة عن ضرائب غير شرعية ، تجبى على المصنوعات المحلية و الواردات الأجنبية و على كل ما يبـاع ويشترى ، فوضعت على الحوانيت و الأسواق ، وكانت قيمة المكس تختلف من حين لآخر فتتراوح بين 8 % - 20 % ، وقد حددها الفقهاء بنسبة 10 % على التجار والمشركين و 5 % على التجار أهل الذمة و 2,5 % على التجار المسلمين وكان متول المكوس بباب المدينة مقرا له مما يسمح له الأشراف على كل صغيرة و كبيرة داخله أو خارجه، انظر جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 406-407 ، انظر أيضا سحنون بن سعيد ، المدونة الكبرى ، القاهرة ، ص 279.

1- الضرائب :

كانت الضرائب في العهد العبد الوادي تتشكل من الزكاة والعشر (المضروب على الأراضي) ، و الجزية و الضريبة الجمركية [1] و المكوس ، فكانت تستفيد الضريبة الجمركية من دخول البضائع و خروجها أموالا كثيرة ، حيث حققت الدولة الزيانية من رسوم الجمارك مردودا كبيرا كان يبلغ ثلاثمائة و حتى أربعمائة ألف دينار طوال عديدة من السنوات و خاصة عندما كانت وهران تحت سلطة بني زيان [2] و يبدوا أن نصف هذه المبالغ كانت تصرف على الأعراب و حراس الدولة و الباقي لأجور الجند و القادة و كبار موظفي الحاشية وكان الملك هو أيضا ينفق على قصره وعلى متطلباته ، كان يوجد بالدولة العبد الوادية إدارتين للجمارك : الأولى بوهران و الثانية هنين ، وترأسهما إدارة مركزية للجمارك بتلمسان .

أما الزكاة أو الصدقة كانت تجمعها الدولة من الأغنياء و تضعها في بيت المال ثم تعيد توزيعها على مستحقيها ، و على ما يبدو أن سلطان الدولة العبد الوادية كان متمسكا بالإشراف و المراقبة على هذا المورد المالي ، ولقد أشار يحي بن خلدون ، أن السلطان أبا حمو موسى الثاني أرغم بعض مشائخ القبائل المتمردة على دفع الزكاة [3] . ومن بين الضرائب التي كانت تعتمد عليها

---

(1) هي عبارة عن العشور ، و عرفت هذه الضريبة أول مرة خلال عهد الخليفة عمر رضي الله عنه ، كرد فعل على المعاملة التي كان يتلقاها التجار المسلمون في دار الحرب ، فأمر عمر بن الخطاب أبا موسى الاشعري بأخذ العشر من التجار غير المسلمين الذين يفيدون ببضائعهم إلى دار الإسلام و أمر بأن يأخذ من أهل الذمة نصف العشر ، وصف المسلمين ربع العشر إذا بلغ ثمن السلعة مائتي درهم ، أنظر النظم الإسلامية المرجع السابق ص 239 انظر أيضا دراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ص 220.

(2) حسن الوزان ، المصدر السابق ص 23.

(3) دراجي ، المرجع السابق ص 220.

الدولة الزيانية ضريبة الأرض – الخراج– و كان مقدارها ما بين العشر و نصف العشر مع مخروج الأرض .

وكانت الجزية تأخذ من الذميين من المسيحيين و اليهود الذين كانوا يوجدون في ربوع الدولة العبد الوادية و كانت تستثنى هذه الضريبة على المرأة، و الصبي ، و المجنون و العبد و الراهب في ديره ، و ذي العاهات و المساكين الذين يعيشون من صدقات الناس [1] ومن بين الموارد المالية للدولة العبد الوادية المكوس التي كانت تفرض على عمليات البيع ، أما التي لا تباع فان أصحابها لا يدفعون مكوسها باستثناء الذهب و الفضة الذين يدفع عنهما أصحابهما فور دخولهما إلى حدود الدولة مكوسا تقدر بخمسة في المائة من قيمتها ، ولقد ساهمة هذه المكوس بدرجة كبيرة في تمويل خزينة الدولة إلي جانب الضرائب و الجزية ، فقد حددت مكوس الواردات بــ 10 % من قيمة البضائع التي يتم بيعها، أما الذهب و الفضة فكان يدفع صاحبهما 5 % ، أما الجبايات المفروضة على صادرات الدولة تعادل 5 % و تجبى عن طريق كل السلع ، كما فرضت الدولة العبد وادية مكوسا إضافية مثل مكوس الخدمات كالترجمة وقدرت ب 0,5 % من قيمة البضائع و مكوس الإرساء أو الملاحة و هي خاصة بالمراكب التي ترسوا بموانئ الإمارة، و مكوس أخرى لم تحدد قيمتها و إنما كان يحدد قيمتها موظفو الديوان باتفاق مع التجار كمكوس الوزن و التخزين و السمسرة [2] و قد ذكر حسن الوزان أن مجموع " عائداتها السنوية تقدر بــثلاثمائة ألف دوكا".

(1) حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ط 3 ، 1962 ، ص 230 ، أيضا دراجي المرجع السابق ص 221.

(2) DHINA. Op cit . P 381-382.

كان القائمون على بيت المال يحتلون مرتبة عالية في البلاط الزياني و كان يشترط في من يعتلي هذا المنصب أن يكون ماهرا في الحساب و عارفا بأنواع الخراج و الجبايات و حفظ حقوق الدولة في الدخل و الخرج و النظر في استخراج الأموال و جمعها في مواقيتها و ضبطها في سجلات و توقيع الحولات مما يمكن الموظفين من الحصول على رواتبهم الشهرية ، ومن أشهر الأسر التي كانت قائمة على بيت المال أسرة "بنو الملاح "، وهم قرطبيو الأصل معروفون بالأمانة و الصدق و كانوا يحترفون سكة الدنانير ، و كذلك أسرة " أبو المكارم محمد بن سعود " و أسرة " عبد الرحمان الشامي " [1]

2- السكة و النقود:

تعد السكة مظهرا من مظاهر سلطة الخليفة أو السلطان أو من ينوب عنهما فهي كما يقول ابن خلدون " وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص مع المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات " [2] أضف إلى ذلك أنها وثيقة رسمية لا يمكن الطعن فيها بسهولة ، فهي تعد من أهم مصادر التاريخ إذ تكشف لنا عن خفايا كثيرة و حقائق تاريخية [3] .

لقد سكت النقود في كل حواضر العالم الإسلامي في العصور الوسطى شرقا و غربا ، فضربت السكة في الشام و العراق و بلاد فارس و مصر و شمال إفريقيا و الأندلس ، وكانت النقود الإسلامية تختلف حجما و شكلا ووزنا

---

(1) يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ج 1 ص 205-213. أنظر أيضا عبد الرحمان بن خلدون العبر ج 13 ص 217 انظر أيضا عبدلي لخضر المرجع السابق ص 67.

(2) عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 462.

(3) صالح بن قربة ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986، ص 13.

باختلاف الأقاليم و الدول المعاصرة وكانت دار السكة تعد أهم المؤسسات التي لعبت دورا هاما في حياة المجتمعات الإسلامية (1) . ومن بين هذه المجتمعات المجتمع الزياني الذي ورث الدنانير و الدراهم الموحدية التي ظل معمولا بها في دولة بني عبد الواد إلا أن ذلك لم يمنع الزيانيين من سك نقود تخص دولتهم مقلدين في ذلك للموحدين حيث لم يبتكروا نماذج جديدة .

ويرى صالح بن قرية : أن دول المغرب الإسلامي بعد دولة الموحدين استطاعت سك دنانير و دراهم في غاية الجودة ، و أن هذه الدولة كانت المختار الأول لسك الدنانير والدراهم و أن كان أمر سك النقود حرا ، ليس مقيدا و لا ممنوعا ثم حصر النقود المتعامل بها فكانت : الدينار الذهبي ، والدرهم الفضي و أجزاء الدينار ، و أجزاء الدراهم ، وهذه الأجزاء هي :

نصف الدينار $1/2$ ، و ربع الدينار $1/4$ ، وثمن الدينار $1/8$.

وقد تم حصر الدنانير العبد الوادي بـــ32 دينارا ذهبيا نقشت عليها في الغالب آيات قرآنية و أحاديث نبوية و عبارة " ما أقرب فرج الله" كشعار لهم بعد مقتل السلطان المريني يوسف بن يعقوب سنة 707 هـــ تحت أسوار مدينة تلمسان للتعبير عن شكرهم لله الذي خلّصهم من شر ذلك الحصار الطويل (2)

(1) نفس المرجع ، ص 27. انظر أيضا .DHINA , op. cit P 205-206

(2) عبدلي لخضر ، مرجع سابق ص 68.

و هاهي بعض الدنانير و أجزائها التي تخص الدولة العبد الوادية :

- الدينار الأول يعود إلى عهد السلطان أبي حمو موسى الأول 70/ هـ/ 1307- 718 - 1318 م) ، يزن هذا الدينار 4.66 غ و طول قطره 32 مم، رسمت في وجهيه دائرتان : كتب عليهما : في الوجه الأول : .

كتب في القطعة الدائرية ما يلي:

ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى و أمنها و داخل المربع كتب:

عن أمر عبد الله

موسى أمير

المسلمين المتوكل

على رب العالمين

أيده الله و نصره

وفي الوجه الثاني

كتب في القطة الدائرية

و إلهكم اله واحد لا اله إلا هو الرحمان الرحيم

وداخل المربع كتب :

بسم الله الرحمان الرحيم

صلى الله على محمد وآله

لا الـــــــــــه إلا الله

محمـــــد رســـول الله

مـــا أقـــرب فرج الله

الدينار الثاني خاص بعهد السلطان أبي تاشفين الأول 737/718 هــ/1318/ 1336م . وزنه 4.55غ و طول قطره 31 مم ، في وجهيه الاثنين رسم مربعان: إحداهما خطي و الآخر بنقاط . ثم مربعان خطيان . و كتابات هذا الدينار كانت:

في الوجه الأول:

كتب في القطعة الدائرية

أمير المؤمنين عبد الرحمان بن الخلفاء الراشدين

وداخل المرجع كتب :

لا اله إلا الله

محمد رسول الله

ولا غالب إلا الله

و الأمر كله لله

ولا قوة إلا بالله

في الوجه الثاني:

كتب :

ضرب بمدينة تلمسان أبقاها الله تعالى للمسلمين

وكتب داخل المربع :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد و آله

و الحمد لله رب العالمين

و الشكر لله على نعمته

و الشكر لله يوم الدين

وفي دينار آخر لنفس السلطان نجد دائرتين و مربعين فعلى الوجه الأمامي كتب في داخل الدائرة . ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى و أمّنها.

وفي داخل المربع من الوجه الأمامي كتب : " عن أمر عبد الله المتوكل على الله عند الرحمن أمير المسلمين أيده الله و نصره " أما الوجه الخلفي من الدائرة كتب الآية التالية : و إلهكم إله واحد – لا إله إلا هو – الرحمن الرحيم .

وكتب في المربع:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلـــى الله على محمـــد

لا إلـــــــــه إلا الله

محمـــد رســـــول الله

ما أقــــربْ فـــرج الله

ودينار آخر يعود إلى السلطان أبي العباس أحمد المعروف بالعاقل 834-866 هـــ ، كتب على الوجه الأمامي من الدائرة " الله" .

أما في داخل المربع من الوجه الأمامي فنجد " عن أمر عبد الله المعظم بالله أمير المسلمين أبي العباس أحمد" .

وعلى الوجه الخلفي نجد أن ما كتب داخل الدائرة ممسوح .

أما في داخل المربع من الوجه الخلفي كتبت الآية الكريمة ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم " .

ودينار آخر يعود إلى السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل على الله (866 / 873 هـــ) يزن 4.48 غ و طول قطره 34 مم ، رسم في وجيه الأول و الثاني مربعان خطيان و كتب على الدينار :

على الوجه الأمامي في المربع داخل الدائرة " المتوكل على الله أمير المسلمين ابن مولانا أبي زيان محمد أيده الله " .

وعلى الوجه الخلفي في المربع داخل الدائرة كتبت الآية الكريمة:

ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا" .

ودينار يعود إلى السلطان أبي عبد الله محمد (873-909هـــ) و يزن 1.05 غ و طول قطره 14 مم، وقد رسم في وجهيه دائرتان و مربعان و قد كتب ما يلي :

في الوجه الأول :

في القطعة الدائرية كتب :

ضـــــرب بمدينـــــة تلمســـــان

وكتب في المربع :

أبـــــو عبــــــد

الله محمـــــــــد

نصـــــــــره الله

في الوجه الثاني [1]

في القطعة الدائرية كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

وكتب في المربع :

لا إلـــــــــه إلاّ

الله محمـــــــــد

رســـــــول الله

(1) L'avoix (H) : catalogue des monnaies musulmanes , Espagne et Afrique T 3 P 460-465.

انظر أيضا الدراجي ، نظم الحكم مرجع سابق ص 228-235 . انظر أيضا عبد لي لخضر ، مرجع سابق ص 71-72 و أنظر أيضا DHINA , les états , Op , cit P 211.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية و التجارية بالسودان الغربي

أولا: الحياة الاقتصادية

1- الفلاحة

أ- الزراعة

ب- الرعي و الثروة الحيوانية

2- الصناعة

أ- الثروة المعدنية

ب- الصناعة

ثانيا : أسواق السودان الغربي

ثالثا : العملة

أولا: الحياة الاقتصادية بالسودان الغربي .

1- الفلاحـــة

أ- الزراعة :

لقد عرفت الزراعة نشاطا ملحوظا في العديد من ممالك السودان الغربي كمملكة مالي الإسلامية في القرن 14م و مملكة سنغاي 15-16 الميلاديين ، ويرجع هذا النشاط إلى :

- خصوبة التربة
- عذوبة المياه
- اهتمام أغلبية السكان بالزراعة

لقد وجدت الزراعة تشجيعا من ملوك مالي و سنغاي لما تدره عليهم من أموال طائلة ساهمت في ازدهار اقتصادهم الذي كان يعتمد بالدرجة الأولى على التجارة الخارجية، ومن المحاصيل الزراعية التي اشتهر بها السودان الغربي الأرز والذرة ، و القمح و القطن. [1]

فكان الأرز من الأغذية الرئيسية [2] المختلفة فئات الشعب ، وهو بزرع بصورة خاصة حول نهر النيجر و روافده لما يتطلبه من سقي وفير ، ويذكر الرحالة الجغرافيون خاصة العرب أن الأرز كان عند السودانيين بكميات وفيرة

(1) محمد عبد الغني سعودي ، الاقتصاد الإفريقي و التجارة الدولية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1973 ، ص 19 ، 20.

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص 696.

وقد ذكروا أن الأرز كان ينمو عندهم بربا . من غير سقاية أو رعاية [1] أما الذرة فكانت تمثل أيضا الغذاء الرئيسي لهم ولدوابهم ، وكانت أسعار الذرة مناسبة إذ بلغ قيمة السبعين مدا بمدينة تكدا ما يساوي مثقالا واحدا من الذهـــب .

أما القمح كان يزرع بقلة ، وكانت الكميات التي تنتج منه ضئيلة و أكثر ما يوجد منه في البلاد كان يرد من الخارج و ثم يقتصر أكـــله على الطـــبقة الثرية [2] أما بقية السكان فلا تصل مستوياتهم المعيشية إليه ، ولذا كان حظهم منه ضئيلا جدا.

وكان الشعير يزرع في المناطق الشمالية المطلة على الصحراء و في الواحات و كان يشكل مادة أساسية لغذاء السكان ، أما في بقية المناطق الأخرى فأهميته أقل.

وكان الدخن يزرع في جميع جهات السودان الغربي خاصة في مملكة سنغاي، وكان يشكل الغذاء الرئيسي لدى السكان من سواد الشعب .

أما السورجو [3] كان يزرع حول نهر النيجر و زوافده فقط و كان يأتي في الدرجة الثانية بنسبة لغذاء السكان بعد الرز و الدخن.

وهناك نبات يعرف باسم الفرني يجني و يستعمل غذاء رئيسيا إذ يقومون بعد جنيه باستخراج حبوبه و هي بيضاء ، ثم يغسلونها ويطحنونها و يصنعون منها الخبز و الكسكسى و العصيدة .

---

(1) العمري ، مسلك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجلد الثالث،ص 491.

(2) عبد القادر زبادية، المرجع السابق ص 174 ، انظر أيضا الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص 68.

(3) هو نبات حباته تشبه الحمص و لكنها أدق منها و لونها أبيض تتخلله نقاط سوداء .

وكان السودانيون يزرعون أصنافا عديدة من الخضراوات كالبصل واللفت و البطيخ و الفقوس الذي وصفه ابن بطوطة بأنه لا مثيل له [1] . كما كثر لديهم نبات القرعة حيث استعملوها في غذائهم و صنعوا منها أدوات الأكل بتقسيمهما إلى نصفين و تجويفها من الداخل و عملوا منها على هيئة صحون زينوها بالنقوش و استخدموها في أغراضهم ، فذكر ابن بطوطة " القرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون الجفان، يقطعون القرعة نصفين ، فيصنعون منها جفنتين ، و ينقشوها نقشا حسنا ، وإذا سافر أحدهم يتبعه عبيده وجواريه يحملون فرشه و أوانيه التي يأكل و يشرب فيها و هي من القرع" . [2]

كما وجدت بالسودان الغربي غابات كثيفة و بها العديد من أصناف الأشجار المثمرة و غير المثمرة . وقد استفاد منها أهل السودان الغربي استفادة عظيمة والأشجار المثمرة هي أشبه بالتفاح والمشمش والخوخ وثمرة الأجاص وفيهما أشجار تثمر شبه الفقوس [3] فإذا طاب انفلق عن شيء شبه الدقيق ، فيطبخونه ويأكلونه و يباع بالأسواق [4] .

كما كانت توجد أشجار الفواكه مثل الجميز ، و أشجار برية تعرف باسم " تادمون" لها ثمار طيبة المذاق وبداخل الثمرة دقيق لونه أبيض يشبه الحنطة طعمه لذيذ، يستخدمونه إذا جف في الحناء [5] .

---

(1) بن بطوطة ص 679.

(2) نفسه ص 680.

(3) نفسه ص 679.

(4) نفسه ص 679.

(5) الدالي، المرجع السابق، ص 70.

أما النخيل فكانت مناطقه الأساسية الواحات الشمالية تومبوكتو و"ايولاتن"، و لم يكن المحصول من ثماره يفي بحاجات السكان . و لذا كانت تستورد منه كميات هامة من دول الشمال خاصة من المغرب الأوسط (منطقة توات، بسكرة ...) .

وكانت الكروم و التين توجد بكميات لا بأس بها من أشجارهما ببلاد التكرور و المناطق القريبة من نهر النيجر .

و لم تكون المحاصيل منها لتفي بحاجات السكان ، ولذا فقد كان من التين المجفف و الزبيب من مستوردات بلاد السودان الخارجية و كانت أثمانها مرتفعة.

و أما أشجار الحمضيات فكانت توجد بكثرة ببلاد سنغاي سواء في الواحات الشمالية أو في المناطق الوسطى و الجنوبية حول نهر النيجر .

ب- الرعي و الثروة الحيوانية :

شكل الرعي نموذجا اقتصاديا سائرا عبر المناطق الصحراوية و بلاد الساحل . اختصت فيه قبائل معينة أهمها قبائل الفولانيين بالإضافة إلى القبائل البربرية والعربية التي اهتمت بالرعي و تربية الحيوانات الداجنة [1] و المواشي التي كان تستخدمها القبائل في أعمالها فتستفيد من أصواف قسم منها في الملبس و المسكن . كما كانت تتخذ من جلود بعضها ألبسة أو فراشا [2] ، بعد دبغها

(1) الحيوانات غير الداجنة كانت توجد بكثرة ببلاد السودان خاصة بمنطقة الحشائش (الاستبس) التي كانت تمتد فيها بلاد سنغاي فقد كانت الفيلة بها موجودة ، وكان سكان بلاد السودان يستفيدون من الفيلة في تجارتهم فائدة كبيرة لاسيما في بيع أنيابها ، وقد انفرد الحسن الوزان بالحديث عن طريقة اصطيادها ببلاد السودان الغربي.

(2) ابن بطوطة ص 681 ، الدالي ، مملكة مالي، المرجع السابق ،ص 71 ،عبد القادر زيادية ، مملكة ، المرجع السابق، ص 174.

أو صبغها في أغلب الأحيان . ومن بين هذه الحيوانات البقر و الإبل التي استفاد منها سكان بلاد السودان في عدة أمور ، فلحومها و لبنها غذاء لهم ، و وبرها وجلودها ارتدوها ملابس لهم ، كما استخدموها في ترحالهم لحمل بضائعهم وخزانات مياه أسفارهم الطويلة عبر الصحراء .

إضافة إلى ذلك فقد كثر لديهم الماعز ذات الأصناف الممتازة و كانت تربى في مناطق الشمال أكثر من مناطق الوسط والجنوب .

وقد كانت البغال قليلة في سنغاي على أيام الاسقيين أما الحمير فكانت موجودة بكثرة .

أما الحيوانات البرية التي كانت تعيش في الغابات و البراري و الوديان فكانت تتمثل في حيوان اللمط ، و الفيلة و حمير الوحش و الجواميس البرية ، كما وجد بالسودان الغربي حيوان الزرافة التي كانت تصطاد و يأكل لحمها .

وكانت الطيور تمثل جانبا مهما في حياة سكان بلاد السودان الغربي (مالي، سنغاي) حيث كانت عندهم أصناف الطيور الداجنة و غير الداجنة .

فالطيور الداجنة تتمثل في الدجاج و الإوز و الحمام و استخدمت لحومها في غذائهم اليومي .

أما الطيور البرية فأبرزها طير النعام ، فقد ثبت وجودها بمناطق الصحراء غير أنها كانت قليلة و كان سكان السودان الغربي يصطادونها لشحومها ولريشها الذي كان تجارة مربحة كما كانوا يستخدمون بيضه للزينة و يباع بأثمان مرتفعة ، كما كانت شحومها من مواد الأدوية .

وكانت التماسيح [1] توجد بكثرة في نهر النيجر و في روافده ، وكان السكان يمارسون صيدها جماعات جماعات ، فيستفيدون من لحومها ، و يبيعون جلودها في الأسواق بأثمان مرتفعة بالإضافة إلى صيد التماسيح كان سكان السودان الغربي يصطادون الأسماك النهرية بكثرة ، يجففون قسما منها ويملحونه للادخار و كان أغلى أنواع السمك و أكثره قيمة في الأسواق هو سمك العنبر [2] .

ما يمكن استنتاجه هو أن الحيوانات الداجنة كانت تمثل المصدر الثاني لحياة السودان الغربي بعد الزراعة و هي بذلك تشكل الميدان الثاني لنشاطهم أيضا.

2- الصناعة:

أ- الثروة المعدنية :

كان لبلاد السودان الغربي ثروة معدنية لا بأس بها تتمثل في الذهب (التبر) و النحاس فكان يوجد الذهب في الجهات الجنوبية من مملكة مالي منطقة و نقارة[3] و لقد استغل ملوك السودان الغربي تلك المناجم ممّا درّ عليهم ربي

---

(1) هو حيوان خبيث يؤذي كثيرا و يبلغ طوله اثني عشر ذراعا، و طول ذنبه بقدر طول سائر جسده إلا أنه من النادر العثور عليه، له أربعة أرجل و شكله تماما شكل الوزغ ، ولا يتعدى لوه ذراعا و نصفا ، و ذنبه مؤلف من سلسلة حلقات ، و جلده صلب لدرجة أنه لا يمكن أن تخترقه قذيفة قوية . انظر حسن الوزان وصف إفريقيا ص 271، ماومول إفريقيا ج 1 ، ص 81.

(2) يقول حسن الوزان عن سمك العنبر : هو سمك مرعب فظيع في شكله و حجمه ، و لا يرى أبدا إلا ميتا ، لأن البحر يقذف به على الشاطئ و رأسه صلب جدا كأنه من حجر ومنه ما يبلغ طوله خمسة و عشرين ذراعا أو أكثر ، وهذا السمك يفرز العنبر انظر حسن الوزان ، وصف إفريقيا ص 269.

(3) ونقارة أو وانكرة ، أو نكارة ، هو إقليم شاسع الأطراف ، عديدة السكان متاخم لإقليم زنفرى من جهة الجنوب الشرقي ، في هذه البلاد ، مدينة ميسورة تحمل اسم الإقليم ... ، فلا يوجد به إلا قرى منازلها قبيحة الهيئة ، و شبيهة بالأكواخ ، يمارس سكان التجارة الداخلية و المبادلات التجارية مع البلدان الأخرى ذلك ما يرجع

كثيرا، حيث صارت مضربا للأمثال في الغنى وقد وصلت شهرتها إلى أوروبا على أنها أكثر مناطق إفريقيا استخراجا للذهب ، ولقد ذكر أن السلطان منسا موسى عندما سئل عن معدن الذهب إبان زيارته لمصر ، ذكر أن هذا المعدن يتكون من نوعين :

" نوع من زمان الربيع ينبت في الصحراء له ورق شبيه بأوراق النخيل أصوله التبر، و الثاني يوجد في أماكن معروفة على ضفاف مجاري النيل (نهر النيجر) ، تحضر هناك حفائر ، فيوجد فيها الذهب كالحجارة و الحصى، فيؤخذ، قال : و كلاهما هو المسمى بالتبر ثم قال : والأول أفحل في العيار وأفضل في القيمة ... وذكر أيضا أنه يحضر في معادن مجتمعا في اسفل الحفيرة ... و أن النوع الأول من الذهب يوجد في زمن الربيع عقيب الأمطار ينبت في مواقعها ، و الثاني يوجد في جميع السنة على ضفاف مجاري النيل ... إن نبات الذهب بهذه البلاد يبدأ في شهر (غشت) حيث سلطان الشمس قاهر و ذلك عندما أخد النيل في ارتفاع و الزيادة ، فإذا انحط النيل حيث ركب عليه ن الأرض فيوجد منه ما هو نبات يشبه النخيل و ليس به ، ومنه ما يوجد كالحصى فذهل الجميع مما يحدث في هذا الزمن في أماكن النيل ، (1)

أما معدن النحاس فقد أمدّنا ابن بطوطة بمعلومات هامة حيث ذكر : ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الأرض ، و يأتون به إلى البلد ، فيسبكونه في دورهم ، يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم ، فإذا سبكوه نحاسا أحمرا صنعوا منه

عليهم بأرباح طائلة تفسير مالهم من ثروات ، انظر حسن الوزان ، وصف إفريقيا ص 174،انظر أيضا مارمول ، إفريقيا ، ص 209.

(1) القلقشندي ، ج 5 ، ص 290.

قضبانا في طول شبر و نصف ، بعضها رقاق و بعضها غلاظ ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب ، و تباع الرقاق بحساب ستمائة وسبعمائة بمثقال وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم و الحطب ، ويشترون بغلاظها العبيد و الخدم و الذرة و السمن و القمح و يحمل النحاس إلى مدينة كوبر [1] من بلاد الكفار و إلى زغاي ، والى بلاد برنو وهي على مسيرة أربعين يوما من تكدا" [2] .

وبخصوص معدن الملح فيعتبر من المعادن الهامة مع أن إنتاجهم منه لم يكن يكفي استهلاكهم ، و لذا فقد كانوا يستوردون كميات كبيرة من الشمال الإفريقي (المغرب الأوسط خاصة) ، و هذا ما جعل ثمنه مرتفعا جدا و كانت مناجم الملح في سيخه تاودني و أبو جبيل و لم تكن كافية ببلاد السودان ، و عليه أدت تجارة الملح بين ممالك السودان الغربي و الشمال الإفريقي دورا هاما في العلاقات التجارية بين الإقليميين .

ب- الصناعات التقليدية :

كانت الصناعة التقليدية بالسودان الغربي عبارة عن مجموعات حرفية تخصصت فيها بعض القبائل و الفئات الاجتماعية كالحدادة بالنسبة لشعب

---

[1] يقع إقليم كوبر غرب مدينة غاو يبعد عنها بنحو مائة فرسخ ، وكان يسكن هذا الإقليم ما يقارب من عشر آلاف أسرة ، أنظر مارمول ج ص 206 ، حسن الوزان ، ص 170.

[2] ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص 697، 698.

الصوصو، و استخراج المعادن بالنسبة لسكان غالم و بوري و بامبوك ، وصناعة النعال و الدروع من جلد اللمط و الحياكة إلى غير ذلك . [1]

وإذ تكلمنا عن مملكة سنغاي و التي كانت لها صلات تجارية بلدان الشمال ، فكانت تولى أهمية كبيرة للصناعات التقليدية فكانت أهم المواد التي تصنع بها على أيام الاسيقيين الأقمشة التي كانت صناعتها منتشرة بكثرة في مدن بلاد سنغاي على أيام الاسيقيين و لكنها كانت في شكل حياكة باليد فمن بين المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة مدينة تومبوكتو فقد اشتهرت بدكاكين كثيرة للصناع والتجار [2] ، فقد عدد حسن الوزان في تمبوكتو وحدها للخياطين وجود أكثر من ستة و عشرين دكانا، و في كل واحد منها كان يوجد بين خمسين ومائة متعلم ، و من بين مدن السودان الغربي التي اشتهرت بصناعة الأقمشة مدينة غاو التي كانت تصدر قسم هام منها إلى مشارف الصحراء الجنوبية .

أما صناعة الألبسة و الزرابي من الصوف و الشعر و الوبر فقد عرفت في السودان قبل ذلك ، وكانت لا تزال موجودة بكثرة في مملكة سنغاي على أيام الاسبقيين.

و كان صانعو الأقمشة في الغالب يجمعون إلى ذلك الصباغة بأنفسهم ، و لكن كان يوجد إلى جانبهم بعض الذين تخصصوا في فن الصباغة وحده، وكانت الألوان أكثرها حمراء أو زرقاء أو سوداء ، و قليل منها صفراء

---

(1) صالح الصادق السباني ، مملكة كانو – برنو و علاقتها بأقطار الشمال من القرن 3 إلى 10 الهجري 1988 ، ص 181.

(2) عبد القادر زبادية ،مملكة ، المرجع السابق ، ص 191.

وخضراء، وكان الصباغون يستعملون في تجسيمها أوراق النباتات و يضيفون إليها في الغالب الشب و الملح .

وكانت صناعة الجوهرات تعتمد على الذهب و النحاس ، و كانوا يصنعون من هذين المعدنين أساور و أعمدة للسيوف و الرماح و كنت صناعة الخناجر و السيوف و بعض الدروع و الخوذات و الرماح و الفؤوس و حدائد الخيل و المطارق و الإبر منتشرة بالسودان الغربي عامة و على عهد مملكة سنغاي أيام الاسيقيين و التي كانت تتوفر على مناجم الحديد ، إذ كانت تستخرج منه كميات وفيرة و لذا كانت تكاثرت الصناعات المعتمدة على مادته.

وكانت صناعة الفخار مزدهرة ازدهارا كبيرا و أهم وكان يصنع من الفخار : الجرار و أوان للشرب و الأكل وكانوا ينقشونها وينمقونها بالألوان أحيانا كثيرة و كانت صناعتها تتم يدويا ، ثم يشوي الإناء بعد صنعه وتجفيفه ليزداد صلابة . [1]

ولقد اشتهرت بلاد السودان الغربي بصناعة الجلد و كان غالبا ما يصنع من الجلد المخالي ، والأكياس و السجنجلات و السروج و الصنادل و الألجمة ، وصناعة الأحذية كالتي كان ينتعلها الرومان في القديم و كانت الدباغة منتشرة كحرفة ، وكان يتخذ لها نباتات محلية عديدة ، وكذا قشور الرمان و الأملاح ، أما طريقتها فكانت تعتمد على الغلي و النقع.

[1] حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، المصدر السابق، ص 171.

ومن بين المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة مدينة تومبوكتو التي اشتهر سكانها ببعض الحرف كالحدادة و الدباغة و غيرهما .[1]

ثانيا : أســـواق الســـودان الغربـــي.

ارتبطت العواصم الإسلامية (القاهرة ، ورجلان، القيروان ، تلمسان ، فاس ، مراكش ...) في تجارتها بالسودان الغربي لما كانت تتمتع به من غنى خاصة في معدن الذهب فاتصلت بها بطرق تجارية متعددة مستغلة بذلك الطرق القديمة ، وأغلب هذه الطرق ينتجه صوب السودان الغربي و أقلها يتجه صوب السودان الأوسط (بورنوكانم) وكنت القوافل المنطلقة من العواصم المذكورة تتوخى أسواق السودان الغربي الكبيرة محملة بالبضائع و السلع المختلفة قصد مقايضتها بسلع أخرى خاصة بمعدن الذهب ، و الرقيق، و أهم هته الأسواق :

- تادمكـــــت:

كانت تادمكت من أحسن الأسواق التي أمّها الورجلانيون والقيروانيون ، و يحدد البكري المسافة بين تامكت و ورجلان و غيرهما بقوله : " فإذا أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى " **أغرم أَنْ يكامن**" أي حصن العهود" .[2] وكان أهم طريق يربط السودان الغربي بالشمال الإفريقي في القرن التاسع الميلادي [3] ويصف لنا البكري مدينة تادمكت بأنها مدينة كبيرة

---

(1) الدالي ، مملكة مالي ، المرجع السابق، ص 94.

(2) البكري ، المغرب ، ص 182.

(3) جودت عبد الكريم ، المرجع السابق، ص 182.

بين جبال وشعاب و هي أحسن بناء من مدينة غانة ، ومدينة كوكوا ، وأن اسمها تادمكة يعني هيئة مكة .[1]

– غـــــاو

وتوجد جنوب مدينة تادمكت غاو أو جوجو أو كوكو و هي تبعد بتسع مراحل جنوب تادمكت [2] ، وهي مدينة كبيرة علـــى نهر ينبـــع من الجبال [3] . وكان الطريق الصاعد منها شمالا يتفرع إلى فرعين الأيمن يتجه نحو وارجلان والأيسر يتجه نحو سجلماسة، أما الطريق العرضي فالمتجه منها شرقا يصل إلى تاكدة و كانم ، و المتجه غربا يصل إلى زاغارى ومنها إلى غانة و بلاد التكرور ، إلى مدينة غانة و لأهمية موقعها كانت ممالك السودان الغربي كلها تخضع لملكها وهذا ما ذهب إليه اليعقوبي إذ ذكر أن مملكة كوكو كانت من أعظم ممالك السودان، و أجلّها قدرا و أعظمها أمرا ، و كل الممالك تعطى لملكها الطاعة [4] .

كان ينعم أهل غاو بثراء نسبي ، و يشتغلون التجارة في كثير من الجهات الإفريقية و كثير من تجارهم يأتون من المناطق الداخلية بالذهب الذي يستبدلونه بالبضائع المستوردة من بلاد البربر [5] .

وتشتهر مدينة غاو بسوقها الأسبوعي ، يباع فيه العبيد بأثمان بخسة ، لا يتجاوز ثمن العبد الشاب أو الآمة الشابة ستة عشر درهما [1] .

---

(1) البكري ، المغرب، ص 180.

(2) نفسه ، المغرب، ص 183.

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج1 ص 93.

(4) اليعقوبي تاريخ ج1، ص 168.

(5) مارمول كربخال ، إفريقيا ، ج3 ، ص 204.

- تمبوكتـــــو:

يسمى هذا الإقليم باسم عاصمته تمبوكتو التي بنيت من قبل الملك منسا سليمان حوالي عام 610 هـــ/ 1200م و لا تبعد هذه المدينة عن ضفاف نهر النيجر إلا بنحو أربعة فراسخ [(2)] و تعد مدينة تمبوكتو حلقة وصل بين السودان الغربـــي و الصحراء الكبرى ، فهي لا تبعد عن قرية ولاته إلا بخمسة عشر يوما ، و تبعد عن مدينة غار نحو اثنتي عشر محلة عن جهة الشرق.

لقد كانت تزخر تمبوكتو بكثير من الدكاكين للتجارة و الصناع و أهم تجارتهم الثياب القطنية التي يستبدلونها بثياب مصنوعة في أوروبا يأتي بها تجار من بلاد البربر ، فالتجارة كانت تمثل بالدرجة الأولى المصدر الرئيسي في حياة السكان، وكانت تمثل الشريان الرئيسي للحياة الاقتصادية في مدينة تمبوكتو ، وقد أدت دورا هاما في ازدهارها اقتصاديا و اجتماعيا و حضاريا فتوافد عليها التجار من كل حدب و صوب و خاصة من الشمال الإفريقي عبر الصحراء الكبرى ، وفي بادئ الأمر كان تجار الشمال الإفريقي يتوافدون على مدينة ولاته التي كانت في تلك الفترة مركزا تجاريا مرموقا قبل ظهور تمبوكتو ، حيث توافد عليها جل تجار صنهاجة (مسوفة ، جدالة ، لمتونة) كما توافد عليها تجار من فزان ، و غدامس وورجلان و طرابلس يحملون بضائعهم إلى تمبوكتو ويقايضونها بالذهب و ناب الفيل و ريش النعام و بخور السودان ، و العبيد فقد

---

(1) نفسه ، ص 205.

(2) حسن الوزان ، ج 2 ص 165، الهادي المبروك الدالي ، مملكة ، المرجع السابق، ص 12.

بلغ تعداد القوافل التجارية القادمة من مملكة مالي الإسلامية في القرن الثامن (751هـ / 1350م) أثنى عشر ألف جمل [1] .

– تغـــازا:

تغازا . هناك اختلاف في تسميتها فمنهم من يطلق عليها بتغازا ومنهم من تغزة وهي مدينة مؤهولة بالسكان موقعها متوسط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ومعظم سكانها من قبيلة مسوفة إحدى قبائل صنهاجة،[2] تشتهر بمعدن الملح الغالي الثمن في أسواق السودان الغربي ومناجم الملح بهذه المدينة تشبه مقالع الرخام، يستخرج الملح منحفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج الملح وذكر الوزان أنّ هؤلاء المستخدمون ليسوا من سكان البلدة بل هم من أصل أجنبي يأتون مع القوافل و يقيمون هنا يستخرجون الملح و يحتفظون به حتى تأتي قافلة فتشتريه منهم ".[3]

وكان الملح يحمل إلى تومبوكتو التي كان يعوزها الملح كثيرا و لقد اعتمد أهل تغازا في قوتهم و مئونتهم على ما حمله لهم التجار خاصة من مدينتي تمبوكتو ودرعة اللتين تبعدان عنها بحوالي عشرين يوما و كانت تعد هذه المدينة محطة التوافد القادمة من سجلماسة [4] و توات و طرابلس و غدامس .

(1) نعيم قداح ، إفريقيا ، المرجع السابق، ص 55.

(2) حسن الوزان ، ج2 ، ص 108.

(3) نفسه ص 108.

(4) تبعد تغازا عن مدينة سجلماسة بحوالي خمسة و عشرين يوما .

- جنـــــي :

تقع مدينة جني إلى الجنوب من مدينة تومبوكتو على نهر النيجر و هي معاصرة في تاريخها لمدينة تومبوكتو و ظهر أمرها في القرن الثاني عشر ، و هي مركز هام ، كانت تتجمع فيه تجارة النيجر ، و تقع مدينة جني في سهل فسيح كان حصنا دفاعيا لها ضد الهجمات الأجنبية ، و حين بدأ ازدهار تومبوكتو صارت " جني " مكانا لالتقاء التجار للتبادل التجاري بينهم ، و أصبحت القوارب تحمل إليها البضائع من تومبوكتو باستمرار فتجد فيها رواجا ، حيث أن تجار الجنوب يأتون جني ليأخذوا ما يحتاجونه من بضائع الشمال و يبيعون لتجار العبيد كما يبادلوهم بالذهب .

- أودغست:

هي واحة تقع على بعد إحدى وخمسين مرحلة جنوب مدينة سجلماسة[1] ، و اثنتي عشر مرحلة شمال غرب غانة ، و استقطبت طرق التجارة منذ القرن الثالث و الخامس الهجريين . وقد وصفها البكري بقوله: أودغست وهي مدينة كبيرة أهله ... و" سوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه بكثرة جمعه و ضوضاء أهله و تبايعهم بالتبر و ليست عندهم فضة و بها مبان حسنة و منازل رفيعة ... " [2] و كان يتجهز إلى أوغست بالنحاس المصنوع و بثياب مصبغة بالحمراء و الزرقة و كان يجلب منها

(1) البكري ، ص 159.

(2) نفسه ، ص 158.

العنبر المخلوق الجيد و الذهب الإبريز الخالص خيوطا و قد ذكر البكري أن ذهب أودغست أجود من ذهب أهل الأرض. (1)

لقد لعبت أدرغست دورا هاما كسوق و كمحطة هامة للقوافل القادمة من الشمال . (2)

- غانـــــــــة :

فقد ذكر البكري أن غانة مدينتان سهليتان أحدهما التي يسكنها المسلمون و هي مدينة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجمعون فيه و لها الايمة والمؤذنون والراتبون و فيها فقهاء و حملة علم و حواليها أبار عذبة منها يشربون و عليها يعتلمون الخضروات ... " (3) و يشير أيضا أن المدينة قد وصلت إلى رقي عظيم ، و يذكر أن المسلمين كانوا يقطنون أحد المدينين المشكلتين لغانة بينما سيكن في القسم الثاني الوثنيون من أهل البلاد ، و يسمى القسم الوثني عند المسلمين بالغابة لأنه عبارة عن أكواخ موزعة بين الأحراش . أما القسم الأول كان مبنيا على طراز مدن المغرب الإسلامي . (4)

ويرجع تأسيس مدينة غانة إلى القرن الرابع الميلادي من قبل جماعة من البيض وقد عرفت ضربات قاسية من قبل المرابطين في العقد الثاني من القرن 11 م. .

كانت مدينة غانة هي أرض التبر الجيد المشهور ، و عرفت بهذه المنطقة مدينة كومبي صالح على طريق التجارة بين شمال إفريقيا و السودان الغربي .

(1) نفسه، ص 158.

(2) نفسه ، ص 159.

(3) البكري ، ص 174.

(4) نفسه ، ص 174 ، نعيم، قداح المرجع السابق، ص 31.

- ولاتـــــه (ايولاتن)

تأسست مدينة ايوالاتن سنة 1224م و تقع شمال غانة علي طريق القوافل القادمة من سجلماسة ، على مسيرة حوالي شهرين منها [1] ، وهي تبعد عن تومبوكتو غربا بـــ 450 كلم ، و عن المحيط الأطلسي ، شرقا بحوالي 900 كلم، وأغلب سكان ايوالاتن من مسوفة [2] ، الذين كانوا يمتهنون مهنة مرشدي القوافل التجارية في الصحراء و يقدمون لها الخدمات الضرورية ، و قد استقر بها اثنان من أسرة المقري هما عبد الواحد و علي وذلك في النصف الأول من القرن الثامن للهجري الرابع عشر للميلادي اللذان اتصلا سلطان مالي منسا موسى 1307-1332.

كانت مدينة ايولاتن سوقا يقصده التجار المغاربة ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري و بداية القرن التاسع الهجري (14 و 15م) أخذت ايولاتن تفقد قوتها التجارية بعدما تخلى عنها التجار المغاربة و التوجه نحو أسواق تمبوكتو وغاو...

- تـــــوات :

يتشكل إقليم توات على ما يزيد عن الثلاثمائة و خمسين من القصور والواحات المتناثرة . لقد ازدهرت واحات توات اقتصاديا إذ كانت تستقطب

[1] بشاري لطيفة ، المرجع السابق، ص 66.

[2] كانت ولاته أول مدينة سودانية وصلها ابن بطوطة ، ويقول عنها :"... و بلدة ايوالاتن شديدة الحرّ و فيها يسير نخيلات يزدرعون في ظلالها البطيخ وماؤهم من أحساء بها و لحم الضأن كثير بها ، و ثياب أهلها حسان مصرية و أكثر السكان بها من مسوفة ولنسائهم الجمال الفائق ومن أعظم شأن من الرجال ... " أنظر ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 677.

القوافل القادمة من المغرب الأوسط (تلمسان) و المتوجهة نحو أسواق مالي والتجار الذين كانوا ينشطون ما بين سجلماسة و ايوالاتن. وكان التجار يتزودون في توات بما يحتاجونه من غذاء وماء و تسويق لمنتجاهم [1]، ولقد تحدث ابن خلدون عن دور توات في المبادلات التجارية و أهمية موقعها في ذلك فيقول: : " وطن توات ... وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار إلى مالي ، و بينه و بين تغصر مالي المسمى " غار المفازة المجهلة " لا يهتدي فيها للسبل ، ولا يمر الوارد إلا بالدليل .. من الملثمين الظواعن في ذلك القفر يستأجره التجار .. [2] ، ومن بين قصور توات المشهورة قصر تْسَبِتْ إذ يقول عنه حسن الوزان " إقليم مأهول في صحراء نوميديا على نحو مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة و مائة ميل من الأطلس ، يضم أربعة قصور و قرى عديدة في تخوم ليبيا ، على الطريق المؤدي من فاس و تلمسان إلى مملكة أكنذز في بلاد السودان ".[3] ومن قصور توات أيضا قصر تيقورارين [4] وقال عنه حسن الوزان " تيقورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا ، بعيدة بنحو مائة و عشرين ميلا عن شرق تسبيت ، حيث يوجد ما يقارب من خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية وبها حدائق النخيل . و سكان هذا القصر أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب

(1) حوتية محمد ، توات و القوافل التجارية ، مجلة طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ ، الجزائر 2001، ص 35.

(2) ابن خلدون ، ج 7 ص 118.

(3) حسن الوزان ج 2 ص 133.

(4) معناه بالبربرية المعسكرات

الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان وهنا مجمع القوافل ، لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ، ثم يذهبون جميعا.[1]

وقيل أيضا عن توات و تيقورارين أنها من أعظم أقطار المعمورة بما جمعاه من الأمم و القصور أولها أقرب إلى السودان و الثاني يعد من أعظم و أضخم أقاليم المغرب فقد كان أمام المنصور الذهبي سلطان السعديين في غزوه بمملكة سنغاي طريقين للوصول إلى السودان أولها توات و تيقورارين في الجنوب الشرقي والآخر عبر الصحراء الجنوبي إلا أنه فضل الطريق الأول شعورا بأهميتها. فالقطرات عالم من عوالم الأرض و إقليم من أقاليم الدنيا لما جمعاه من الأمم وتراكم من القصور وأهل من العمران و تتخلله من العيون ذات الآبار و النخيل المرخى على أكنافه جناحا من الليل الدامس زيادة عن ذلك أهمية طرقها في التجارة بين بلاد المغرب والأقطار الإفريقية .[2]

لقد ظلت توات لفترات طويلة همزة وصل بين الشمال والجنوب ، بين المغرب الأوسط و السودان الغربي فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي ولبضائع بلدان المغرب الإسلامي ، فكانت القوافل التجارية تتخذ طرقا مختلفة كالطريق المستعمل كثيرا من قبل تجار منطقة جريد التونسية و يمر عبر منطقتي ورقلة وتوات ليصل إلى بلاد النيجر ، أما الطريق الآخر فهو الرابط بين تلمسان سجلماسة توات ، ولقد اشتغل أهل توات كتجار وسطاء فكانوا يستقبلون

---

(1) نفس المصدر ، ص 133.

(2) الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز) ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كريم ، الرباط 1972م، ص

السلع القادمة من الشمال [1] و التجهيز بها نحو أسواق السودان الغربي ، فالقافلة التواتية كانت تضم عدة رجال من أطباء عارفين بالأعشاب المفيدة لبعض الأمراض أثناء السفر ، ومن الفقهاء المتفقهين في أمور الشرع ، و الحراس المكلفين بحراسة القافلة ومرشدين لهم معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية الوعرة ودراية بالنجوم ، وكانت القوافل التواتية تقصد أسواق السودان الغربي كتمبوكتو ، جني وغاو.

كان لأسواق توات تمنطيط ، عين صالح ، تيميمون دور هام في استقبال بضائع قوافل الشمال و توزيعها على مختلف أسواق السودان الغربي مقابل شراء العبيد والذهب الخام (التبر) و ريش النعام و العاج أما عن منتجات التواتية فكان الطلب عليها شديد من قبل السودانيين ومن بينها التمور ، والحناء و الطباق التبغ، الملح و العطور و القمح و الزيت و المنسوجات.

لقد نشأت عدة مدن على الخط الرابط بين أسواق توات و أسواق تومبوكتو وهي أروان ، مبروك و إفركان و تيمساو، و أرنان ، و تاودين ، ووالون، وتير شيومين، و أقبلي. [2]

لقد كان للتجار التواتيين دور في تمكين الأفارقة الوثنيين من اعتناق الإسلام بمعاملتهم النقية الحسنة و أمانتهم الطاهرة، فقد كان لحركة القوافل بين حواضر الصحراء و بلاد السودان أثر كبير في التواصل الروحي بين توات و العديد من

---

(1) فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1977 ص 15.

(2) كريمي ماجدة ، العلاقات بين المغرب و السودان في العصر المريني ، رسالة لنيل الدبلوم العالي في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1987 – 1988. ص 75-79

حواضر السودان الغربي كتومبوكتو، جني ، وغاو ...، فقد اسهموا في بناء المساجد و الزوايا و التعليم في المدارس و المعاهد العليا .

ثالثـــا : العملـــــة.

أشار حسن الوزان أنه ببلاد السودان الغربي كان الناس يستعملون قطع الذهب الخالص بدلا من العملة المسكوكة [1] ، وقد استعملوا بالإضافة إلى برادة الذهب ، النحاس أيضا ، كما كانوا يتعاملون بالمقايضة العينية على نطاق واسع ولكن التبادل لم تكن لتشمل البضائع جميعها، و إنما كانت تشمل البضائع المرتفعة الأثمان وحدها تقريبا ، كالملح الذي اعتبر نقودا في السودان . وتليه في ذلك الأقمشة و الخيول و العبيد [2] ، وذكر ابن بطوطة أن مادة الملح كانت مادة أساسية في المبادلات التجارية بين دول الشمال و الجنوب ، ويشير ابن بطوطة إلى قيمته النقدية في السودان الغربي " وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب و الفضة يقطعونه قطعا و يتبايعون به" . [3]

وقد استعمل أهالي السودان الغربي الودع لشراء الأشياء التافهة وهو عبارة عن صدف مستورد من بلاد فارس ، وكانت تساوي أربعمائة منه مثقالا واحدا ، وتساوي الأوقية الرومانية من الذهب عندهم ستة مثقال وثلثي مثقال

(1) حسن الوزان ج 2 ، المصدر السابق ، ص 167.

(2) عبد القادر زيادية ، دولة سنغاي ، مرجع سابق ص 201.

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 674.

[1] وقد بقي التعامل بالودع قائما في مختلف مناطق السودان الغربي حتى سنة 1900 [2].

---

[1] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 167.

[2] عبد القادر زبادية ، دولة سنغاي ، المرجع السابق، ص 209.

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي

أولا: المسالك التجارية بين الإقليمين.

ثانيا: نظام سير القوافل.

ثالثا: المكاييل و الموازين المستعملة في المغرب الأوسط و السودان الغربي.

رابعا: السلع و البضائع و المتبادلة بين الإقليمين.

تمهيـــــــــد :

لقد كانت الروابط التجارية بين السودان الغربي وبلاد المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة تعود إلى أزمنة تاريخية قديمة *، فقد كانت قوافل قرطاجة تقطع الصحراء لجلب الذهب و العبيد و العاج في مقابل المنسوجات والنحاس و الأدوات المصنعة . وظل هذا التواصل قائما في العهد اليوناني والروماني ثم البيزنطي [1] ، وبعد الفتح الإسلامي للمغرب تولى سكانه تأمين أسواق السودان الكبرى وعملوا على تنظيم المواصلات مع بلاد السودان وعلى أساس تجاري فكانت أهم الطرق التجارية في القرن الثامن تتجه باتجاه شمال – شرق وجنوب غرب منطقة من واحات مصر ومن جنوب إفريقيا نحو حلقة النيجر ، وقد عرف القرن التاسع و النصف الأول من القرن العاشر تكثيف المبادلات التجارية بين المنطقتين و ستوضع الأسس الدائمة لها و المتمثلة في مقايضة الملح بالذهب [2] ولقد ظهرت هذه الطريقة على ما يبدو مع الفاطمين الذين سيستغلون بانتظام علاقتهم التجارية للحصول على الذهب الضروري لسياستهم عن طريق الطريقة الرابط بين المغرب و الأوسط و السودان الغربي عن طريق سجلماسة تفاديا للطريق الرابط بين ورجلان -- توات – السودان الذي كان بيد الاباضين .

* انظر الملحق رقم –10-11-12-13-14-15.

(1) Djehan desanges, remarques critiques sur l'hypothèse d'une importation de l'or africain dans le mande phenico- punique in actes du deuxième congrès inter rational d'étude des cultures de la méditerranée occidentale II SNED, Alger , 1978 PP.52.57.

(2) محمد الشريف ، ابن بطوطة و أزمة التجارة الصحراوية في القرن الرابع عشر ، منشورات مدرسة فهذا العليا للترجمة طنجة 1993، ، ص 128.

ولقد ظل هذا الاتصال غير منتظم مدة طويلة ، إلى القرن العاشر الميلادي ، حيث حدث تطور في هذا المجال لسببين هامين:

يتمثل الأول في قطع الرحلات التي كانت تتم عبر محور شمال شرق – جنوب غرب ، بين واحات مصر و جنوب تونس وبين مصب نهر النيل (النيجر) [1] لما كان التجار يعانونه من قسوة الظروف المناخية ، وهجمات الأعراب على قوافلهم، أما الأمر الثاني فيتمثل في تأسيس دولة المرابطين التي كان لها الفضل في إقامة علاقات جديدة بين منطقة غرب بلاد المغرب و الصحراء ، الأمر الذي أدى بالمغاربة إلى التعرف على بلاد السودان سنة 480هـ/987م. لقد نتج عن تغيير طرق الرحلات التجارية ، وقيام دولة المرابطين ، ظهور تبادل تجاري منتظم بين المناطق الغربية لبلاد المغرب الإسلامي و بين السودان الغربي، وقد أصبح المغرب الأوسط أهم منطقة لها علاقات تجارية بممالك السودان الغربي خاصة في عهد دولة مالي الإسلامية و سنغاي في عهد الاسبقيين . ومما ساعد على نمو الحركة التجارية بالمغرب الأوسط ، وما حدث في تلك الأثناء من تأسيس المدن ، مثل تاهرت وتنس وسوق إبراهيم وسوق حمزة ووهران وجراوة وسجلماسة [2] التي كانت محطة هامة للتجار المغاربة ومنها يسيرون إلى غانة

(1) Lombard (M) , L'islam dans sa première grandeur 1971 P 223.

(2) سجلماسة مدينة قديمة ، ترجع بعض الروايات بناءها إلى أحد الضباط الرومان ، الذي قدم من موريتانيا واستولى على نوميديا بأكملها وزحف بجنوده حتى وصل إلى المكان الذي يعتبر مدخل نهر زيز إلى هذا الإقليم ، وبني مدينة " ماسة" ، ثم سماها " سجلوماسة" التي تعني في اللغة اللاتينية " خاتم النصر" ، تقع مدينة سجلماسة في سهل بجانب نهر زيز ، ولها أسوار عالية وجميلة مازالت آثارها قائمة . كانت هذه المدينة زناتية قبل أن يستولي عليها يوسف بن تاشفين و كانت غنية . انظر مارمول ، إفريقيا ص 153 ، 154،انظر أيضا حسن الوزان ص 127.

فيقطعون المسافة في ثلاثة أشهر ذهابا و شهر ونصف إيابا ، وهذا يدل على أن عامة بني واسول كانت محطة لتجمع القوافل [1] التي كانت تتجه نحو بلاد السودان بالملح و غيره من السلع ثم تعود بالذهب وغير ذلك .

أولا : المسالك التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي .

لقد لعبت تلمسان دورا بارزا في الحركة التجارية نحو بلاد السودان لاسيما في العهد الموحدي [2] بحكم موقعها الجغرافي وسبب وجود طرق مختصرة بينها وبين بلاد السودان ، وعندما سقطت الدولة الموحدية خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين (13،14م) حلت المبادرات الخاصة محل المبادرات الرسمية في حماية التجارة التي بقيت نشطة عبر الصحراء رغم المشاكل المتعددة التي كانت تواجهها [3] .

وفي عهد دولة بني زيان كانت التجارة تتم عن طريق القوافل ، ويذكر عبد الرحمان بن خلدون أن القوافل التي كانت تمر على أيامه (أواخر القرن الرابع عشر الميلادي بالهقار كان عدد جمالها يبلغ اثني عشر ألف جمل في أحيان كثيرة ، وكانت القوافل التجارية إلى السودان الغربي تخترق الصحراء من جميع

وقال إبن سعيد عن سجلماسة و خيرها ما يلي "و هي كثيرة العمارة كثيرة البساتين ، رائعة البقاع، ذات منازل رفيعة وعمارات متصلة ، على نهر كثير الماء يأتي من جهة المشرق من الصحراء ، يزيد في الصيف كزيادة النيل ، ويزرع على مائه كما يزرع ماء النيل والزرع عليه كثير الإصابة، أنظر القلقشدي مصدر سابق ص 163-164.

(1) حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام، المرجع السابق ، ص

(2) عبد الحميد حاجيات ، المجلة العربية للثقافة عدد 5 سبتمبر 1983 الالسكو ، تونس،

(3) Pérès , les relations entre le ta filet et le soudan , mélanges emile felix gautier tours 1937.

جوانبها ، أما اتجاهها فشمال إلى جنوب وبالعكس ، وأهم المسالك التي كانت تربط بلاد المغرب الأوسط و السودان الغربي عديدة غير أن المشهور منها هي :

1- من سجلماسة ، ينطلق إلى والاتة ومنها إلى تومبوكتو وجني وغاو

2- من تلمسان يمر هذا الطريق بغرداية و توات [1] و ينتهي إلى تومبوكتو .

3- من تقرت وورقلة ، ينطلق طريق آخر إلى غاو مباشرة وهذا الطريق يتصل شمالا ببضائع الموانى الجزائرية الهامة في الشمال ، مثل جزائر بن مزغنة وبجاية وغيرهما .

4- من واحة الجريد في جنوب تونس ، ينطلق طريق غالبا ما تمر قوافله بورقلة وسوف وغدامس .

5- من طرابلس الغرب على الساحل الليبي ، ينطلق طريق يمر بغدامس ويمر فرع منه بفزان و ينتهي إلى بورنو وغاو.

6- وينطلق من مصر طريق بواحة سيوة و بزويلة و تادمكة و ينتهي إلى غاو تومبوكتو.

وكانت هناك مسالك أخرى هامة تربط توات بجنوب الصحراء و بلاد السودان الغربي، فكانت تربط توات انطلاقا من تيدكلت بأهم المراكز التجارية على نهر النيجر ، وأهم المسالك التي بقيت مستعملة من طرف القوافل إلى نهاية القرن

(1) لقد كانت تتشكل توات من عدة واحات تمتد على هيئة شريط تتوزع فيه القصور و البقع المزروعة على مسافات تقل أو تقصر حسب كثافة الواحات و إمكانات الري ، ويمكن قطع المسافة بين قصر وآخر في أقل من يوم وفي أقصى الحالات في ثلاثة أيام، فكانت واحات توات تشكل في الواقع مراحل تتوفر فيا كل أسباب العيش للقوافل التجارية .

التاسع عشر مسلكان : مسلك يربط أقبلي بتمبوكتو (حوالي 1400كلم) وكان هذا المسلك يتوفر على المصادر المائية والكلأ للدواب و المؤن للرحالة خلال مراحل الرحلة .

أما المسلك الثاني فيربط مجموعتي قصور إن صالح و أقبلى بالمراكز التجارية في الضفة الشرقية لنهر النيجر كمركزي كانو و كوكا ، ويمر هذا المسلك بمرتفعات تاسيلي عبر أدغاغ وكانت هناك مسالك أخرى تربط توات بمراكز الشمال ومنها: [1]

- مسلك أن صالح – غدامس : يقع في اتجاه الشمال الشرقي بالنسبة لتوات ، وتكمن أهمية غدامس في انفتاحها على تجارة البحر الأبيض المتوسط عبر طرابلس و قابس و تونس . وطرابلس كانت أهم نهاية في هذا المسلك حيث كانت على اتصال دائم بغدامس التي تقتني منها البضائع السودانية التي تتصرف فيها بعد ذلك في مالطا و المدن الإيطالية.
- مسلك توات وسط المغرب الأوسط و شرقه: ترتبط توات بوسط المغرب الأوسط و شرقه بعدة مسالك تقع شرق العرق الكبير الغربي . ومن أهم هذه المسالك المسلك الذي يربط توات بغرداية جنوب التل الصحراوي . حيث تعد المنيعة أهم نقطة فيه .
- مسلك توات – جنوب المغرب الأوسط

(1) محمد أعفيف ، المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب و إفريقيا الغربية ، منشورات عكاظ الرباط، ص 54-58.

وهذا المسلك يرتبط بين جنوب وهران و يمر بفجيج فتفيلالت و يعد هذا المسلك أهم مسلك يصل توات بالشمال . فإذا كانت المسالك الأخرى عبارة عن نقط مائية متباعدة فان هذا المسلك تشكله في الواقع واحات متصلة من زاوية الرقان (آخر واحة في جنوب توات) إلى قصر ايغلى عند ملتقى وادي زوزفانة وقير .[1]

أما الطرق التجارية بين تلمسان الزيانية و بلاد السودان فكانت تنطلق من تلمسان فتتجه غربا نحو فاس ومن هناك تأخذ طريقها إلى سجلماسة نحو بلاد السودان فتقطع رحلاتها على ثلاث مراحل كبرى هي :

المرحلة الأولى تنتهي عند سجلماسة أو توات أو عين صالح و يربط بين كل محطة من هذه المحطات وبين تلمسان طريق و أهم هذه الطرق طريق تلمسان – سجلماسة الذي ينقسم بدوره إلى فرعين .

الأول يصل بين تلمسان و مدينة وجدة ليصل إلى منطقة تازة عبر تاوزيرت وجرسيف إلى فاس ، ثم يقطع بعض المدن في الجنوب و منها تادلا، و أغمات وريكة و درعة ثم سجلماسة .

أما الفرع الثاني فكان يربط تلمسان بوجدة ثم بجبل تامريت و ينتهي إلى سجلماسة و يلتقي الفرعان في سجلماسة وتبلغ المسافة بينها و بين عاصمة الدولة الزيانية حوالي عشر مراحل [2] طريق تلمسان توات:

ينقسم هذا الطريق إلى ثلاثة فروع:

---

(1) نفس المرجع ، ص 58 ، 59

(2) لطيفة بن عميرة ، الرحلة التجارية بين تلمسان و ممالك بلاد السودان الغربي ، حولية المؤرخ ، العدد 5 جوان 2005. ص 84.

1- فرع يشق ، عين الصفراء تيوت واد الناموس و ينتهي في شبه خط مستقيم عند سبخة كورارة .

2- فرع ثاني يتجه إلى سبدو و يعبر قصر بوسمغون إلى تيميمون .

3- فرع ثالث يمر عبر قصر الأبيض سيدي الشيخ إلى تيميمون .(1)

أما المرحلة الثانية فكانت تتمثل في الطرق التي تربط سجلماسة وتوات و إن صالح نحو بلاد السودان الغربي ، فمن سجلماسة إلى تغازا مدينة مناجم الملح ثم إلى ايولاتن بداية بلاد السودان .

أما المرحلة الثالثة و تمتد الطرقات في داخل بلاد السودان الغربي من ايولاتن تسير القوافل إلى زاغارا ثم بلد أرسو من مملكة مالي .(2)

ثانيا : نظام سير القوافل .

كان انطلاق القافلة محدد بالزمان و المكان ، فكان تجار يحددون طريق سفرهم لمدة شهرين فيختارون المسلك الذي تتخلله بعض المراعي ، و تنتشر على طوله الآبار وكان المسافرون يعتمدون على الجمل لسد حاجياتهم من الغذاء فيأكلون لحمه و يشربون لبنه. وكان المسافرون يكترون دليلا يسمى التكشيف ، يقود القافلة لا تضيع و يعرف أماكن الآبار و المسالك الآمنة و كان أغلب المرشدين من قبيلة مسوفة ، وكان الدليل يؤجّر بأثمان مرتفعة فقد أجّر ابن

(1) محمد آعفيف : المرجع السابق ، ص 58.

(2) لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 84.

بطوطة دليلا من تغازى إلى ايوالاتن بمائة مثقال من الذهب ، كما كان ملوك تومبوكتو يدفعون 7300 مثقال من الذهب لحماية رسلهم إلى سجلماسة . (1)

كانت القافلة تضم مجموعة من التجار يخضعون لنظام خاص كان على رأسها رئيس ، ويبدو أن القوافل كانت تسير في الشمال في فصول الربيع والصيف و الخريف وأما في الجنوب (الصحراء) فيذكر الادريسي أن " هذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف " (2) ، وكان المسافرون فيها يوقرون جمالهم في السحر الأخير و يمشون إلى أن يشتد الحر فيحطون أحمالهم ويقيدون جمالهم ثم يخبّمون على أنفسهم ضلالا تقيهم الحر . وتواصل القافلة مسيرها بعد العصر وتسير جزءا كبيرا من الليل ثم تتوقف لتأخذ قسطا من الراحة و تستأنف رحلتها عند آخر الليل حتى ترتفع درجة الحرارة ، فتتوقف مرة أخرى ، وكان يتراوح متوسط سرعة القافلة في الصحراء بين ثلاثة و أربعة كيلومترات في الساعة الواحدة، كانت تقطع القافلة ما بين خمسة وثلاثين وأربعين كيلومترا بمعدل عشر ساعات سيرا في اليوم. (3)

ولقد كان يتعرض التجار أثناء رحلاتهم لعدة أخطار :

-- ندرة الماء : كان المسافر في الصحراء يختار الطريق الذي يتوفر فيه الماء على مسافات المتقاربة و كان حسن الوزان قد ذكر أن بعض الدروب التجارية لم تكن تتوفر على منابع الماء كالخط الرابط بين ايوالاتن و تومبوكتو فلا يوجد

(1) جودت عبد الكريم يوسف المرجع السابق ، ص 212.

انظر أيضا لطيفة بن عميرة ، مرجع سابق ص 86.

(2) جودت عبد الكريم ، مرجع سابق ص 213.

(3) بشاري لطيفة ، التجارة الخارجية لإمارة بني زيان ، المرجع السابق ، ص 97. ، انظر أيضا لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 88.

بطوطة دليلا من تغازى إلى ايوالاتن بمائة مثقال من الذهب ، كما كان ملوك تومبوكتو يدفعون 7300 مثقال من الذهب لحماية رسلهم إلى سجلماسة . (1)

كانت القافلة تضم مجموعة من التجار يخضعون لنظام خاص كان على رأسها رئيس ، ويبدو أن القوافل كانت تسير في الشمال في فصول الربيع والصيف و الخريف وأما في الجنوب (الصحراء) فيذكر الادريسي أن " هذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف " (2) ، وكان المسافرون فيها يوقرون جمالهم في السحر الأخير و يمشون إلى أن يشتد الحر فيحطون أحمالهم ويقيدون جمالهم ثم يخيّمون على أنفسهم ضلالا تقيهم الحر . وتواصل القافلة مسيرها بعد العصر وتسير جزءا كبيرا من الليل ثم تتوقف لتأخذ قسطا من الراحة و تستأنف رحلتها عند آخر الليل حتى ترتفع درجة الحرارة ، فتتوقف مرة أخرى ، وكان يتراوح متوسط سرعة القافلة في الصحراء بين ثلاثة و أربعة كيلومترات في الساعة الواحدة، كانت تقطع القافلة ما بين خمسة وثلاثين وأربعين كيلومترا بمعدل عشر ساعات سيرا في اليوم. (3)

ولقد كان يتعرض التجار أثناء رحلاتهم لعدة أخطار :

- **ندرة الماء** : كان المسافر في الصحراء يختار الطريق الذي يتوفر فيه الماء على مسافات المتقاربة و كان حسن الوزان قد ذكر أن بعض الدروب التجارية لم تكن تتوفر على منابع الماء كالخط الرابط بين ايوالاتن و تومبوكتو فلا يوجد

---

(1) جودت عبد الكريم يوسف المرجع السابق ، ص 212.
أنظر أيضا لطيفة بن عميرة ، مرجع سابق ص 86.

(2) جودت عبد الكريم ، مرجع سابق ص 213.

(3) بشارى لطيفة ، التجارة الخارجية لامارة بني زيان ، المرجع السابق ، ص 97. ، أنظر أيضا لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 88.

إلا بعد مائة أو مائتي ميل وكذلك الطريق الرابط بين سجلماسة وتومبوكتو ، وكان المسافرون يلجئون إلى شراء الماء .

- **قطاع الطرق:** كان التجار يتعرضون لمضايقات قطاع الطرق الذين كانوا ينشطون في المناطق الشمالية خاصة في فصل الشتاء فمثلا في الطريق الرابط بين تلمسان و فاس كان يكثر فيه قطاع الطرق أغلبهم من الأعراب ، وكان ملوك بني عبد الواد يدفعون أموالا و يقدمون هدايا كثيرة للقبائل العربية و غير العربية المنتشرة حول طرق القوافل المتجهة نحو الغرب و إلى الجنوب لحراسة الطرق ومهما كانت الجهود التي تبذلها الدولة القائمة لتوفير الأمن و الضرب على أيدي قطاع الطرق إلا أن هذا الأمر صعب التحقيق لطول المسافات و طبيعة المجتمع القبلي ، فلا يخلو الأمر من وجود بعض أفراد القبيلة يعشقون الغزو و النهب والسلب .

ولقد كان المسافرون يعتمدون على أنفسهم في حماية قوافلهم بعدة وسائل منها حمل السلاح و الاستعانة ببعض الحراس المسلحين، إلى جانب ذلك كانوا يدفعون أموالا لشيوخ القبائل التي تعيش في المناطق التي يمرون بها.

ولقد قامت الدولة الزيانية ببناء أبراج المراقبة في النقاط الاستراتيجية من الطرق الشمالية . وكان قد وفّر ملوك مالي أيضا الأمن طوال القرن الرابع عشر الميلادي وهذا بشاهدة ابن بطوطة عند رحلته نحو بلاد السودان الذي قال :"فلا يخاف المسافر فيها و لا المقيم سارقا أو غاصبا" [1] .

[1] لطيفة بن عميرة، المرجع السابق، ص 89.

ثالثا: المكاييل و الموازين و المقاييس المستعملة في المغرب الأوسط و السودان الغربي.

لقد كانت المكاييل والمقاييس والموازين المستعملة في المغرب الأوسط والسودان الغربي لا تختلف عن تلك التي كانت موجودة في بقية أنحاء البلاد الإسلامية أو هي مأخوذة عنها و رغم شح المصادر في إعطاء تفصيلات كافية عنها.

- **المقاييس و الموازين و المكاييل المستعملة بالسودان الغربي:**

المقاييس و الموازين و المكاييل المستعملة بالسودان الغربي كانت على النحو التالي:

أ- **المقاييس** : كانت المقاييس التي تعارف عليها الناس في مملكة سنغاي بالسودان الغربي و تعاملوا على أساسها [1] :

1- **الشبر** : و يساوي الامتداد ما بين الخنصر و الإبهام و يساوي تقريبا 23 سنتيمتر. [2]

[1] عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي ، المرجع السابق ، ص 198. أنظر أيضا مبروك مقدم ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ج 1 دار الغرب وهران 2002 ص 215، أنظر أيضا الشيخ الأمين عوض الله ، تجارة القوافل بين المغرب و السودان الغربي و آثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم معهد البحوث و الدراسات العربية ، بغداد ، ص 92-93.

[2] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ص 19.

2- **الذراع** : وهو الامتداد ما بين عقدة المرفق و نهاية الوسطى و يساوي حوالي 50 سم تقريبا .

3- **الميل** : هو يستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة و قد قدر بـ 1920 مترا بالتقريب .

4- **الفرسخ:** كانت الفرسخ تقاس به المسافات الطويلة و كان يساوي ثلاثة أميال ، أي 1920 × 3 = 5760 مترا .

ب- **الموازين** : أهم الموازين المتعارف عليها هي :

1- **المثقال** : و كان يعادل وزن 72 من حبات القمح المتوسطة الحجم .

2- **الدرهم** : وهو يساوي 7 أعشار الدينار و هو يساوي 40 درهما

3- **الأوقية** : وهي تساوي حوالي 27,5 غ تقريبا .[1]

جـ- **المكاييل** : كانت المكاييل ببلاد السودان عامة و بلاد سنغاي خاصة كالآتي:

1- **المد** : وكان يساوي سعة أربعة ألواح بمجمع اليدين و قدر بـ 0,75 سل بالتقريب .

2- **الصاع:** وهو يساوي أربعة أضعاف المد أي ما يعادل ثلاثة لترات تقريبا.

3- **القنطار** : لقد قدر حسب دائرة المعارف الإسلامية بـ 100 رطل .[2]

---

(1) زبادية عبد القادر سنغاي ، المرجع السابق ، ص 199.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، ج2، 1927 ، ص 1081. انظر أيضا زبادية ، ص199.

4- **المودي** : و هو يساوي ما يحمله الرجل من حبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من الجلد .[1]

• المكاييل و الموازين و المقاييس المستعملة في المغرب الأوسط:

أ - **الموازين** : تختلف الموازين التي استخدمها سكان المغرب من منطقة إلى أخرى و هي تعتمد في بعض الأحيان على العرف وقد شاع منها :

1- **المثقال** : يعد أقدم وحدة للوزن عند العرب ، ويقدر المثقال الشرعي بوزن 72 حبة من الشعير المتوسط الحجم .[2]

2- **الدرهم** : كان وزن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب ، والأوقية منه 40 درهما ، وهو على ذلك 7 أعشار الدينار .

3- **الأوقية** : وهي تزن 7 مثاقيل أي حوالي 29,75 غراما أي 4,25 غرام (وزن المثقال الواحد ×7 = 29,75) .

4- **القيراط:** أصله قراط ، ويقدر بنصف دانق ، قيمته نصف عشر الدينار.

5- **الحبة** : كانت الحبة تمثل $^{1}/_{60}$ من وحدة الوزن المستعملة أي عشر دانق وهي وزن حبة القمح أو الشعير متوسط الحجم [3] ، وتختلف

(1) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 93.

(2) ابن منظور ،لسان العرب ،مجلد السادس ، ص 293.

(3) العبر، ج 7 ، ص 322. انظر أيضا DHINA , le royaume Abdelouadide à les poque d'Abou – hammou moussa 1 er et d'Abou – tachefin 1 er Alger 1985 P 171.

الحبة حسب وحدة الوزن المستعملة ، فهناك وزن حبة الفضة ، و حبة وزن الذهب ، وحبة المثقال و حبة وزن الدرهم.

ب- **المكاييل** : كانت المكاييل المستعملة في أسواق المغرب الأوسط هي :

1- **الصاع**: يستعمل لكيل الحبوب و يساوي الصاع الشرعي أربعة أمداد ، ويختلف حجم الصاع المستعمل في الكيل التجاري من مكان إلى آخر ، ولقد أشار العقباني أن صاعا كان يستعمل قديما قفي تلمسان (يعرف بالتاشفين) عوض بصاع أكبر كان يستعمل في زمانه يعرف بوهران[1].

2- **المد**: يخلف المد المستعمل في الكيل التجاري من مكان لآخر ، وهو عند بنو زيان ستون برشالة .

3- **البرشالة**: كانت تستعمل في كيل الحبوب ، و كانت تزن ثلاثة عشرة رطلا .

4- **الرطل** : يوزن و يكال ، ويقدر باثنتي عشرة أوقية و قدر أيام البكري في القرن الخامس للهجري (الحادي عشر ميلادي) باثنتين و عشرين أوقية، و في القرن العاشر للهجري قدره حسن الوزان بـحوالي 340 غراما .

5- **القنطار** : وهو معيار وزن الذهب أو الفضة و هو يختلف وزنه من مكان لآخر.

---

(1) العقباني التلمساني ، كتاب تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر ، تحقيق علي شنوفي ، ص 236.

جـ- **المقاييس** : كانت المساحات في المغرب الأوسط تقاس بالوحدات التالية :

1- **العرصة:** وطول ضلعها خمسة و عشرون ذراعا .

2- **المرجع:** وطول ضلعها خمسون ذراعا .

3- **الصنج:** و يقدر بمائة مرجع ، و يقدر تقريبا أحد عشر هكتارا .

رابعا : السلع و البضائع المتبادلة بين الإقليمين.

لقد ربطت الرحلات التجارية بين عالمين تجاريين هي : العالم العربي الإسلامي والسودان الغربي ، وقد كان للمغرب الأوسط دور هام في هذه الرحلات التجارية؛ فقد أدرك حكام الدولة العبد الوادية أهمية التبادل التجاري منذ وقت مبكر [1] لاعتقادهم أن ثروة الدولة تكمن في امتلاك أكبر كمية من الذهب، فقد حاول الأمير يغمراسن (633-681هـ/1235-1283م) الاستيلاء على مدينة سجلماسة محطة القوافل و بوابة السودان الغربي وقد استولى عليها سنة 662هـ-1224م لفترة قصيرة.

ولقد ارتبط سلاطين بني زيان بعلاقات ودية مع سلاطين كانم و برنو و سنغاي ومالي ، و تبادلوا معهم الهدايا و الرسائل وكانت العلاقات متصلة عبر الطرق الصحراوية كما ذكرنا من قبل فقد راسلوا ملوك مالي ، كما ارتبط هلال القطلاني، حاجب أبي تاشفين الأول، بالصداقة مع منسا موسى سلطان مالي 707-712 هـ / 1307 - 1321 م ، 735هـ 1337 م عندما التقى به في موسم الحج.

(1) سيد أحمد العراقي ، تجارة القوافل بين الشمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضاري ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث و الدراسات العربية بغداد 1984 ، ص 147-148 .

القطلاني، حاجب أبي تاشفين الأول، بالصداقة مع منسا موسى سلطان مالي 707-712 هـ / 1307 - 1321 م ، 735هـ 1337 م عندما التقى به في موسم الحج.

ولقد تجسدت هذه العلاقات التجارية بين الإقليميين (السودان الغربي و المغرب الأوسط) في تأسيس الاخوة المقري الخمسة لشركة تجارية و تعاملوا مباشرة مع سلاطين مالي، كانت هذه الشركة تضطلع بعبء الاتجار .

فقد قام الاخوة المقري بتنظيم المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط و ممالك بلاد السودان الغربي، فقد مهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار و تأمين التجار ، واتخذوا طبلا للرحيل ، و راية ترفع عند المسير [1] . لقد اشتغل الاخوة المقري الخمسة بأهم مدن السودان الغربي التجارية ، فكان أبو بكر ومحمد بتلمسان في مرسى هنين يستلمان السلع المستوردة من بلاد الأندلس و أوربا [2] . وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ؛ و عبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران " بإيوالاتن" [3] " فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط [4] و الديار و تزوجوا النساء ، واستولدوا الإماء ..." [5] وكان الشقيقان الصغيران يقومان بوضع الاتصال بين الأسواق السودانية و المغربية و يبلغان الأخبار عن أسعار السلع ، وقد ذكر لنا رولك المقري وقال " وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، و يبعث إليه الصحراوي بالجلد و العاج و الجوز و التبر ،

(1) المقري (أحمد بن محمد) ، نفح الطيب ، المجلد الخامس ، ص 205.

(2) عبدلي لخضر ، المرجع السابق، ص 108.

(3) DHINA , Les états , Op.cit P 368.

(4) الحوائط : جمع حائط وهو مزرعة النخيل .

(5) المقري ، نفخ الطيب ، المصدر السابق،ص 205.

و السجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران و الرجحان، و يكاتبها بأحوال التجار و أخبار البلدان ، حتى اتسعت أموالهم ... "[1]

إلى جانب أسرة المقري، اشتهرت عائلات تلمسانية أخرى بالتجارة مع بلاد السودان ، مثل عائلة العقباني و عائلة المرازقة، وكانت لها علاقات طيبة مع سلاطين الدولة العبد الوادية و سلاطين الممالك السودانية الذين شجعوها على ممارسة التجارة في بلادهم ؛ وقد التقى ابن بطوطة أثناء رحلته ، بعدد من التجار التلمسانيين و كانوا يقيمون بمالي ذكر منهم محمد ابن الفقيه الجزولي و صهره الفقيه المقري عبد الواحد ، و شمس الدين بن الفقويش [2] ، و الشيخ اللبان التلمساني ، الذي كان مقربا من منسى سليمان (1341، 1360م).

وقد استمرت الحركة التجارية نشطة بين بلاد المغرب الأوسط وبين بلاد السودان رغم الأزمة التي عرفتها في القرن الرابع عشر و المتمثلة في تحقيق سلاطين مالي الوحدة السياسية للسودان الغربي الذين سيعملون على الانفلات من قبضة الاحتكار المغاربي .[3]

ولقد لعب العرب المقيمون بالمغرب الأوسط من ذوي عبيد الله، من عرب المعقل ، وبن عامر يمارسون التجارة مع بلاد السودان فكان ذو عبيد الله يقومون برحلة ، في شتاء كل سنة، من بلادهم الواقعة جنوب تلمسان ، فيأخذون محور تلمسان توات و السودان الغربي ، ولقد ازدهرت الحركة التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد مملكة سنغاي التي أصبح ملوكها يهيئون

(1) نفس المصدر ،ص 205.

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 681.

(3) بشارى طليفة ، المرجع السابق ، ص 145.

الظروف الملائمة لاستقبال التجار و يستدعونهم لحفلاتهم و يستقبلونهم في بلاطهم و ما ذلك إلا للأهمية الاقتصادية و الحضارية التي كانت تنتج عن مجيء التجار بأعداد كبيرة إلى مملكة سنغاي خاصة في عهد الاسقيا الحاج محمد الأول (1493 – 1528م) [1].

كانت السلع تعبر الطرق التجارية (الصحراوية) في اتجاهين ، من الشمال (المغرب الأوسط) إلى الجنوب (السودان الغربي) ، ومن أهم صادرات المعرب الأوسط مواد فلاحية زراعية منها أو حيوانية ،ومنسوجات و بعض الصناعات الحرفية.

1- المواد الحرفيـــة:

- القمح: لقد جعلت الظروف الطبيعية من تضاريس و مناخ للمغرب الأوسط أن يتوفر على إنتاج وفير من الحبوب (القمح) على عكس السودان الغربي الذي كان يفتقد إلى هذه الظروف ، فلم يكن القمح غداء منتشرا بين الفئات الاجتماعية كلها بل كان يستهلكه الأثرياء من سلاطين و ملوك و تجار وغرباء [2] لأن ثمنه مرتفع وقد بيع في القرن الرابع عشر بمدينة تاكدة بحساب عشرين مدا من أمدادهم بمثقال ذهب و مدهم ثلث المد ببلاد المغرب [3] .

كما كانت يصدر المغرب الأوسط نحو السودان الغربي التين المجفف الذي يكثر استهلاكه في بلاد السودان إلى جانب الزبيب و عين البقرة ، و قد أشار صاحب

[1] عبد القادر زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 213.

[2] لطيفة بن عميرة ، الرحلة التجارية بين تلمسان و ممالك بلاد السودان الغربي، حولية المؤرخ العدد الخامس ، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين ، جوان 2005 ، ص 89.

[3] ابن بطوطة، الرحلة ، المصدر السابق ، ص 696 ، أنظر أيضا عبد القادر زبادية ، المملكة ، المرجع السابق ، ص 204.

الفتاش أنه في سنة 1594 كان يباع في سوق تومبوكتو كل عشر تمرات من تمر بسكرة بخمس ودعات [1] .

2- المواد الصناعيـــة :

كانت الأقمشة يصنع قسم منها ببلاد سنغاي ، أما القسم الآخر فكان يجلب من بلاد المغرب ومن أوروبا عبر مراسي المغرب ، حيث إن التجار الإيطاليين كانوا يردون خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر على بلاد الشمال الإفريقي فيبيعون بضائع عدة على رأسها الأقمشة ، و كان قسم هام منها يصدر إلى السودان الغربي [2] .

وكانت الأقمشة التي تصدر إلى السودان الغربي على نوعين منها التي تصنع في تلمسان ، كالمنسوجات الصوفية و يحاك منها البرنس و الزربية و الكساء ، ونسيج القطن حتى أصبح معظم لباس سكان السودان الغربي أيام الاسيقيين من الأقمشة القطنية .

وقد اختصت الطبقة الحاكمة في تلك الفترة بنوع من القماش كان يصنع في تلمسان وكانت لحمته من الحرير الطبيعي و سداه من القطن وكان يستعمله التجار و القضاة و الأغنياء عمائم وكفّنوا به موتاهم [3] .

وكانت أسعار الأقمشة في القرن السادس عشر لسنغاي :

(1) كعت ، المصدر السابق ، ص 219. انظر أيضا عبد القادر زبادية مملكة سنغاي ، المرجع السابق ، ص 204.

(2) زبادية ، المرجع السابق ، ص 205. انظر أيضا لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 91. انظر أيضا جورج مارسي ، تلمسان ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل ، البليدة الجزائر جوان 2004 ، ص 100.

(3) BARGES : Mémoires sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan sous le règne des Banizeyan (extrait de la revue d'orient de l' Algérie et des colonies , B. S juin 1853 Paris 1853 , P4 ، انظر أيضا زبادية، المرجع السابق ، ص 204.

- قطعة من ذراع و ستة أشبار (ملونة أو بيضاء) تساوي مثقالا واحدا من الذهب.

- القطعة من أقمشة فارس أو المشرق ، قياسها ثمانية أشبار كان سعرها مثقالا واحدا كذلك [1] . وكانت ترد على أسواق السودان الغربي بضائع مصنعة أخرى من أسواق المغرب الإسلامي أو من أوروبا عبر الموانئ المغربية كالأسلحة[2] المختلفة للدفاع و لتسليح القوات المحلية كالدروع والخوذ و الخناجر والسهام و التروس و أقواس النشاب و البنادق ، والسروج و الأجمة ، والمهاميز و أدوات حديدية أخرى كالقدور والأمواس و السكاكين و الإبر و الأواني المترلية ، و أدوات الزينة الجلدية والنحاسية ، و النحاس الأصفر ، و النحاس العادي سواء على شكل سبائك و صفائح و قوالب و أسلاك نحاس و الكحل و الكبريت و معظم هذه الأدوات كانت تأتي من أوروبا وخاصة الجمهوريات الإيطالية .[3]

وكانت تشكل العطور نسبة هامة من المواد التي تصدر إلى بلاد السودان الغربي، حيث يقبل عليها السكان فيشتروها بأثمان مرتفعة ، و يجني التجار منها أرباحا

---

(1) زبادية، مملكة، المرجع السابق ، ص 205.

(2) كانت أسعار الأسلحة مرتفعة في القرن العاشر للهجري (السادس عشر للميلادي) كان السيف الذي يساوي في أوروبا ثلث دوكا (ثلاثة فرنكات ذهبا) ، كان ثمنه هناك (في بلاد السودان) أربع دوكات أو على الأقل ثلاثا أي 43 فرنكا ذهبا أو يزيد كما أن أسعار السيوف لم تكن تتجاوز في مدن المغرب ثلث الاوقية الواحدة كانت تتراوح في بلاد السودان بين ثلاث و أربع أوقيات من الذهب أنظر Coudray , relation commerciale de Tlemcen avec le et le Soudan , dans bulletin de société de géographie d'Alger 2 eme année 1887. P 425. انظر أيضا زبادية المرجع السابق ، ض 204 ، 205.

(3) زبادية ، المرجع السابق ، ص 221 ، انظر أيضا مبروك مقدم ، المرجع السابق ، ص 209.

كبيرة ، وكان يستعملها في الغالب السلاطين و القضاة والوجهاء و الأثرياء الذين كانوا يعطّرون أجسامهم و ثيابهم ، إذ عزموا على الخروج إلى أماكن العامة، وكانت تشتريها العامة أيضا خاصة النساء وكانت ترد هذه المنتجات إلى السودان الغربي من أوروبا عن طريق المغرب الإسلامي خاصة تلمسان التي كانت تصنع بدورها أنواعا جيدة تستخرج من نبات الخزامى الذي يكثر بها .

و كان التجار يأتون بالعقاقير من مختلف أنحاء بلاد المغرب و المشرق الإسلاميين وأوروبا ومن تلمسان كانت تأخذ طريقها إلى بلاد السودان .

3- المعـادن :

أ- معدن النحاس :

كان النحاس قليلا ببلاد السودان الغربي إذ كان يستخرج فقط من مدينة تاكدة [1] و لقد لعب التجار المغاربة دورا كبيرا في توفير هذه المادة وتزويد بعض الحرفيين الذين يشتغلون بتصنيع النحاس[2] في سنغاي كانت مادة النحاس تمر عبر واحات توات لتصل إلى أسواق السودان الغربي .

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 697.

(2) أشار ابن بطوطة أنه كان يصنع من النحاس الأحمر قضبانا في طول شبر و نصف بعضها رقاق و بعضها غلاظ فيباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال الذهب و تباع الرقاق بحساب ستمائة و سبعمائة بمثقال . أنظر ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 697.

ب- الذهب :

لعل أهم السلع المجلوبة هي مادة الذهب التي كانت تتوفر بغاو وأودوغست وغانة وونقارة ... كانت تجلب هذه المادة على أشكال مختلفة : تبرا ، وسبائك وقطعا نقدية [1] .

ولقد وصف الادريسي قصر أحد ملوك السودان الغربي المسمى صالح ابن عبد الله من أحفاد الإمام علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه ، و الذي بني بالتحديد سنة 510 هـ و بعد وصفه للقصر يقول عن الذهب " أن له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسك في نار ، أو تطرق بآلة ، و قد نقر فيها ثقب وهي مربط لفرس الملك ، وهي من الأشياء المغربة التي ليست عند غيره ، ولا صحت لأحد إلا له ، و هو يفخر بها على سائر ملوك السودان . [2]

كما يصف البكري مجلس ملك غانة و كيفية تحليله بالذهب إذ يقول : وملكهم يتحلى بحلي النساء في العنق ، و الذراعين و يجعل على رأسه الطراطير المذهبة عليها عمائم القطن الرفيعة .. ويقول أيضا أن: وراء الملك عشرة من الغلمان يحملون السيوف المحلاة بالذهب " [3] .

لقد جازف التجار - وسط الصحراء المترامية الأطراف بما فيها من دروب وطرق صعبة و حرارة قاسية وانعدام المياه - وراحوا يبحثون عن مواطن الذهب من أجل اقتناء أكبر كمية ممكنة منه والذي كان نادرا في المغرب و أوروبا وبيعه

---

(1) Coudray . Op Cit . P 429.

(2) الادريسي: وصف إفريقيا الشمالية ، ص 07.

(3) البكري : المغرب ، ص 175.

بأسواق الشمال خاصة المغرب الأوسط تلمسان ، وهران ، هنين ... ، وكان التجار الأوربيون من فلورنسا و جينوة، و البندقية ، و ميورقة ، و برشلونة يأتون بمختلف السلع و البضائع لبيعها و اقتناء الذهب .

وما يستنتج أن ذهب السودان الغربي يغذي من حاجة عالم البحر الأبيض المتوسط من الذهب بما يقدر بالنصف وكان يصدر قسم كبير منه إما تبرا أو مصنوعا في شكل خيوط دقيقة ، وكان ينقل على ظهر الجمال وقوافل البربر عبر الصحراء ، إلى بلاد المغرب .[1]

جـ- الملـــح:

كان الملح يأتي في الدرجة الثانية بعد الذهب فكانت هذه المادة أساسية في المبادلات التجارية المغاربية السودانية ، وقد أشار ابن بطوطة إلى قيمته النقدية في السودان الغربي ، " وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب و الفضة يقطعونه قطعا و يتبايعون به "[2]

ويقول حسن الوزان عنه " يستخرج من المناجم بحفر سراديب كما يفعل بالرخام ومنه الرمادي والأبيض والأحمر ويكثر جدا في بلاد البربر ولا وجود له في بلاد السودان خصوصا في إثيوبيا السفلى ... ويجمد الملح في الصيف في بعض البحيرات الصغيرة و الغدران ببلاد البربر "[3]

---

[1] لومبار موريس ، الإسلام في مجلد الأول القرن 8-11 م ترجمة ، إسماعيل العربي ، م ، و ، ك ، ط 1 ، الجزائر 1979.

[2] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 674.

[3] حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2، ص 280.

كانـــت مادة الملح تباع بأثمان مرتفعة السودان الغربي ووقعت مقايضتها بالذهب ، وقد أشار ابن بطوطة أن السودانيين كانوا يتزودون ، بعد عودتهم من تجارهم بالشمال من ممالح تغازة لبيعها ببلادهم ، فكانت تغازة أكبر منطقة منتجة للملح المصدر إلى بلاد السودان ، " وكان يتعامـــل فيها بالقناطـــر من التبر " (1) ، ولقد تراوح سعره ببلاد السودان بين الارتفاع و الانخفاض فقد كان حمل من الملح في القرن العاشر الميلادي الذي بلغ " في دواخل بلد السودان و أقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار " (2) وقد أشار ابن بطوطة إلى ثمنه في القرن الرابع عشر " حيث يباع الحمل منه بايوالاتن بعشرة مثاقيل إلى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا إلى عشرين ، وربما انتهى إلى أربعين مثقالا " (3) .

د- العبيـــد :

كان التجار المغاربة يجلبون العبيد نحو المدن الشمالية (المغرب الإسلامي) من أكبر أسواق النخاسة التي كانت تنتشر بالسودان الغربي ومن أشهر هذه الأسواق سوق مدينة غار التي كان بها سوق من أكبر أسواق النخاسة، ولقد كانت حواضر المغرب الإسلامي ، تلمسان تونس ، طرابلس ، فاس ... بحاجة إلى العبيد المجلوبين من السودان ، فكان العبيد يستخدمون في ميادين مختلفة مثل الصناعة ، و استخراج المناجم كالملح ، والنحاس و الزراعة التي كانت تحتاج إلى الأيدي العاملة ، وكان العبيد يستعملون في نقل بضائع التجار و حراسة القوافل ، ويعملون في القصور وفي الجيش و في حراسة الملوك .

(1) ابن بطوطة ، ص 670.

(2) ابن حوقل ، صورة الأرض ، المصدر السابق ، ص 98.

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 674.

أما عن ثمن شرائهم فإنه يختلف حسب الأزمان، وحسب الأعمار فالشاب القوي أغلى من الضعيف وكانت أسعار العبيد تختلف من سوق لأخرى ، فيذكر ابن بطوطة أنه اشترى بتكدة خادما بخمسة و عشرين مثقالا من الذهب [1] .

كما بيعت طباخة بمائة قطعة ذهبية في القرن الثاني عشر الميلادي ، و بيعت أربعة إيماء في عهد الأمير أبي فارس الحفصي (776 - 838 هـ/ 1393- 1434 م) بأربعين دينار [2] وبيعت بنت شابة في الخامسة عشرة من عمرها ، في بداية القرن السادس عشر الميلادي بأسواق غاو بحوالي ست أوقيات من الذهب ، وكان الشبان يباعون بنفس الأسعار تقريبا [3] .ولقد بلغ سعر العبد بالدولة الزيانية عشرين دينارا والأنثى خمسة وعشرين دينارا .

فكانت تختلف أسعار العبيد حسب تقلبات قانون العرض و الطلب ، وقد أشار ابن بطوطة إلى غلاء الثمن المعلومات من الخدم وذلك لندرتهن في الأسواق ، ولم يكن الاسترقاق مرتبطا باللون الأسود ، حيث شاهد ابن بطوطة عند أحد الأمراء السودانيين بمدينه توجد شرق تمبوكتو " جارية له دمشقية عربية .

لقد كان معظم العبيد الذين يباعون في الأسواق السودانية يجلبون من مناطق الغابات الجنوبية الوثنية إلا أن أعدادا كبيرة من بينهم أيضا كانت من ممتلكات السكان العادية.

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 697 ، انظر أيضا بشارى لطيفة ، المرجع السابق ن ص 274 ، 275.

(2) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص 275.

(3) نفسه و الصفحة عينها .

ومن بين البضائع التي كانت ترد إلى أسواق الشمال خاصة أسواق بني عبد الواد كانت:

1- ريش النعام:

كان لريش النعام ، رواج كبير في الأسواق ، حيث أنه كانت تحشى به الأرائك والمخاد في البيوتات و القاعات ، كما تتخذ منه مراوح للتهوية أو للزينة، كان تجار المغرب الأوسط يجلبون منه كميات كبيرة من أسواق السودان.

بيض النعام:

كان بيض النعام يتخذ من محــه أحد العناصر الهامة في تركيب الأدوية فكانت أثمانه في الأسواق مرتفعة ... [1].

2- العــــاج :

يعــــد العاج من البضــائع التي وجــدت رواجا كبيرا في أسواق بني عبد الواد التي كــان التجار يجلبــون إليها أجــود الأنواع بكــميات كبــيرة و كانت تجلب هذه المــادة من منــــاطق الغــابات الجنوبية للســـودان الغــربي حــيث يعيــش الفيــل ووحيــد القــرن.

[1] زبادية ، المرجع السابق ، ص 220.

وكانت مـــادة العـــاج تستعـــمل في ميادين كثيرة مثل الترصيع [1] ، وفي حشوات المنابر ويدخل في صناعة الأثاث الفخم، وكان يقبل على شرائه الأوربيون لاستعماله في صناعة تحف المعابد و التماثيل ، والعصي .

[1] بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص 284 ، انظر أيضا نعيم فهمي زكي ، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب ، القاهرة .ص

الخاتمة

خاتمـــــة

من بين النتائج التي اهتديت إليها من خلال قيامي بهذه الدراسة هي :

1- عرف سلاطين دولة بني عبد الواد بنصرتهم للعلم وتأييدهم للعلماء، فظهر فيهم المؤرخ و الشاعر و الأديب و المتصرف .

2- عمل سلاطين دولة بني عبد الواد على إنشاء المؤسسات التعليمية من مساجد و مدارس ابتدائية و كتاتيب و معاهد عليا وجلب أبرز العلماء والأدباء شهرة .

3- عرف القرن الخامس عشر الميلادي تدفق أمواج المهاجرين على سواحل المغرب الإسلامي ينشدون في حواضره الحماية و الطمأنينة وكان أفراد المهاجرين يختلفون ثقافة وجاها فمنهم الفقير وفيهم الغنى ومنهم الكتّاب وأصحاب القلم وأصحاب الصنائع ، لقد ساهم هؤلاء المهاجرين بقسط وافر في دفع الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب الأوسط خاصة مجال العلوم الدينية ، ومن بين الأسر الأندلسية التي أنجبت عددا من العلماء أسرة العقباني التي برز فيها العالم العلامة الكبير سعيد العقباني ، وقاسم بن سعيد العقباني .

4- لقد عرف المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ظهور عقيدة المرابط و انتشار الزوايا و افتتاح عهد التصوف الذي شمل جميع الطبقات مجتمعة.

5- اهتم ملوك بني زيان بمختلف العلوم سواء كانت علوم نقلية من أدب ونحو وشعر ،وعلوم دينية من علم الحديث والفقه والتصوف وغيرها وعلوم عقلية واهتموا بها اهتماما كبيرا وتعمقوا في دراستها وكانت تشمل الرياضيات بفروعها من حساب وجبر وفلك وهندسة إضافة إلى الطب والكمياء وعلم الفلاحة والموسيقى وغيرهما .

6- اهتم ملوك بني زيان بمختلف العلوم سواء كانت علوم نقلية من أدب ونحو وشعر ، وعلوم دينية من علم الحديث و الفقه والتصوف وغيرهما وعلوم عقلية واهتموا بها اهتماما كبيرا وتعمقوا في دراستها وكانت تشمل الرياضيات بفروعها من حساب وجبر وفلك وهندسة إضافة إلى الطب والكمياء وعلم الفلاحة والموسيقى وغيرهما من العلوم.

7- كان للزوايا دور هام في تصحيح عقيدة المجتمع السوداني ومن بين هذه الزوايا و الطرق الصوفية:الطريقة القادرية التي انتقلت إلى وسط إفريقيا في القرن الخامس عشر ويعد الشيخ البكائي أحمد أول من أوصلها

إلى الأطراف الشمالية للسودان الغربي ، وكانت هذه الطريقة من بين الطرق الصوفية انتشارا بالسودان الغربي إلى جانب هذه الطريقة انتشرت الطريقة الشاذلية بالسودان الغربي و لعبت دورا هاما في نشر العلم والمعرفة.

8- إلى جانب الطرق الصوفية كان للزوايا دور مماثل وقد وصلت هذه الزوايا إلى السودان غربي عن طريق علماء توات الذين اشتهروا بكثرة ترحالهم وكثرة بنائهم للزوايا متعددة الخدمات ، فكانت عبارة عن منارات للعبادة و العلم ومراكز لإقامة الطلبة ونزول المسافرين وإيواء الفقراء وأبناء السبيل.

9- لقد كان لعلماء وفقهاء المغرب الأوسط دور هام في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي من خلال بناء المؤسسات الثقافية و الدينية من مساجد ومدارس ومعاهد عليا ومن بين هؤلاء العلماء و الفقهاء علماء توات الفقيه الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي كان ذلك الأثر الفكري و الديني في السودان الغربي على عهد الأسيقيين واتضح ذلك من خلال إنشاءه للزوايا التي كانت تهتم بالإرشاد و الوعظ ومن أسئلة الأسقيا محمد الحاج الكبير سلطان مملكة

سنغاي والتي كانت تعكس الحالة الاجتماعية و الاقتصادية الدينية التي آل إليها المجتمع السوداني في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر .

10- كان للفن المعماري وجود في أغلب مدن السودان الغربي خاصة بتومبوكتو وجني وغاو، فكانت هندسة منازلها وقصورها ومساجدها وأسواقها تشبه إلى حد كبير هندسة المدن المغربية .

11- لقد اعتنت الدولة الزيانية بالفلاحة و الصناعة و التجارة الداخلية والخارجية الأمر الذي جعلها تحتل مكانة اقتصادية هامة في المنطقة إذ أصبحت همزة وصل بين أسواق أوروبا (الجنوب الأوروبي) وممالك السودان الغربي.

12- ومن بين المنسوجات التي اشتهر بها المغرب الأوسط المنسوجات الصوفية بتلمسان و الحريرية بشرشال والمنسوجات القطنية بهنين .

13- اشتهر المغرب الأوسط بأسواقه العديدة كأسواق مدينة تلمسان، وسوق وهران، مستغانم وتنس وأسواق جزائر بني مزغنة،وسوق حمزة ، والتي كانت همزة وصل بين أسواق أوروبا وأسواق إفريقيا السوداء .

14- لقد ارتبط المغرب الأوسط بالسودان الغربي عن طريق التجارة التي عرفت بالتجارة الصامتة، وقد لعبت القوافل التجارية دورا هاما في جلب بضائع غريبة ونادرة بأسواق المغرب الأوسط ومن بينها الذهب و العاج والعبيد ، ولقد لعبت الشركات التي أقامتها العائلات التلمسانية كشركة الأخوة المقري و شركة عائلة المزارقة والعقباني دورا هاما في ازدهار الحركة التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي .

15- لقد نشأت عبر المسالك والطرق الرابطة بين السودان الغربي والمغرب أوسط خاصة بين الخط الرابط بين توات وتومبوكتو – مدن وهي أوران ، مبروك و أفراكان و تيمسا ، و أرنان ، وتاودين ، و والون وتيرشيومين وأقبلي.

المصادر والمراجع

1- المصادر

- أبو ضيف (مصطفى أحمد عمر)، القبائل العربية في المغرب في عصريي الموحدين و بني مرين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982.
- أحمد بابا التمبوكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق علي عمر المجلد الأول و الثاني ، ط1 مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،2004.
- أحمد بابا التمبوكتي نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، على هامش ديباج ابن فرحون دار الكتب العلمية بيروت 1891.
- الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية و الصحراوية جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق نشره هنري بريس مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية 1957.
- الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق محمد الحاج صادق 1983.
- ابن الخطيب لسان الدين الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 1 ، ج 2،ج3 تحقيق محمد عبد الله عنان ط1 ،القاهرة،
- ابن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق محمود فرج المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1977.

➢ ابن بطوطة محمد بن عبد الله ، رحلة بن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار تقديم محمد سويدي الجزائر 1989.

➢ ابن حوقل(النصيب أبي القاسم) : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة بيروت ، 1979.

➢ ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ج2 ، تحقيق الفراد بال .

➢ ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى) : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، الجزء الأول تحقيق عبد الحميد حاجيات.

➢ ابن خلدون : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، في أيام العرب و العجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ج6، ج7، دار العلم بيروت لبنان .

➢ ابن خلدون ، المقدمة ، مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبناني ، بيروت 1967 .

➢ ابن رشد ، فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الاتصال تعريف أبو عمران الشيخ و جلول البدوي الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

➢ ابن سحنون (محمد) كتاب آداب المعلمين ، تحقيق محمد عبد المولى ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981.

➢ ابن مرزوق(محمد التلمساني) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيفيرا ، تقديم محمود بوعياد الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر 1981.
➢ ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986 .
ابن منظور ، لسان العرب مجلد 6 ج 11.
➢ الالوري (آدم عبد الله) ، موجز تاريخ نيجيريا ، منشورات مكتبة الحياة بيروت 1965.
➢ البرتلي (محمد بن أبي بكر الصديق) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و محمد حجي دار الغرب الإسلامي بيروت 1981.
➢ البكري (ابن عبيد الله بن عبد العزيز) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب المعروف بالمسالك و الممالك، تحقيق دي سلان 1965.
بلعراف (أحمد التكني) ، إزالة الريب و الشك و التفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور و الصحراء أهل شنقيط.
➢ التنسي (محمد بن عبد الله) : نظم الدر و العقيان في بيان بني زيان حققه وعلق عليه محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 .
➢ جورج مارسي ، تلمسان، ترجمة سعيد دحماني دار النشر التل ، البليدة ، الجزائر جوان 2004.

- الحميري (محمد ابن عبد المنعم) ، الروض المعطار في أخبار الأقطار تحقيق إحسان عباس ط1 ، 1975.
- الزركشي (أبو عبد الله) ، تاريخ الدولتين الموحدية والـــحفصية ، ط2 ، تونس 1966.
- السعدي (عبد الرحمان) ، تاريخ السودان، تحقيق هوداس ، 1964
- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت 1315 هــ/ 1897م) 28ـ الاستقصا الأخبار دول المغرب الأقصى 9 أجزاء الدار البيضاء 1956م.
- عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ بن خلدون دار الكتب العلمية ط1 بيروت لبنان، 1992.
- العبدري (محمد البلنسي) ، الرحلة المغربية ، تحقيق أحمد ابن جدو مطبعة البعث قسنطينة .
- العقباني (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم ابن سعيد) تحقيق علي الشنوفي .
- العقباني التلمساني ، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي .
- علي ابن أبي زرع الفاسي، الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية دار المنصور للطباعة الرباط 1972.
- علي بن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة الرباط 1972.

- العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد ط1 ، 1988.
- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد) عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
- الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز)مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا تحقيق ، عبد الكريم كريم الرباط 1972م .
- فودي (محمد بلو ابن عثمان) ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق بهيجة الشاذلي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة محمد الخامس الرباط 1996.
- القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت 1960.
- القلقشندي (أحمد بن علي ت 821هـ/1418 م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج 5 القاهرة 1963م .
- القيرواني (ابن أبي دينار) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس تحقيق محمد سمام ، تونس 1967.
- مارمول كربخال : إفريقيا الجزء الأول و الثاني و الثالث ترجمة محمد حاجي و آخرون مكتبة المعارف الرباط 1984.
- مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة دار الرشاد الحديثة ، ط1 ،
- مجهول ، الاستبصار تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد 1986.

- محمود كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس وذكر وقائع التكرور ،تحقيق هوداس، باريس 1981.

المراكشي(محي الدين أبو محمد عبد الواحد المعجم في تلخيص أخبار المغرب القاهرة ط1، 1914.

- المغيلي (محمد ابن عبد الكريم المغيلي) ، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي تحقيق عبد القادر زبادية .
- المغيلي (محمد ابن عبد الكريم المغيلي) ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح تحقيق رابح بونار .
- المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر توفي 380 هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1، 2003.
- المقري (أبو العباس) ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس المطبعة الملكية الرباط1964.
- المقري (أحمد ابن محمد) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه إحسان عباس ، المجلد الخامس دار صادر بيروت 1968.
- ميغا (أبو بكر إسماعيل)، الحركة العلمية و الثقافية الإسلامية في السودان الغربية من 400 إلى 1100 هـ في عهد المماليك الإسلامية غانة ومالي.

الوزان (الحسن ابن محمد) ، وصف إفريقيا، الجزء الأول والثاني ، بيروت 1983.

➢ الونشريسي (أحمد بن يحيى) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية و الأندلسي و المغرب إعداد محمد حجي و آخرون الجزء الثاني ، دار الغرب بيروت لبنان ، 1981.

➢ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح توفي 284 هــ) ، البلدان ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1، 2002.

2.المراجـــــــع

-المراجع العربية

ـــ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981.

ـــ أحمد شكري : الإسلام و المجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230/ 1430. أبو ظبي 1999.

ـــ أرنولد توماس،الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم ـــ حسن ، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة مصر 1957.

ـــ إسماعيل (العربي)الصحراء الكبرى و شواطئها، الجزائر 1983 .

ـــ إسماعيل العربي المدن المغربية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

ـــ إسماعيل(العربي)،القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،الجزائر1983.

ـــ ابن قربة(صالح) ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى الشركة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.

ـــ بن قربة (صالح) ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، الجزائر 1986.

ـــ بن منصور(عبد الوهاب)، أعلام المغرب العربي،الجزء الخامس1410هـــ .1990

ـــ بوحوش (عمار) ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت ، 1997.

ـــ بورويبة رشيد الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ترجمة 20ــــ
شبوح إبراهيم الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الجزائر 1979.
ـــ الدراجي بوزياني ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993.
ـــ بوعزيز (يحيى) تاريخ إفريقيا الشمالية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، هومة للطباعة و النشر الجزائر 1996.
ـــ بوعزيز(يحيى)، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة دار الغرب الإسلامي بيروت ط1 ،1995.
ـــ بوعياد محمود ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع للهجري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982.
ـــ تشريب سبيترو فيتش ، حكومة العالم الخفية تر/ مؤمون سعيد البليدة الجزائر عمار هلال ، الهادي مبروك الدالي ، الإسلام و اللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا ، 1914/1850، 1996.
ـــ توات (طاهر) ، ابن خميس شعره و نثره ، ديوان المطبوعات الجامعية 1991.
ـــ جلاب حسن ، محمد سليمان الجزولي مقاربة تحليلية لكتاب الصوفية مراكش تينمل للطباعة و النشر مراكش المغرب .
ـــ جوليان (شارل اندريه) ، تاريخ إفريقيا ترجمة طلعت عوض أباضة القاهرة دار النهضة المصرية 1968.

ـــ الجوهري (يسري عبد الرزاق)، جغرافية الشعوب الإسلامية الإسكندرية 1981.

ـــ الجيلالي (عبد الرحمان)، تاريخ الجزائر العام الجزء الأول و الثاني ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982.

ـــ حاجيات (عبد الحميد) ، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره ط2، 1982

ـــ حاجيات (عبد الحميد) و آخرون الجزائر في التاريخ ، م.و.ك ، الجزائر 1984.

ـــ حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ط3، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1962.

ـــ حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام و العربية فيما يلي الصحراء الكبرى ط3 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1983.

ـــ حسن أحمد محمود ، الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر القاهرة مصر 2001.

ـــ حسن أحمد محمود الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي القاهرة .

ـــ حسن محمد (عبد الله) ، وقفات مهمة في التاريخ الإفريقي ، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ط1 ، جدة ، السعودية 1982.

ـــ حلمي (علي عبد القادر) ، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830 الجزائر 1972.

ـــ الحنفي (عبد المنعم) ، معجم مصطلحات الصوفية ط1 دار المسيرة بيروت لبنان 1980.

ـــ الدالي (الهادي المبروك) : مملكة مالي الإسلامية ط2 ،ليبيا 1999.

ـــ الدالي (الهادي مبروك) : التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء ،ط1 ،بنغازي ، ليبيا2002.

ـــ الدالي (الهادي مبروك) ، العلاقات ، بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن 7 - 9 هـــ / 13-15م. مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء ط1 ، 1991.

ـــ دي بور، تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ط 5 ، دار النهضة العربية بيروت ، 1988.

ـــ دياب (أحمد إبراهيم)، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث دار المريخ الرياض السعودية 1981.

ـــ سعد الله(فوزي) ، يهود الجزائر شركة دار الأمة للطباعة والترجمة ، الجزائر 1996.

ـــ سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي الجزء الرابع ، الإسكندرية 1995.

ـــ سعودي (محمد عبد الغني)، الاقتصاد الإفريقي والتجارة الدولية مكتبة الأنجلو مصرية 1973.

ـــ سوالمية (محمد عبد الرحمان) ، تمبوكتو جوهرة تغمرها الرمال بيروت مطبعة المتوسط 1986.

ـــ شلبي (أحمد)، تاريخ التربية الإسلامية ، دار الكشاف ، بيروت 1954.
ـــ طرخان (إبراهيم علي) ، إمبراطورية البرنو الإسلامية القاهرة 1975.
ـــ الطمار (محمد ابن عمرو)، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
ـــ طمار (عمرو محمد) تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
ـــ طمار(عمرو محمد)، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1983.
ـــ الظريف(محمد) ، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية 1800،1801 - 1956 ، جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب .
ـــ عبد القادر(زبادية) مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1591/1493. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر .
ـــ الغنيمي (عبد الفتاح مقلد) ، موسوعة المغرب العربي مج3 ، مكتبة مدبولي القاهرة مصر ص 170.
ـــ فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرن الثامن عشر و التاسع عشر الميلادي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977.
ـــ فهمي(نعيم زكي) ، طرق التجارة الدولية ومحطاها بين الشـــرق و الغرب ، القاهرة .
ـــ قداح (نعيم) ، حضارة الإسلام و حضارة أوروبا في إفريقيا الغربية دمشق سوريا 1965.

ـــ قداح(نعيم)، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام كوناكري 1960
ـــ ك. بانيكار (مادهو) تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا المعروف بالمثنية و الإسلام ترجمة أحمد فؤاد بلبع ط2 ، لندن ، 1998.
ـــ لومبار(موريس) ، الإسلام في مجده الأول القرن 8، 11 م ترجمة إسماعيل الغربي م. و. ك ط1 الجزائر 1979.
ـــ لومبارد (موريس) ، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى تر/ عبد الرحمان حميدة دار الفكر دمشق سورية 1998.
ـــ مؤنس (حسين) تاريخ المغرب و حضارته ط1 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان 1992 .
ـــ الماحي (عبد الرحمن عمر) ، الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر .
ـــ مخلوف(الشيخ محمد بن محمد) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب بيروت لبنان .
ـــ مقدم (مبروك) ،الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات و وممالك إفريقيا الغربية خلال القرق8 ــ9ــ10هــ/15ــ 16ــ17م ، دار الغرب للنشر والتوزيع ج 1، 2002 .
ـــ مقدم (مبروك)، أجوبة الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد ابن أبي بكر أسقيا الكبير ج2، دار الغرب وهران 2002
ـــ موسى (محمد منير) ، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية القاهرة 1983

ــ الميلي (مبارك بن محمد)، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث الجزء الثاني تقديم و تصحيح محمد الميلي المؤسسة الوطنية للكتاب 1979.

ــ النحوي الخليل: بلاد شنقيط المنارة ... و الرباط "، تونس 1987.

ــ نويهض (عادل) معجم أعلام الجزائر ط2، مؤسسة نويهض بيروت 1983 .

ــ هلال (عمار) ، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافية العربية في غرب إفريقيا الجزائر 1988.

الرسائل الجامعية :

- ❖أحمد حمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثره 870 ـ 1465م /909هـ 1503م جامعة وهران 2000/1999م .
- ❖بشارى لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13ـ 16م) ، رسالة ماجستير ، 1986ـ 1987 .
- ❖بن الديب (عيسى) ، التجارة في عصر دولة المرابطين ، 480-540 هـ/1056-1145م. كلية الآداب قسم التاريخ جامعة القاهرة 1990 .
- ❖بن داود (نصر الدين) ، أسرة المرازقة و دورها الثقافي بتلمسان من القرن السابع إلى العاشر 13 ، 16 م رسالة ماجستير وهران 2004.
- ❖بن عمر(حسن) ، أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي السملالي حياته، وآثاره ، رسالة ماجستير تلمسان2004/2003.
- ❖بوشامة عاشور ، علاقات الدولة الحفصية مع المغرب والأندلس 626ـ 981هـ /1228ـ 1573م ، جامعة القاهرة ، مصر 1991م
- ❖بوشقيف (محمد) ، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي ، رسالة ماجستير جامعة وهران 2004.

❖بوطارن(مبارك)، العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب ، قسم التاريخ جامعة لإسكندرية ، 1991.

❖التازي (عبد الهادي)، العلاقات الفكرية بين العالم العربي الإسلامي وغرب إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، رسالة الجامعية لنيل شهادة الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس الرباط ، المغرب 1993.

❖خوالد (فرحات الشريف)، أبو عبد الله بن خميس التلمساني 650ـ 708 هـــ حياته وآدابه عمان الأردن ، 1993 .

❖كريمي (ماجدة) ،العلاقات بين المغرب والسودان في العصـــر المريني ،رسالة لنيل دبلوم العالي في التاريخ ،جامعة محمد الخامس الرباط ،1987 ـــ 1988 .

❖السبانـــي (صالح الصادق) ، مملكة كانم – برنو وعلاقاتها بأقطار الشمال الافريقي من القرن الثالث إلى العاشر الهجري ، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ن الرباط 1988-1989.

❖شكراوي (خالد)، الدين و السلطة في إفريقيا الغربية ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس 1991/1990.

❖عباس عبد الله ، الدور الحضاري لإقليم توات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9 و 10 هــ 10/15 م. رسالة ماجستير الجزائر ، 2001/2000.

❖عبدلي (لخضر) مملكة بني زيان،رســالة ماجستير تونس ، 1987.

❖عبدلي(لخضر) ، الحياة الثقافية للمغرب الأوسط في عهد بني زيان ،. 1554/1236، دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط 633 /962جامعة تلمسان 2005/2004.

❖ــ عمر سلميان بوعصبانة ، معالم الحضارة الإسلامية بورجلان 296-626هـ 909-1229م رسالة ماجستير المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر 1991 /1992.

❖ــ لعرج (عبد العزيز)، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية ، دراسة أثرية معمارية وفنية ، ج1، جامعة الجزائر 1999م

❖ــ مكيوي محمد الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول ، 633–1236، رسالة ماجستير جامعة تلمسان 2000-2001.

❖ــ نقادي (سيدي محمد) ،التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالته الاجتماعية ، رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان 1991.

المجلات والدوريات :

ـــ مجلة المجمع العربي بدمشق ، ج2 المجلد40، أبريل 1965.

ـــ مجلة الأصالة عدد خاص عن تاريخ تلمسان و حضارتها عدد رقم 26 مجلة ثقافية تصدرها وزراه التعليم الأصلي و الشؤون الدينية السنة الرابعة رجب شعبان 1315 هـــ ، جويلية أوت 1975 الجزائر .

ـــ مجلة العلوم الإنسانية العدد 20 ديسمبر 2003 جامعة منتوري قسطينة، الجزائر 2003 .

ـــ مجلة الحضارة الإسلامية عدد خاص بملتقى دولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي وهران 1993 .

ـــ الفضاء المغاربي : مجلة دورية محكمة ، يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية أعلامها في المغرب العربي حتى القرن 5هـــ جامعة أبي بكر بلقا يد تلمسان جوان 2002.

ـــ مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ جامعة الجزائر العدد العاشر 1997.

ـــ مجلة التاريخ (يوم دراسي في قضية الصحراء الغربية ، المركز الوطني للدراسات التاريخية 1976.

ـــ مجلة المغرب الإفريقي ، معهد الدراسات الإفريقية الرباط عـــدد 4، المغرب 2003.

ـــ مجلة الأصالة عدد 53 صفر / محرم 1398هـــ جانفي الجزائر 1978.

ـــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نـــهاية القرن التاســـع عشـــر، بغداد ، العراق ، 1984.

ـــ مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد 1 ، الجزائر 1423 هـــ/2002 م .

ـــ المجلة العربية للثقافة عدد 5 ، الالسكو ، تونس ، سبتمبر 1983.

ـــ طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ الجزائر 200.

ـــ فرج محمود فرج : الدور الحضاري للإقليم التواتي في إفريقيا السوداء ملتقى الدراسات الإسلامية والعربية في القارة الأفريقية .

ـــ محاضرات ومناقشات الملتقـــى الحادي عشر للفكر الإسلامي ،المجلد الأول،ورجلان منشورات وزارة الشؤون الدينية قسنطينة 1984 .

ـــ معجم مشاهير المغاربة تنسيق أبو عمران الشيخ ، تقرير ناصر الدين سعيدوني ،إعداد فرقة البحث العلمي،جامعة الجزائر 1995 .

ـــ مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، العدد السابع ، 1993 .

ـــ موسوعة المغرب العربي ، المجلد الثالث، مكتبة مدبولي ميدان طلعت حرب القاهرة .

ـــ مجلة حولية المؤرخ ، العدد 5 جوان 2005 مجلة دورية يصدرها اتحاد المؤرخيين الجزائريين ، دار الكرامة للطباعة والنشر ، الجزائر 2005

مجلة حولية المؤرخ ، عدد 6 جويلية2005، مجلة دورية يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين ، دار الكرامة للطباعة والنشر ، الجزائر 2005
ـ مجلة طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ، 2001

المراجع الأجنبية :

* **Auguste**(cour), l'établissement des dynasties des shérifs au Maroc et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger 1509-1830, Paris 1904

* Rouire (l) ; le sud ouest Oranais et le Touat ; in revue de la société géographique d'Oran 1892 .

* Barges, Tlemcen , Ancienne capitale du royaume de ce nom 1859.

* **Chantal de la veronne** , Ouargla cite saharienne des origines au début du xx siècle ,librairie orientale Paule (G) ,Paris 1983.

* **Devors** (p) le Touat étude géographique et médicale , archives de l'institut pasteur T xxx ,n°34 septembre, décembre ,Alger1974.

* **Djehan desanges** , remarque critiques sur l'hypothèse d'une importation de l'or africain dans le monde Phenico- punique un actes de deuxième congrès international d'études des cultures de la méditerranée occidental II SNED , Alger 1978.

* **L'Avoix (h)** , catalogue musulmane , Espagne et Afrique.

* **Lombard** (m) L'Islam dans sa première grandeur

* **Pérès** , les relations entres le Tafilelt et le soudans mélanges emile felix Gautier tours 1937.

* **Sari** (d) , la dimension civilisationnelle de la route des caravanes ,in revue des caravanes , c.n.r.p.a.h. Alger 2001.

* **Williemes** (dedier) , recherches sur quelques grandes mosquees du Mzab et du sahel centrale , Paris1990/1991.

* Zakari (dramani Issifou, l'Afrique noire dans les relation internationales au 15siecle analyse de la crise entre le Maroc et Sonrhai , edition Karthala , Paris .

* **Barges**, Histoire de Beni Zeiyan roi de Tlemcen , Paris , 1852.

* **Coudray** , relation commerciale de Tlemcen avec le soudan , in bulletin de société de géographie d'Alger 2ème 1887 .

* **Cuoq (joseph)** ; histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest des origines à la fin du 15 siècle librairie orientaliste Paul Geuthne, Paris 1984.

* **DHINA (Atallah)** , les états de l'occident musulman au XIII , XIV , et XV siècles , O.P.V Alger 1984.

* Marçais (G) , conférence sur Tlemcen ville d'art et d'histoire , le 1504/1936 à Tlemcen au 2eme congre de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord .

* Marçais (G) remarques sur les Medersas Funeraires en berberie , le Caire imprimerie de l 'institut Français d'archéologie 1937 .

* **Marçais(g) , et william** ,les monuments arabes de Tlemcen , vol 1 paris 1903 .

* DHINA (A) , le royaume Abdelmouahidid à l'époque d'abou – hammou moussa 1er et d'abou Tachfine 1er Alger 1985.

* **Laroui** (abdallâh) , l'histoire du maghréb, librairie François Maspero ,1976, 1et 2.

الملاحق

شجرة ملوك مالي

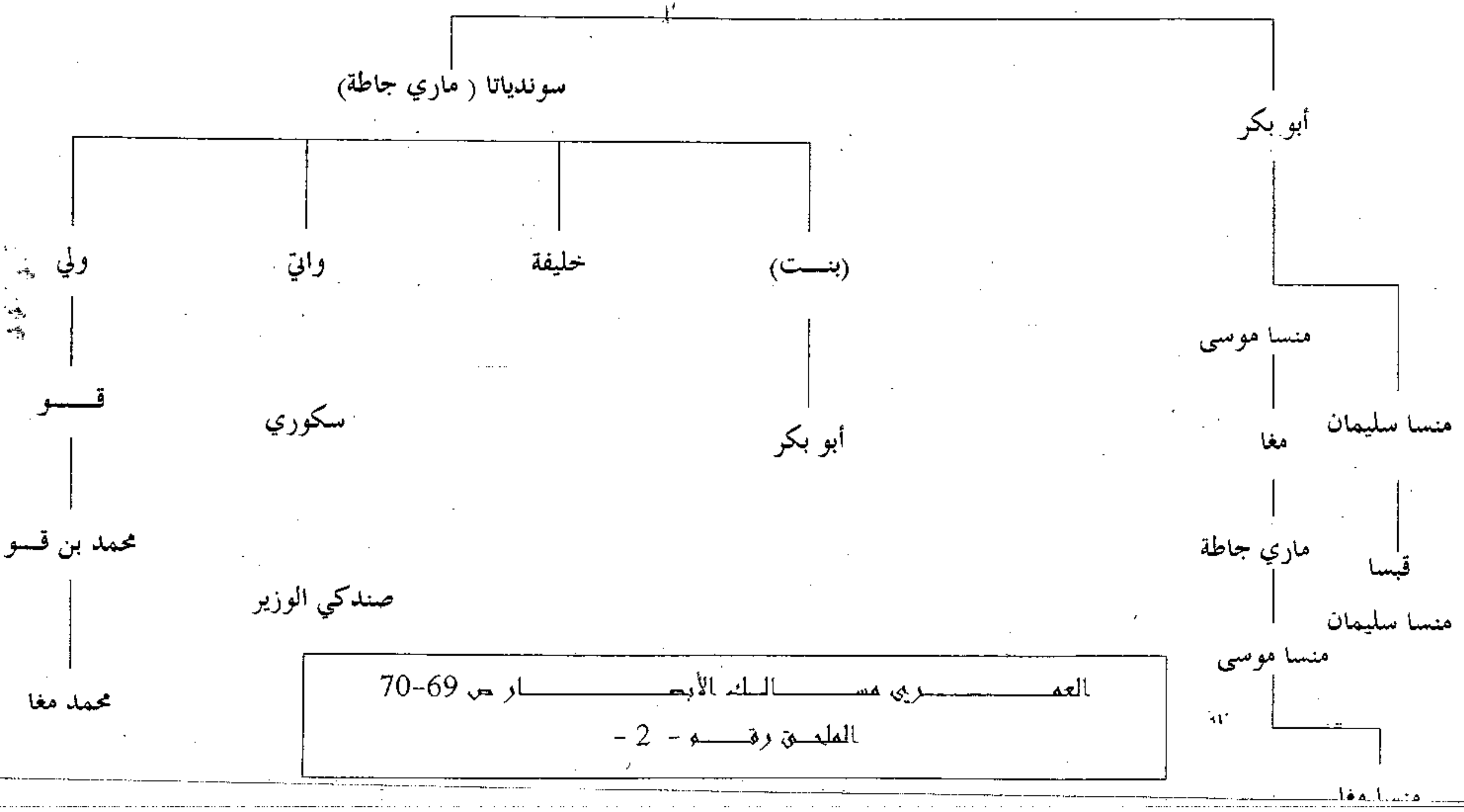

العمري مسالك الأبصار ص 69-70
الملحق رقم - 2 -

شجرة ملوك أسرة اسقيا

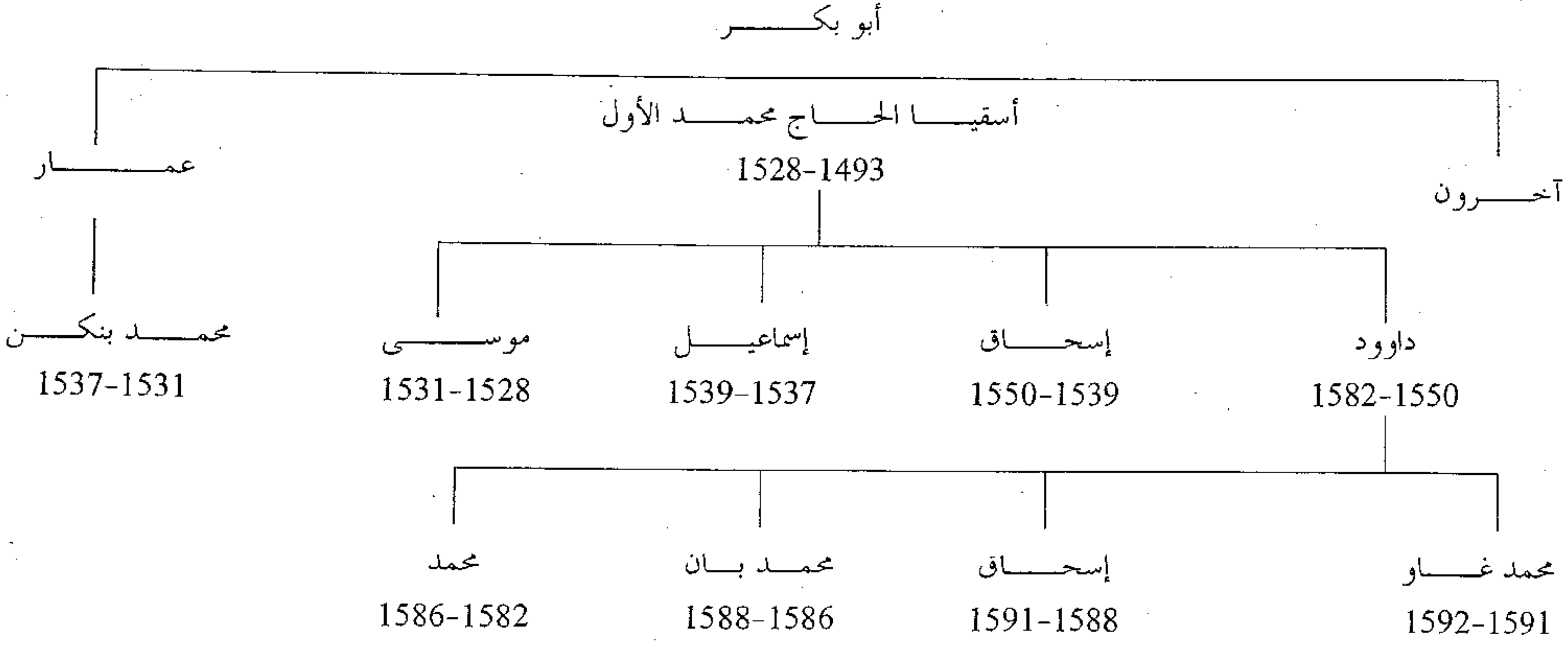

ملحق رقم 3

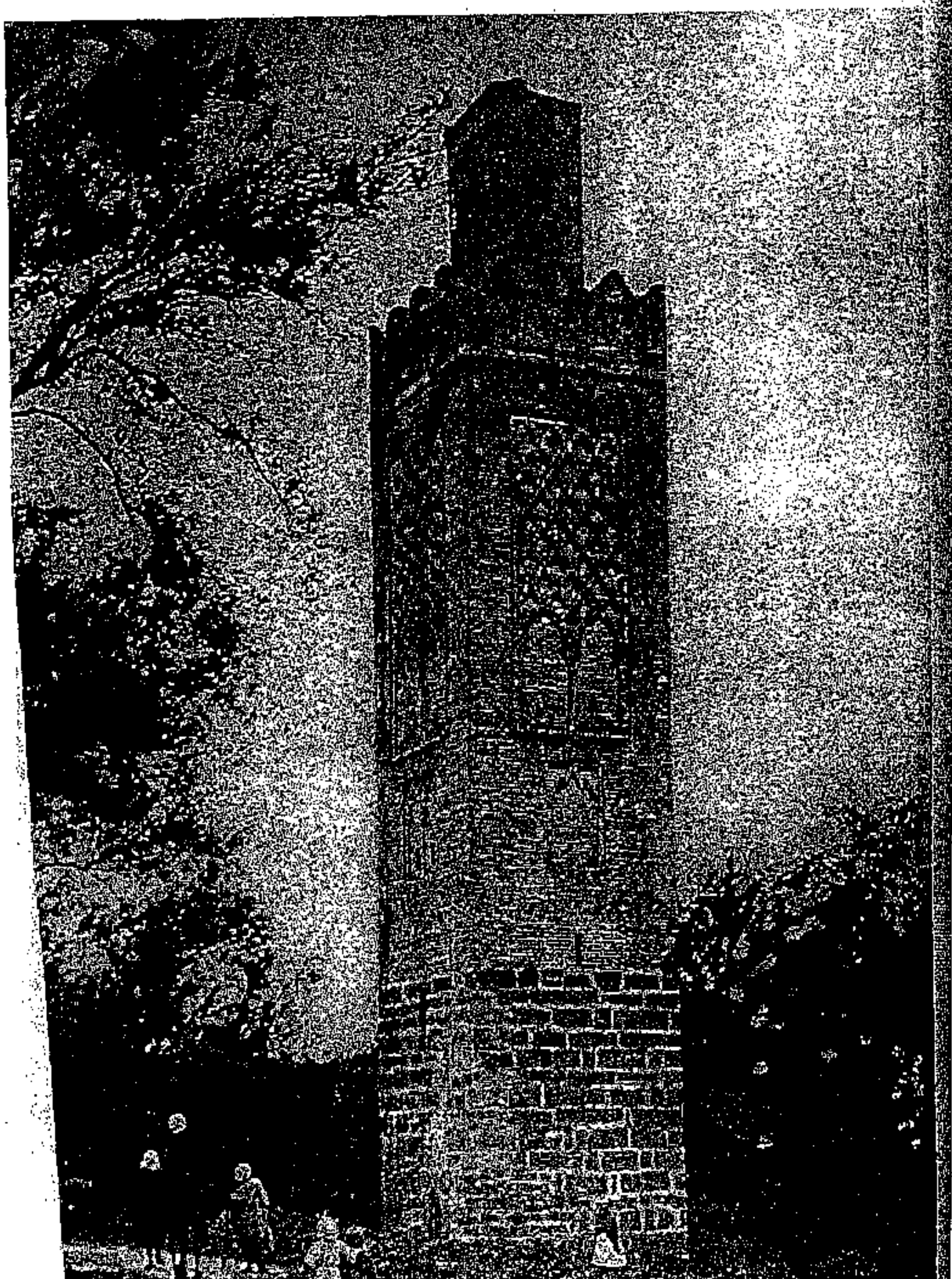

مئذنة مسجد أجادير

ملحـــق رقــم - 4-

مسجد سيدي أبي الحسن التنسي

ملحــــق رقــــم - 5-

محراب مسجد سيدي أبي الحسن التنسي

ملحـــق رقـــم - 6-

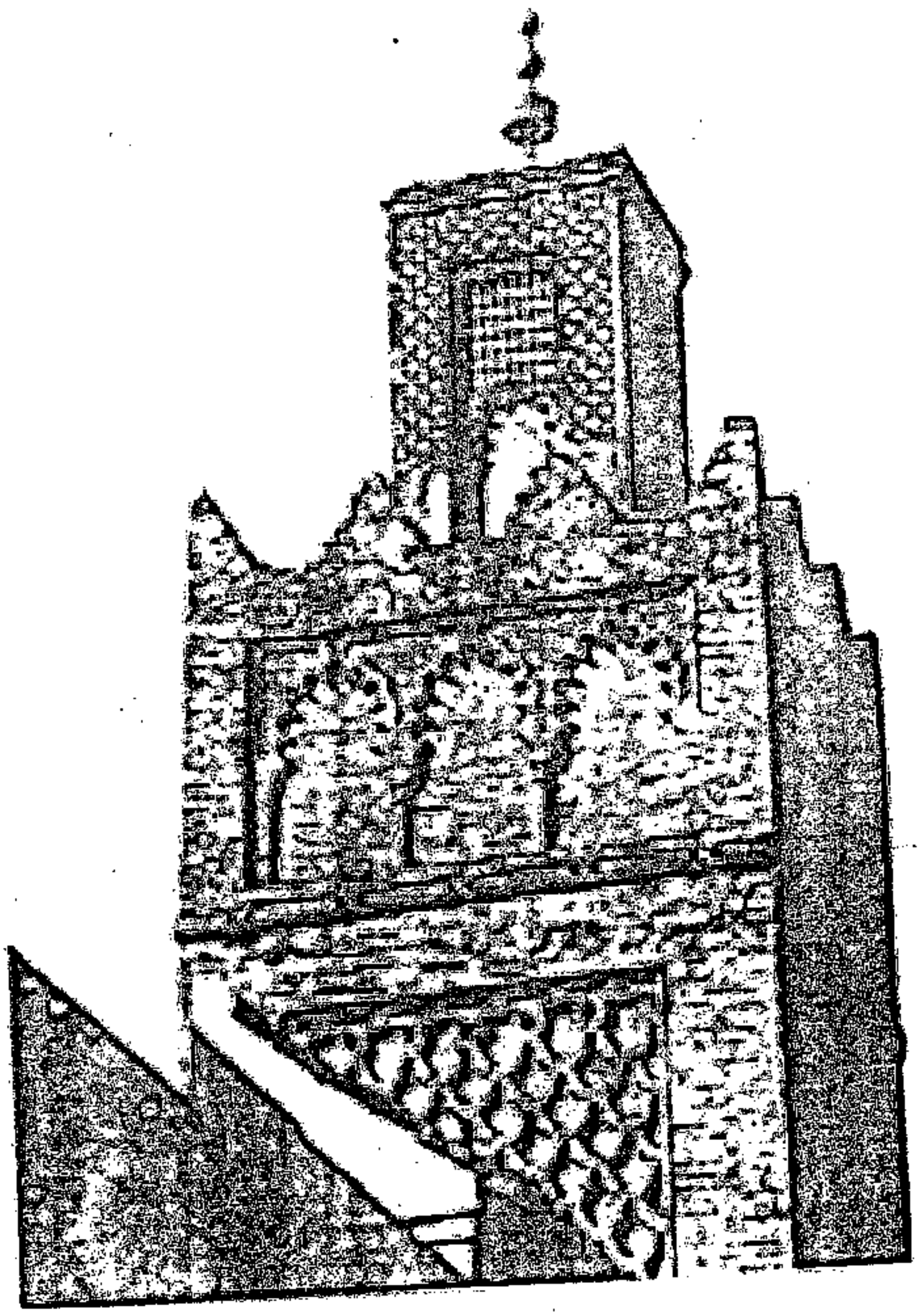

مئذنة مسجد سيدي أبي الحسن التنسي

ملحـــق رقـــم - 7-

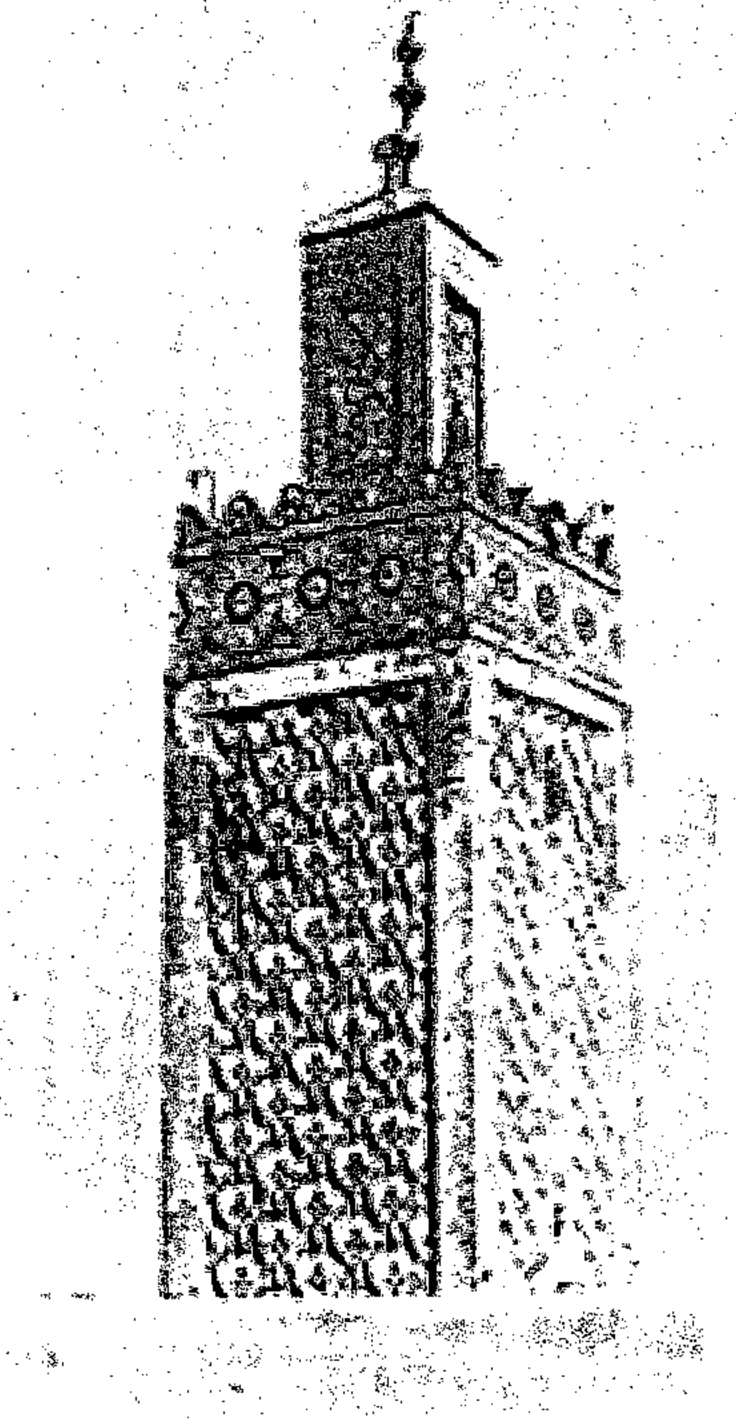

مئذنة مسجد سيدي أبي مدين

ملحـــــق رقــــم - 8-

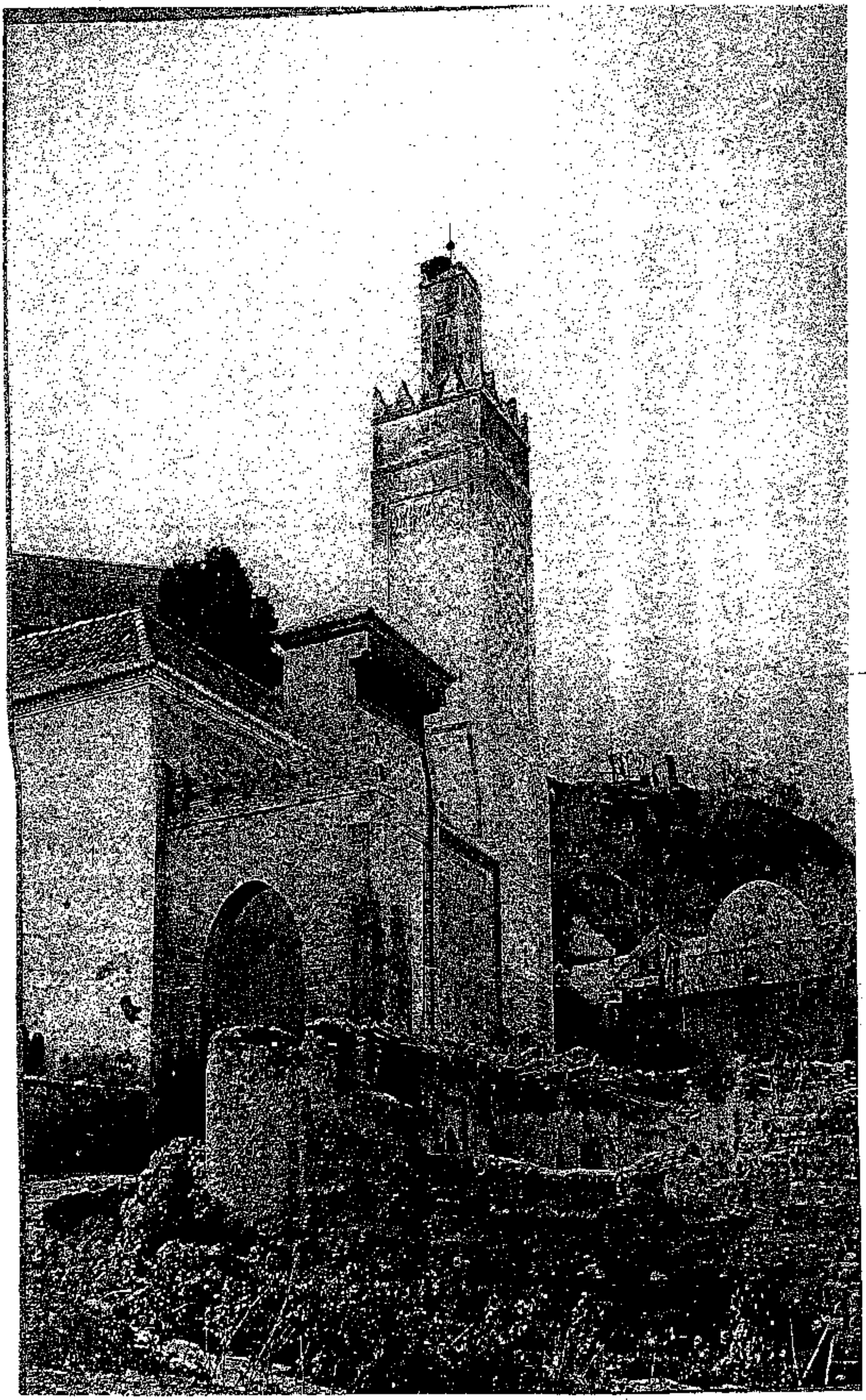

مسجـــد سيـــدي الحلـــوي

ملحـــــق رقـــم - 9-

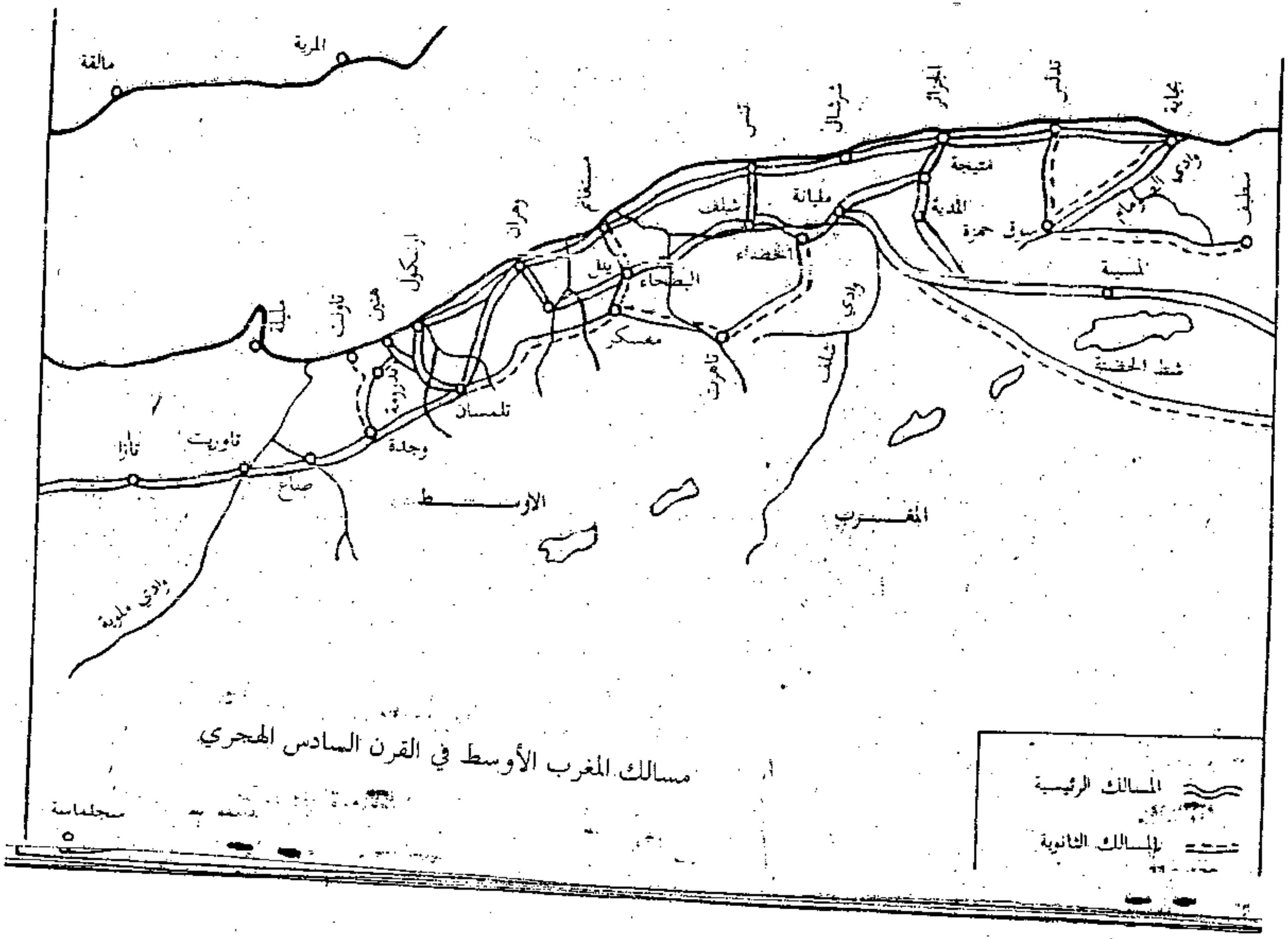
مالقة
المرية
مليلة
تاونت
هنين
ارشكول
وهران
مستغانم
تنس
شرشال
الجزائر
تدلس
بجاية
متيجة
مليانة
المدية
سوق حمزة
سطيف
المسيلة
شط الحضنة
شلف
الخضراء
البطحاء
معسكر
تاهرت
وادي شلف
تلمسان
وجدة
ندرومة
تازا
تاوريت
صاع
وادي ملوية
الأوسط
المغرب
مسالك المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري
سجلماسة
المسالك الرئيسية
المسالك الثانوية

ملحق رقم 10

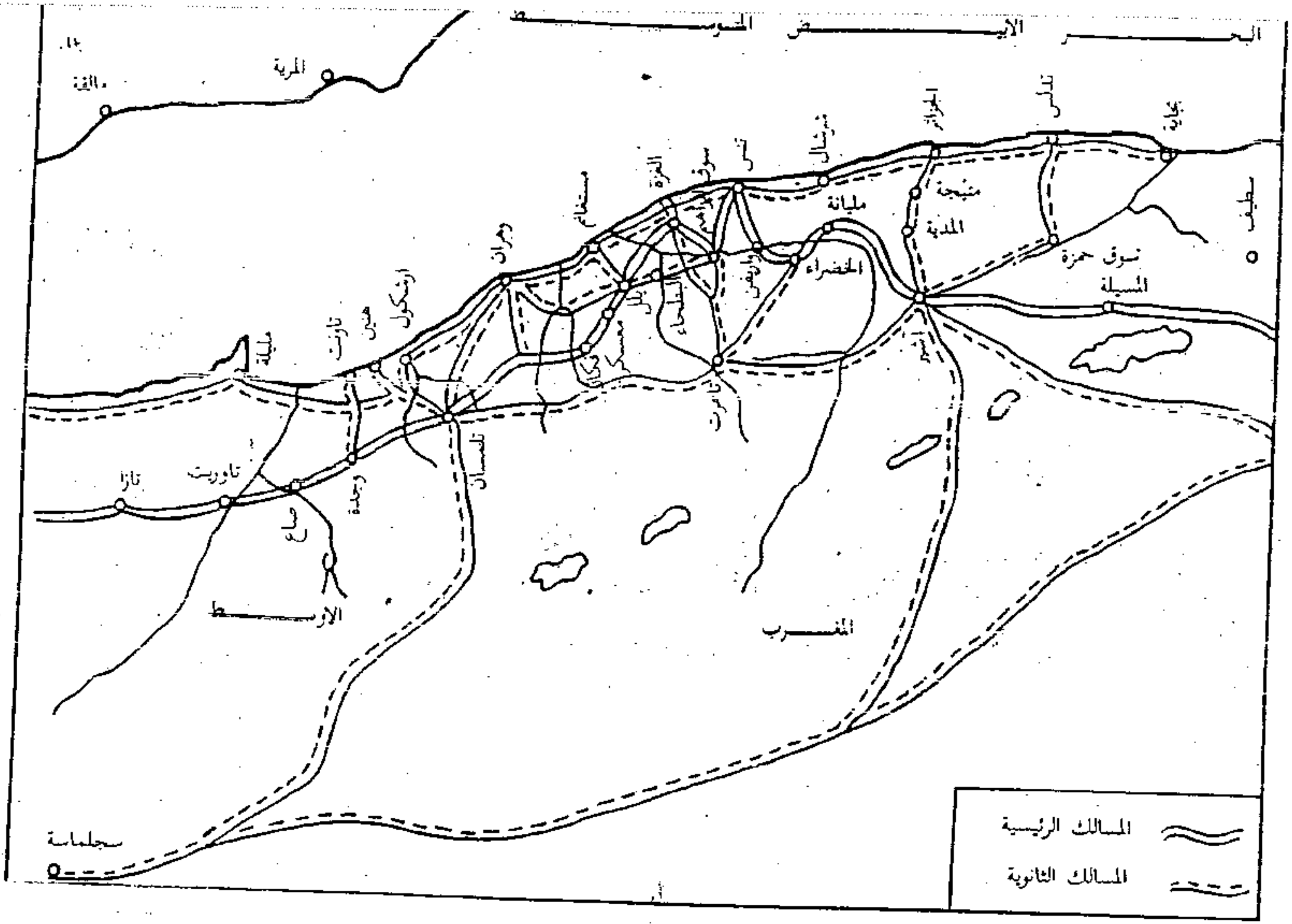

مسالك المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري

ملحق رقم 11

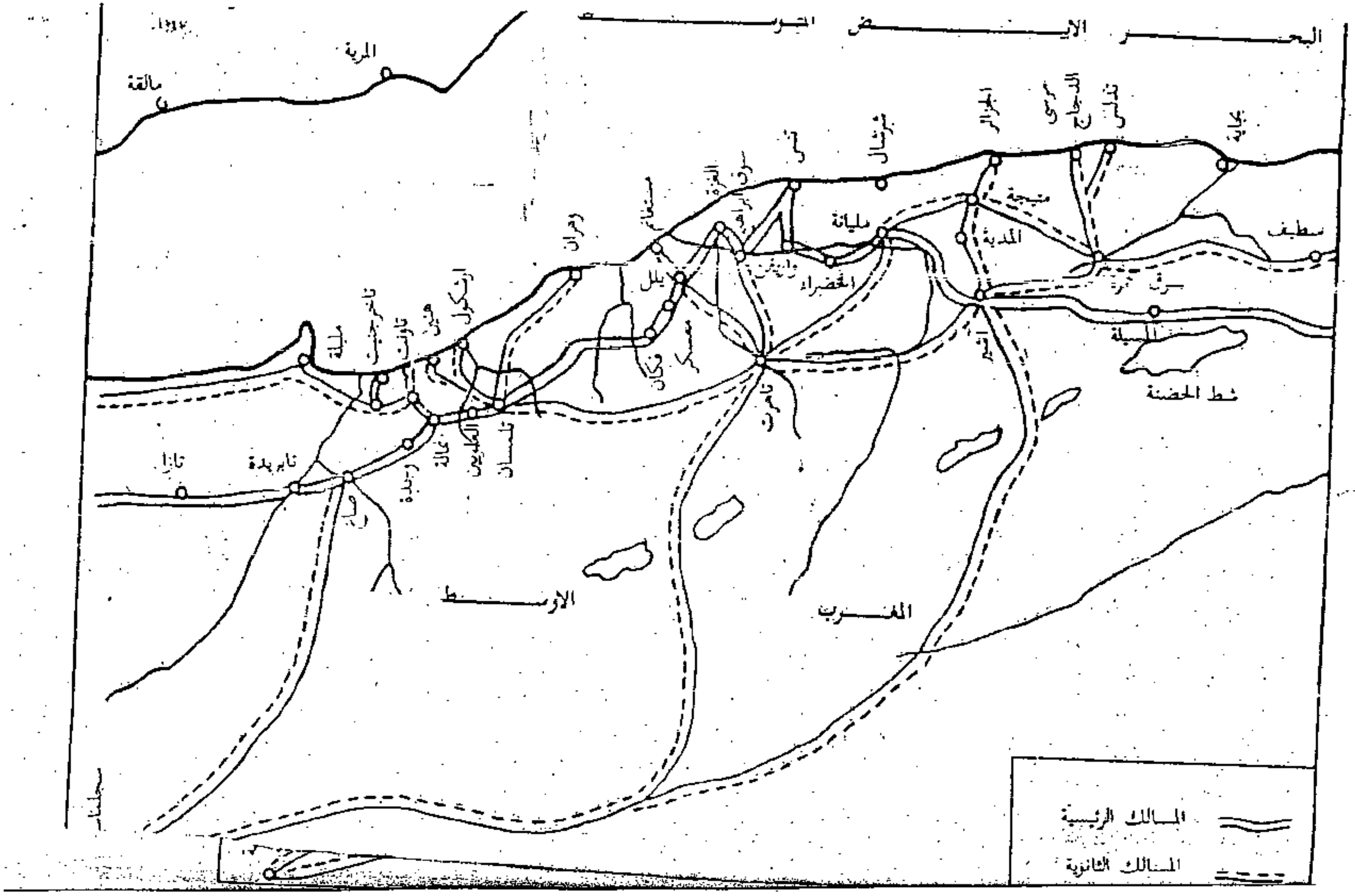

المسالك التجارية في القرن التاسع الهجري ملحق رقم 12

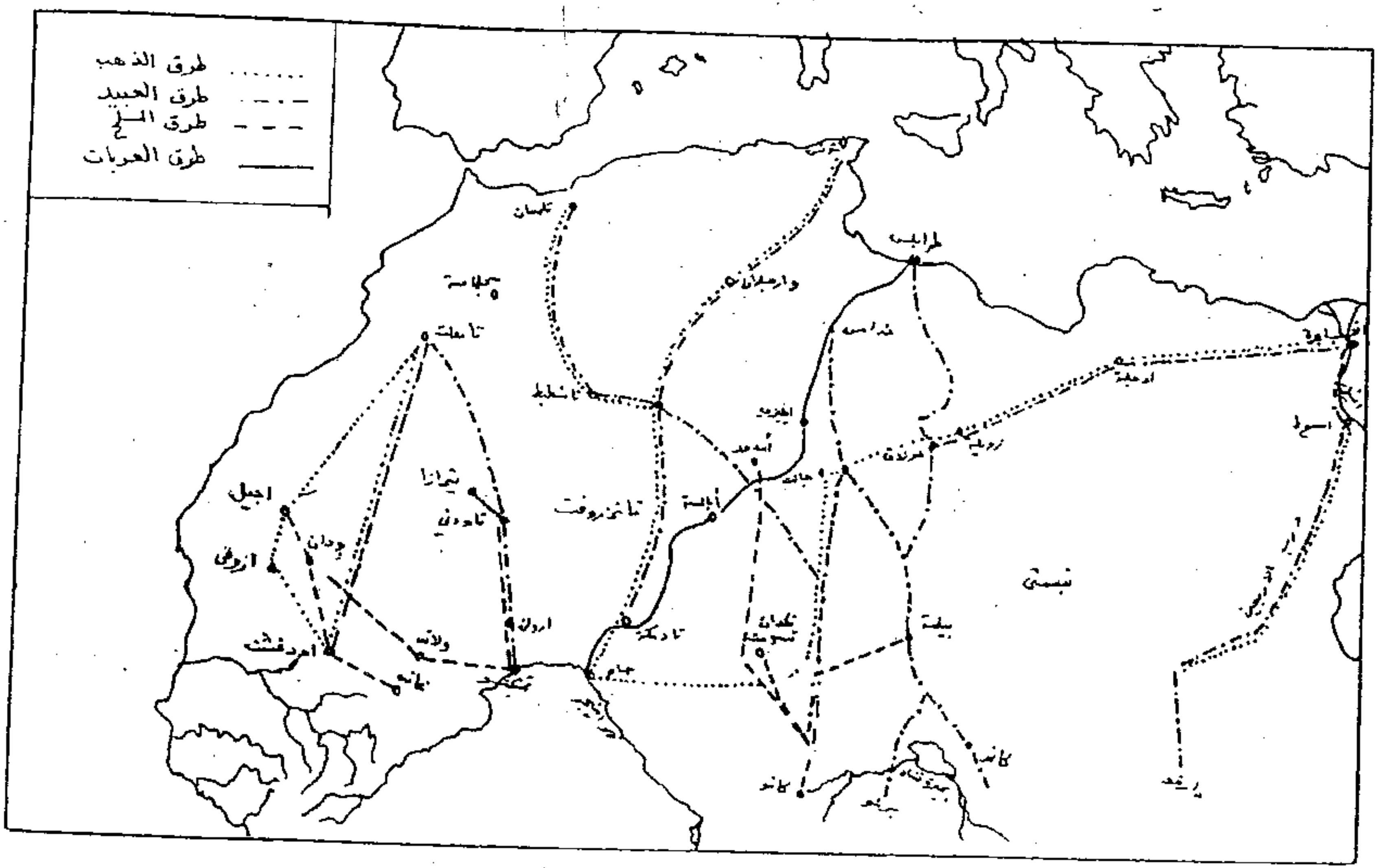
طرق الذهب
طرق العبيد
طرق الملح
طرق العربات
تلمسان
سجلماسة
تامدلت
طرابلس
غدامس
ودان
اودغست
ولاتة
اروان
تادمكة
جاو
تيبستي

ملحق رقم 13

Zakari Dramani Issifou , "l'afrique noire dans les relations internationales au XVIe siècle, analyse de la crise entre le maroc et le sonrhai", editions KARTHALA, Paris ,1982, P.91

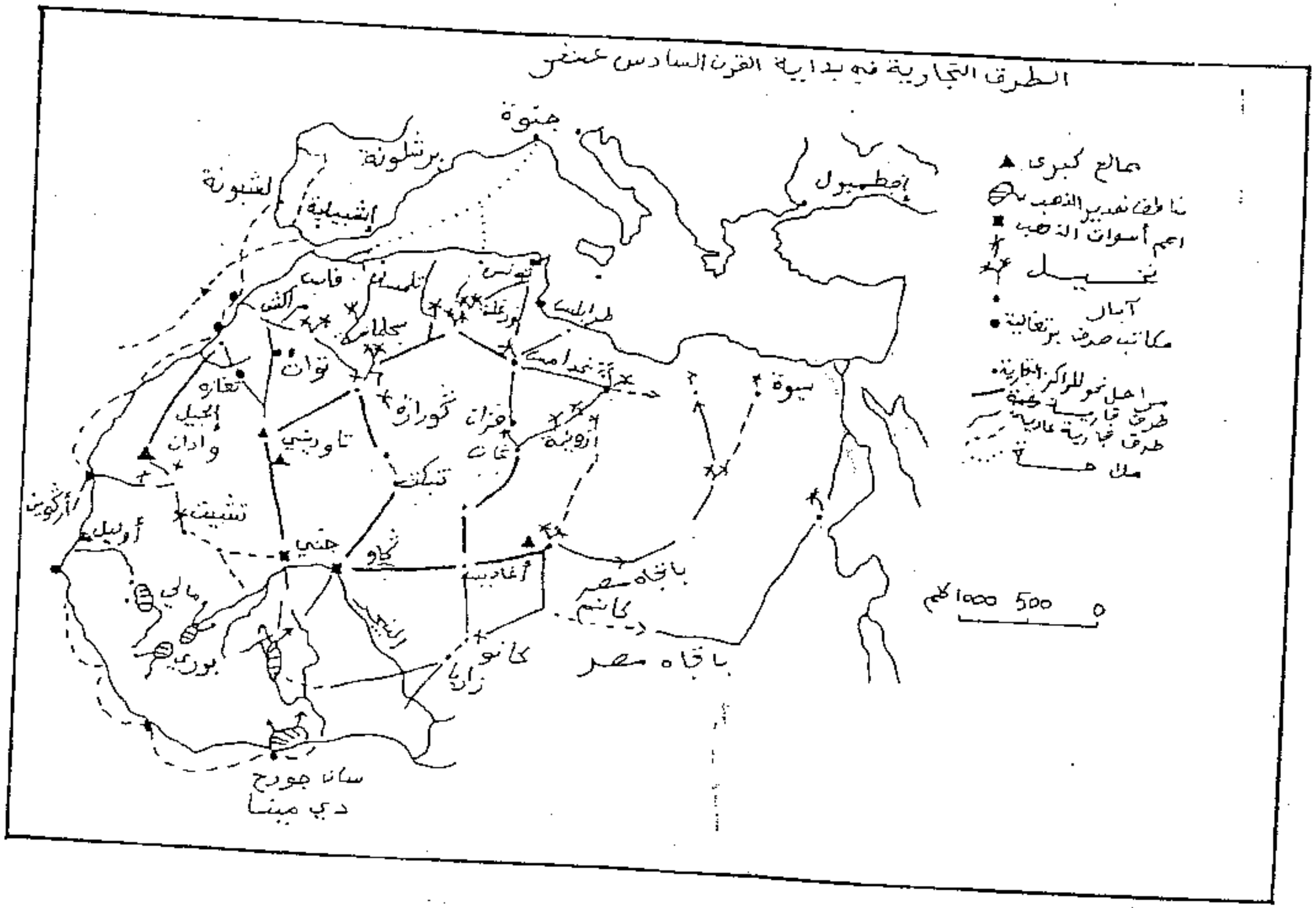

ملحق رقم 14

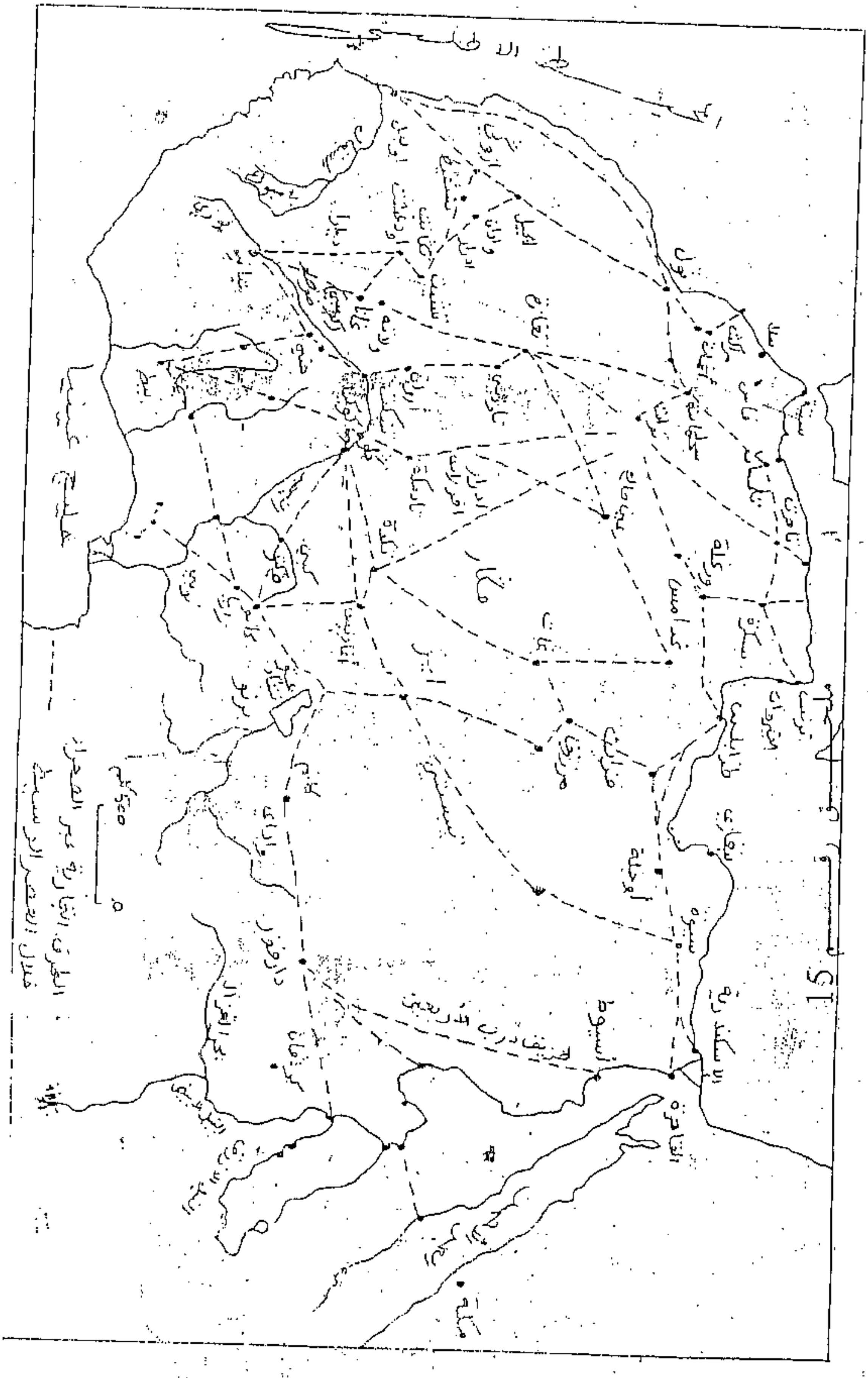

الفهارس

فهرس الأماكن والمدن والدول

آبلة ، ص 166.

الأبيض سيدي الشيخ ، ص 314.

أدوغست ، ص 40، 299، 300، 327.

أرغون، ص 272، 273، 274.

أرنان ، ص 304.

أروان ، ص 304.

الأزهر ، ص 151، 161.

الإسكندرية ، ص 150.

أشبيلة، ص 62، 240.

أغادس ، ص 190.

أغادير ، ص 13. 67

أغمات ، ص 313.

إغيل ايزان،ص 32.

أفركان ، ص 304.

إفريقيا ، ص 38.

أقادير ، ص 13.

أقبلي ،ص 312.

أقدز، ص 197، 302.

أقلي ، ص 304.

أكور ن ص 37.

الأندلس ،ص 28، 29، 46، 62، 64، 68، 74، 76، 87، 129، 133، 135، 140، 149، 277.

أهير ، ص216، 249.

أورار ، ص 238، 259، 260.

أوروبا، ص 17، 46، 272.

إولاتن ، ولاتة، ص 190، 200، 223، 256، 288، 301، 314، 315، 316، 322، 330.

اثيوبيا ، ص 329.

ارشكول ، ص 18، 267.

إفريقيا ، ص 149،29،19

ايسلي ، ص 23، 28.

ايغلي ، ص 313.

بامبوك ، ص 37، 293.

بامكو، ص 43.

بجاية، ص 19، 20، 92، 94، 95، 102، 107، 112، 118، 120، 149، 151، 153، 160، 161، 178، 193، 311.

برشك، ص 27، 71، 82، 108، 267، 261.

برشلونة ، ص 328.

برشلونة، ص 272.

برقة، ص 40.

برنو، ص 41، 292، 295، 311.

بسكرة ، ص 95، 288.

البطحاء ، ص 18، 32.

بطوية، ص 31.

بغداد ، ص 80.

بلاد السودان ، ص 17، 56، 239، 247، 257.

بلملم ،ص 42.

بوسمغون ، ص 314.

تاجرا ، ص 13.

تاجرارت ، ص 13.

تادلا، ص 13، 313.

تادمكت، 295، 311.

تازا ، ص 31، 313.

تاسيلي ، ص 312.

تامزدكت، ص 21.

تامسنا ، ص

تاهريت، ص 313.

تاودين ، ص 304.

تاوريت، ص 313.

تجرارت ، ص13.

تدلس ، 19، 30.

تديكلت ،ص 311.

تركيا، ص 103.

تسالة ، ص 267.

تسبيت ، ص 302.

تعزة ، ص 200.

تعزيزن ، ص 28.

تغازا ، ص 51، 52، 298، 314، 315، 329.

تقرت ، ص 240، 311.

تقيلالت ، ص 313.

تكرة ، ص248، 286، 292، 324، 330.

تكرور ، ص 56، 231.

تلمسان، ص 13، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 29، 32،30، 33، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 67، 68، 69، 71، 72، 74، 81، 84، 85، 86، 88، 92، 93، 95، 97، 99، 101، 106، 109، 113، 117، 121، 122، 124، 129، 134،133، 135، 136، 138، 141، 143، 146، 150، 154، 155، 161، 166، 167، 172، 176، 178، 179، 180، 181، 193، 237، 245، 256، 267، 270، 273، 274، 279، 280، 281، 283، 295، 302، 303، 310، 313، 322، 323، 325، 330.

تمبكـــت ،تومبوكتو ، ص 45، 46، 47، 48، 52، 54، 55، 190، 191، 195، 196، 197، 215، 216، 271، 219، 221، 223، 226، 253، 256، 297، 299، 303، 305، 311، 315، 331.

تمبو ، ص 257.

تمنطيط ، ص 241، 242، 243 ، 224 .

تنرغة ، ص 259.

تنس ، ص 309.

تهرت، ص 151، 309.

توات ، ص 14، 124، 126، 165، 196، 222، 238، 239، 241، 242، 243، 247، 256، 262، 285، 298، 301، 303، 304، 308، 311، 313، 323.

تونس ، ص 19، 29، 62، 69، 94، 96، 102، 103، 110، 151، 153، 170، 175، 183 ، 309، 311، 312، 330.

تيمسا ، ص 304.

تيميمون ، ص 238، 304، 314.

تينملل ، ص 71.

تيوت، ص 314.

جانت ، ص 240.

جبل راشد، ص 15.

جراوة ، ص 309.

جرسيف ، ص 313.

الجريد، ص 311.

الجزائر ، ص 14، 19، 27، 30، 60، 65، 74، 86، 87، 95، 102، 107، 269، 272، 311.

جني ، ص 46، 47، 51، 54، 190، 198، 200، 226، 217، 228، 253، 299.

جوجو ، ص 296.

جينوة ، ص 328.

الحجاز،ص 103، 218، 230.

الخرطوم ، ص 258.

دار فور ، ص 258.

درعة، ص 298.

دنري ، ص 200.

رغازي ، ص 296.

رغيس ، ص 20.

الرقان ، ص 313.

زا، ص 17.

الزاب ، ص 110.

زغاي ، ص292، 314.

زوزقانة ، ص 313.

زويلة ، ص 311.

الزيتونة، ص 66، 69.

زيز ، ص 309.

سبتة، ص 32، 32، 93، 175.

سبدو ، ص 314.

سجلماسة ، ص 14، 29، 30، 40، 273، 296، 298، 301، 303، 308، 309، 313، 315، 322.

سعيدة ، ص 14.

سلا ، ص 98.

سنيغال ، ص 37، 257.

سنغاي ، ص 47، 48، 49، 51، 52، 53، 189، 191، 195، 199، 212، 219، 230، 234، 237، 285، 293، 294، 318، 321، 325.

الســـودان الغربي : أ، ب ، ج ، د ، ص 17 ، 30 ، 35 ، 50 ، 53 ، 125 ، 187 ، 188 ، 189 ، 190 ، 206 ، 210 ، 211 ، 214 ، 219 ، 275 ، 230 ، 237 ، 244 ، 245 ، 246 ، 249 ، 251 ، 245 ، 255 ، 262 ،

سوق إبراهيم ،ص 309.

سوق حمزة ، ص 309.

سيوة ، ص 311.

الشام ، ص 246، 277.

شرشال ، ص 108، 268.

شلف ، ص 27، 267.

شومين ، ص 304.

الصفصيف ، ص 27.

طليطلة، ص 63.

طرابلس ، ص 40، 193، 297، 298، 330.

طنجة، ص 23.

طور ، ص 48، 226.

العراق ، ص 277.

العلوين، ص 169.

غانة ، ص 35، 36، 37، 38، 39، 40، 42، 43، 188، 191، 253، 296، 299، 300، 301، 309، 327، 328.

غاو ، ص 45، 46، 47، 53، 190، 199، 200، 201، 219، 228، 253، 293، 296، 296، 303، 309، 311.

غدامس ، ص 40، 297، 298، 311، 312.

غرداية ، ص 311، 312.

غرناطة ، ص 21، 29، 60، 62، 96، 130، 133، 179، 180، 182، 240.

غينيا ص 35 ، 37 ، 44 ، 257

فارس ، ص 277، 305.

فارس ، ص 326.

فازار ، ص 13.

فاس ، ص 23، 32، 65، 66، 96، 121، 149، 153، 154، 155، 193، 256، 260، 261 ، 295، 313، 330.

فزان ، ص 297، 311.

فسطالة، ص 24.

فقيق ، أو فجيج ، ص 14، 15، 313.

فلورنسا ، ص 328.

فوتاجالون ن ص 257.

قاليمي ، ص 37.

القاهرة ، ص 45، 46، 96، 150، 151، 161، 182، 188، 230، 295.

قابس ، ص 312.

قرطاجة ، ص 308.

قرطبة، ص 68.

القرويي، ص 66، 69، 193، 260.

القيروان، ص 27، 65، 66، 168، 256، 295.

قسنطينة ، ص 14، 20، 95.

قشتالة ، ص 27، 149، 273.

قفصة، ص 13.

قورارة ، تيكورارين ، ص 30، 241، 268، 302، 303، 314.

كابرا، ض 218، 225.

كاغو 125 ، 245 ، 250

كالزاد، ص 179.

كانم ، ص 296، 321

كانو ،ص 125 ، 249 ، 250 ، 312 ، 317، 321، 323، 324، 326، 327، 330.

كرينا ، ص 42، 43.

كشن ، ص 249.

كنكا، ص 257.

كوكا ، ص 312.

كوكو، ص 42، 214.

كوكوا ، ص 296.

كوكيّا ، ص 48.

كومبي صالح إن صالح 37، 38، 253، 309، 312، 313.

ليبيا ، ص 197.

ماسة ، ص 309.

مالقة، ص 133، 144.

مالي ، ص 27، 37، 38، 42، 44، 46، 47، 51، 52، 188، 193، 208، 214، 215، 221 ، 230، 237، 285، 298، 309، 322.

مانسة ، ص 221.

مبروك ، ص 304.

متيجة ، ص 267.

مجريط ، ص 166.

المدية ، ص 28، 30، 74.

مراكش ، ص 18، 21، 23، 30، 31، 52، 65، 69، 98، 175، 295.

المرسى الكبير، ص 18.

مرسية، ص 130.

مرماجنة ، ص 20.

مستغانم، ص 18، 74، 267، 268، 269، 271.مازونة، ص 18، 65، 86، 267.

مسرد ، ص 257.

مشدالة ، ص 159.

المشرق العربي ، ص 46، 65.

مصر ، ص103، 151، 160، 198، 298، 218، 224، 230، 246، 309.

مطغرة، ص104.

المغرب ، ص 246.

المغرب الأدنى،ص 223.

المغرب الأقصى،م، ص14، 28، 30، 49، 52، 60، 65، 67، 69، 71، 93، 115، 223، 298.

المغرب الأوسط، أ ، ب ، جـ، د، ص 15، 16، 17، 19، 25، 28، 29، 33، 49، 59، 60، 62، 64، 65، 66، 73، 77، 81، 84، 87، 94، 96، 103، 104، 117، 149، 154 ، 223، 238، 240، 249، 253، 254، 255، 303، 308، 317، 322، 324.

مقرازة، ص37.

مقرة، ص 110.

مكانة ، ص 28.

مكة ، ص 188، 296.

مكناس ، 30.

ملكوية ، ص 27.

ملل، ص 41.

ملوية، ص 17.

مليانة ، ص 14،18، 19، 28، 30،، 108.

المنصورة، ص 5، 27.

موريتانيا ، ص 257، 310.

ميمأ ، ص 43.

ميورقة ، ص 272،328.

ندرومة ، ص 18، 25، 29، 74، 267، 268.

نزان ، ص 197، 198.

نهر النيجر ، ص 41، 53، 55، 285، 286، 288، 291، 299.

نوميديا ، ص 302.

نياني ، ص 46.

نيسابور ، ص 78.

النيل ، ص 309.

الهقار ، ص 310.

هنين ، ص 25، 166، 267، 268، 270، 273، 275، 328.

الهوسة،ص 227
واد الناموس ، ص 314.
وادي الساورة ، ص 239.
وادي مينة ، ص 14.
والون ، ص 304.
وتير،ص 304.
وجدة، ص23 ،313.
ورقلة ، ورجلان، ص 14، 240، 295، 296، 308، 311.
وقير ، ص 313.
ونقارة ، ص 37، 290، 327.
ونكرا ، ص 228.
وهران، ص 18، 25، 27، 30، 62، 65، 74، 78، 81، 82، 86، 267، 271، 273، 275، 309، 320، 328.
يسر ، 27، 102.

فهرس الأعلام والقبائل

أبركان (الحسن) ص 100.

الآبلي (إبراهيم) ص ، 93، 97، 106، 110، 116، 153143149. 166، 167168، 169، 170، 171، 175

أبو إسحاق (إبراهيم الحفصي) ص 96.

أبو إسحاق إبراهيم ص 133.

أبو البركات (الغماري) ص 245.

أبو البركات الشريف ص 142، 143.

أبو الحسن (المسجد) ص 70، 71.

أبو الحسن (علي ابن عثمان) ص 85.

أبو الحسن (علي السعيد) ص 19، 20، 21، 22.

أبو الحسن ابن أبي نصر ص 95.

أبو الحسن التلمساني (الخزاعي) ص 136.

أبو الحسن المريني ص 27، 72، 86، 94، 134،109، 175

أبو الحسن بن سهل ص 133.

أبو الربيع (سليمان) ص 103، 104.

أبو العباس (العاقل) ص 282.

أبو العباس المريني ص 31، 32، 33.

أبو العباس النقاوسي ص 103.

أبو العشائر ص 31.
أبو القاسم الخشاب ص 99.
أبو القاسم السبتي ص 115.
أبو الكداد العمري ص 242.
أبو المطرف ص 133.
أبو بكر ابن عبد الحق المريني ص 22.
أبو بكر بن دحمان ص 133.
أبو تاشفين (عبد الرحمان الأول) ص 83.
أبو تاشفين الأول ص 280. 321
أبو ثابت ص 28، 84.
أبو حفص عمر ص 18.
أبو حمو ابن سعيد ص 94.
أبو حمو موسى الأول ص 108. ص 278
أبو حمو موسى الثاني ص 3، 7، 30، 31 ، 32 ، 33، 61، 71، 82، 84، 117.
157،150،154 ص 172
أبو رفاع ص 160.
أبو زكرياء ابن عصفور ص 93.
أبو زكرياء الحفصي ص 19، 80.
أبو زيان محمد الثاني ص 88، 89.
أبو سالم المريني ص 149.
أبو سعيد عثمان ص24، 69، 84، 106، 141.

أبو سعيد يعقوب المريني ص 24.
أبو عبد الله ابن سليمان ص 18.
أبو عبد الله الحفصي ص 153.
أبو عبد الله الزياني ص 21.
أبو عبد الله الشريف ص 94، 108، 115، 115. 175
أبو عبد الله المتوكل ص 282.
أبو عنان المريني ص ،. 148،143. 153
أبو عنان المريني ص 168.
أبو عنان ص 28، 29، 117.
أبو عنان فارس ص 86. ص 137
أبو غاضو التوري (مسجد) ص 198.
أبو فارس الحفصي ص 20 330.
أبو فارس عبد العزيز ص 95.
أبو مالك عبد الواحد ص 20.
أبو محمد عبد الوهاب المالكي ص 92.
أبو مدين الغوث ص 3، 72، 115.
أبو مدين شعيب (المدرسة) ص 85.
أبو يحي يغمراسن ص 93. 166.
أبو يعقوب الزياني ص 158.
أبو يعقوب يوسف الريغي ص 160.
أبو يعقوب يوسف المريني ص 25، 27، 84، 93، 106.

أبو بكر بن محرز ص 133.
أحمد أبو الحسن ص 170.
أحمد المنصور ص ،220ص 52.
أحمد بابا (أبو عبد الله) ص 207.
أحمد بابا التمبوكتي ص 4، 5، 122، 206، 208، 212، 218، 219، 220، 221، 222، 224، 231، 232، 233.
أحمد بن طوير الجنة ص 259.
أحمد زرق ص 217.
إدريس (ابن عبد الله) ص 67.
الإدريسي ص 1، 36، 42. 315، 328.
أر سطو ص 170.
أزغـــــار ص 23.
أزناق (عمر ابن علي) ص 18.
الأساقي ص 188، 189.
إسحاق (داود) ص 51.
أسداغوا (مسجد) ص 198.
أسقيا اسحاق ص 226.
الأسقيون ص ب ، 220، 254، 288، 293، 294، 325.
الأسيوطي ص 224.
الأشاعرة (فرقة) ص 91.
الأشعري (أبو موسى) ص 250.

الأصبهاني (شمس الدين) ص 92، 95، 105، 110.

الأفارقة ص 39، 86.

آقيت أحمد ص 224، 231.

أقيت (ابو بكر بن أحمد) ص 232.

آقيت أحمد ابن عمر ص 207.

آقيت أحمد ص 222.

آقيت عمر ص 223.

آقيت محمد ص 211، 216. 221، 231.

آقيت محمود ص 226.

ألفريد بال ص 3.

الإمام مالك (المذهب) ص 83.

أندغ (محمد بن الفقيه) ص 193.

أندغ (المختار) ص 208.

أندغ أبو عبد الله ص 220.

الأندلسيون ص 61، 62، 65.

الأنصاري (أبو عبد الله بن قطرال) ص 148.

الأنصاري محمد علي الحفار ص 99.

الأوروبيون ص 187.

الأوسي (أبو جعفر) ص 84.

أولاد بن عمر ص 243.

أولاد بيمان ص 259.

أولاد تاشد بيت ص 259.

أولاد سلام ص 243.

أولاد سلامة ص 150.

أولاد يحيى ص 243.

ابن الخطيب (المؤلف) ص 111.

ابن أبي يفلوس (عبد الرحمان) ص 30، 61.

ابن الأثير ص 104.

ابن الأحمر ص 32.

ابن البناء (أبو العباس) ص 167.ص 175.

ابن البناء ص 98، 115.

ابن الجياب ص 110.

ابن الحاجب ص.

ابن الحاجب ص 97، 109، 119، 178،200.. 206. 220

ابن الخطيب (لسان الدين) ص 141.

ابن السكاك ص 170.

ابن العباس الإمام ص 163.

ابن العباس الصغير ص 163.

ابن اللحام (أبو عبد الله) ص 93.

ابن النجار أبو عبد الله ص 160.

ابن النجار ص 110.ابن بركة محمد ص 242.

ابن النجار عبد الله ص 180.

ابن بري ص 104.
ابن بطوطة ص 2. 199، 201، 316، 329، 330، 331 ص 214.
ابن تاشفين (علي ابن يوسف) ص 68.
ابن جرار ص 28.
ابن جني ص 78.
ابن حجر ص 99.
ابن حوقل ص 7، 36.
ابن خلدون (عبد الرحمان) ص 2، 40، 43، 111، 116، 141. 168، 170 149، 150، 151، 153.
ابن خلدون (يحيى) ص 3، 4، 116، 141،153. 275.
ابن خميس ص 26، 61، 129، 132، 135، 138. 141، 142، 143، 144148
ابن رشد 99. 170
ابن زاغو أحمد ص 101، 160
ابن زكري ص 101، 124. 163
ابن زمرك ص 111،117. 170
ابن زيان (زيدان) ص 16.
ابن سراج ص 207.
ابن سعيد البكري ص 249:
ابن سيدة ص 78.
ابن سينا ص 135.
ابن صعد ص 4، 5.

ابن عاصم ص 204.

ابن عبد السلام ص 113.

ابن عبد النور ص 170.

ابن عدلان (شمس الدين) ص 95، 110.

ابن عرفة ص 89. 115. 171

ابن عطوا ص 24.

ابن علي ناصر الدين ص 94.

ابن غازي (أحمد) ص 104.

ابن غبلوب أبو الحسن ص 166.

ابن فرحون ص 5. 109

ابن قنفد ص 3، 114.

ابن محمد مبارك ص 238.

ابن مرزوق (أبو عبد الله) ص 92، 93 ، 106.

ابن مرزوق الجد ص 94. 108، 115

ابن مرزوق الحفيد ص 98، 116.

ابن مرزوق الكفيف ص 93، 106.

ابن مريم ص 4، 116، 141.

ابن هارون (أبو الحسن) ص 104.

ابن هارون (عبد الله) ص 110.

ابن هدية (أبو عبد الله) ص 95.

ابن هدية (منصور) ص 110.

ابن هدية القرشي ص 170.
ابن هلال (أبو عبد الله) ص 175.
ابن يحيى الشريف ص 101، 102.
ابن يدير ص 101.
ابن يرمر (محمد ابن عبد الله) ص 214.
ابنا الإمام (مدرسة) ص 82.
ابنا الإمام (مسجد) ص 71.
الادريس ص 271.
إسماعيل ابن مخلوف ص 18.
الانصمني ص 246، 247.
بؤس 54.
بابا حيدة ص 242.
بابا كور ص 208.
الباروني (أبو البركات) ض 94، 107.
الباروني ابو عبد الله ص 170.
باغا يوغو ص 199.
بالاما ص 52.
الباهلي ص 110.
البحريري ض 218.
البخاري ص 220.
البرادعي ص 204.

البرانس ص 12.

البربر ص 151، 240، 297، 329.

البرجي (أبو القاسم) ص 151.

البرزلي ص 103، 120.

برغيس (أبو يحيى) ص 20.

البرنسي ص 163، 165.

البزناسي أبو زيد ص 93، 95.

البساطي ص 103.

بغبغ ص 206.

البغدادي محمود ص 216.

البغدالي عبد الله ص 182.

البكاي (أحمد) ص 246، 255.

البكري ص 1، 36، 38، 42. 295

البلبالي (مخلوف) ص 248.

البلبالي عبد الله ص 217.

بلرلوم ص 48.

البلفيقي (القاضي) ص 137.

البلفيقي (محمد ابراهيم) ص 147.

البلقيني (سراج الدين) ص 99.

البلوي (أبو البقاء) ص 135.

البلوي (أبو الحسن) ص 148.

البلوي أبو جعفر ص 182..
البليليتي ص 103.
بن دقيق العيد ص 144.
بن السكاك ص 117.
بن باديس (أبو الحسن علي) ص 114.
بن تركش ص 217.
بن حمدون (أبو عبد الله) ص 148.
بن داود الأندلسي ص 163.
بني زيان ص ب ، 3، 4 ،17، 28، 29، 60، 66، 71، 86، 141، 237، 266، 310.
بن سبع (عبد الرحمان) ص 245.
بن عصام (أبو زكرياء) ص 148.
بن عميرة (أحمد بن عبد الله) ص 133.
بن قلاوون ص 150.
بن مرزوق الحفيد (أبو الفضل محمد) ص 162، 180
بن مرزوق الخطيب ص 72، 96، 97، 98.
بن مشيش (عبد السلام) ص 64، 258.
المحجوبي (عمر) ص 258:
بن هدية (القرشي) ص 192، 134.
بنبارا ص 41.
بنو العزفي ص 141.
بنو تنطق ص 40.

بنو توجين ص 25.

بنو حفص 60.

بنو زمال ص 40.

بنو عامر ص 33.

بنو عبد الواد ص 60، 137، 316، 332.

بنو غانية ص 14.

بنو مرين ص 3، 60.

بنو ملاح (أسرة) ص 277.

بنو ناسجة ص 40.

بني راشد ص 16.

بني طاع الله ص16، 28.

بني كمي ص 16.

بني مزغنة ص 269، 270، 272.

بني مطهر ص 16.

بني واسول ص 310.

بني يلومي ص 16.

البيهقي ص 79.

بور (مسجد) ص 198.

بورويس ص 217.

بوعياد (محمود) ص 4.

البياز أبو بكر ص 179 .

البياني أبو عبد الله ص 179.
بيبرس الظاهر ص 44.
البيروني ص 36.
البيري ص 178.
التاتائي ص 219.
التاجوري عبد الرحمان ص 211. 218.
التادختي (محمد) ص 122.
التادلي (سيدي يحيى) ص 210، 216، 219.
التازختي محمد ص 246، 248.
التازي إبراهيم ص 78، 113، 121. ص 163
التازي الحاج محمد ص 215.
تاعلي ص 218.
تافراجين ص 29.
التبريزي ص 167.
التجيبي (أبو عثمان) ص 148.
تدوكسن ص 28.
ترف أحمد القاضي ص 228.
التشتي (عثمان) ص 195.
التكرور (قوم) ص 6، 45، 56، 190، 201، 220، 230، 231، 234، 245، 246، 288، 296.
التلالسي أبو عبد الله ص 172.

التمبوكتي (محمود بن محمد) ص 196.

التميمي (أبو عبد الله) ص 129. 170

التميمي (عبد النور) ص 110..

التنسي (أبو اسحاق) ص 144.

التنسي (أبو اسحاق ابراهيم) ص 92، 93، 105، 124.

التنسي (أبو الحسن) ص 69، 93، 106.

التنسي (عبد الجليل) ص 4، 28، 101. ص 245 ص 163،162

التنكتي (أحمد بن محمد) ص 194.

التنلاني (عبد الكريم) ص 249.

التنواجيوي ص 258.

التواتي (محمد بن علي) ص 196.

التواتي بلقاسم ص 193.

التواتيون ص 257، 304.

التوزي (عبد الله) ص 110.

التيروني ص 160.

الثعالبي (أبو زيد) ص 99، 113.

الثعالبي (زاوية) ص 77.

الثعالبي (عبد الرحمان) ص 100، 103، 122.

الثغري (إبراهيم) ص 117.

الثغري القيسي ص 170.

الجاذري ص 177.

الجازولي (أبو زيد) ص 110.
الجازولي (أبو عبد الله) ص 148.
الجازولي (سليمان) ص 260، 261.
الجبرتي (عبد الوهاب) ص 110.
جشم ص 23.
الجدالي (أبي الحسن) ص 95.
الجدامي أبو عبد الله ص 181.
الجذامي (محمد بن علي بن الفخار) ص 147.
الجذامي محمد ابن عفان ص 98.
الجلاب أبو عبد الله ص 119. 122
الجنحاني ص 56.
جنور ص 54.
الجنيدي (أبو القاسم) ص 258.
جودر باشا ص 52.
الحاج عبد الرحيم ص 251.
الحاج محمد البكري ص 218.
حاجيات (عبد الحميد) ص 3، 8، 9.
الحبّاك ص 176، 177.
الحسن بن عصفور ص 133.
الحسناوي ص 160.
الحصني علم الدين ص 181.

الحضرمي (أبو عبد الله) ص 148.
الحضرمي (أبو محمد عبد المهيمن) ص 148.
الحضرمي (عبد المهيمن) ص 153.
الحضرمي (محمد)ص 178.
الحضري (عثمان أبي بكر) ص 197.
الحطاب بركات ص 224.
الحفصيون ص 29، 63.
حلصو (مسجد) ص 197.
الخطيب ابن مرزوق السبط ص 163.
خلوف المغيلي اليهودي ص 167.
داود أسقيا ص 189، 194، 198، 199، 208.
داود ابن الخطاب ص 60.
الداودي (محمد الاغظف) ص 260.
الدباج ص 133.
الدراري (أنور) ص 100.
الدكالي أبو العباس ص 214.
الدكالي أبو عبد الله ص 94.
الدكالي أبو عثمان سعيد ص 215.
دكو (مسجد) ص 198.
الرازي (فخر الدين) ص 151.
الراشدي (أبركان) ص 121.

الرتيمي عيسى ص 180.
الرصاع ص 245.
الرفاء (أبي علي الحسن) ص 130.
ريـــــاح ص 23.
زا ص 48.
الزاجتي ص 105.
الزاهد أبي صالح ص 133.
زبادية ص 7.
زناتة ص 15، 17.
زرقون (محمود) ص 228.
الزعبي ص 103.
الزغراني ص 217.
الزقاق ص 105.
الزليطي ص 224.
الزمخشري ص 99.
الزموري 223.
الزنج ص 240.
الزواوي (إبراهيم)، ص 112 .
الزواوي (أبو منصور) ص 153.
الزواوي (بلقاسم) ص 163.
الزواوي (محمد السعيد) ص 118.

الزواوي (منصور) ص 177.

الزواوي (نصر) ص 100، 113.

الزواوي (أبو القاسم) ص 114.

الزيانيون ص 3، 60، 61، 77، 129، 278.

الزيدوري الحجاج ص 180.

الساحلي (أبو إسحاق) ص 194.

سان سباستيان ص 52.

سحنون (أبي سعيد) ص 204.

السخاوي (عبد المعطي) ص 224.

السراقسطي أبو عبد الله ص 182.

السراكولي ص 41.

السرير ص 41.

السطي ص 110. 170.

السعدي (عبد الرحمان) ص 48. 190، 194.

سعيد بابا (الإمام) ص 194.

السعيدي ص 205.

سكاف ص 217.

سكورة ص 44.

السلاجقة ص 80.

السلوي ص 48.

السنباطي (ابن الشريف) ص 248، 249.

سنتاعون (العمادي السوداني) ص 194.

السندسي محمد ص 176.

سندياتا كايطا ص 43، 45.

السنوسي (الزاوين) ص 77.

السنوسي (محمد ابن يوسف) ص 4، 113،،124، 126. 245،180،177، 247. ،

سنيار ص 48.

السودانيون ص 221، 230، 237، 252، 331.

السوسي (أبي زكرياء) ص 119.

السوقي (عبد الكريم) ص 232.

السونكي ص 35، 44.

سيبويه ص 119.

سيد الحلوي (المسجد) ص 113.

سيد الحلوي (مدرسة) ص 86.

سيد الهواري (زاوية) ص 78.

سيدي الهواري (ابو عبد الله) ص 120.

سيدي عبد الرحيم ص 215.

سيدي يحيى (المسجد) ص 191، 192، 195.

سيدي يحيى (الوالي) ص 195.

السيوطي (جلال الدين) ص 122، 141،160،123. 161 ،207، 208،222،
ص 224، 246، 247

الشاذلي أبو الحسن علي ص 65.

الشاطبي (الإمام) ص 117.
الشاطبي أبو إسحاق ص 179.
الشريف (الغرناطي) ص 141.
الشطي ص 170..
الشلوبيني ص 133.
الشمني تقي الدين ص 182.
الشوذي (أبو عبد الله) ص 73، 74، 86.
صالح بن عمر ص 193.
صنهاجة ص 17، 40، 298.
الصوصو ص 41، 42، 292.
طراندك سيس (مسجد) ص 198.
طرندك (المسجد) ص 198.
طو (مسجد) ص 198.
الطوارق ص 52، 238، 302.
الظاهر بيبرس ص 44.
العاقب (بن محمود) ص 194.
العاقب الانصمي ص 122.
العاقب القاضي ص 192، 195، 196.
العاقب محمد ص 224.
عبد الرحمان أبو زيد (ابن الإمام) ص 71؛ 82، 94، 108، 109.
عبد العزيز المريني ص 33.

عبد القادر الجيلاني ص 255.

عبد الله ابن ملويات ص 18.

عبد الله المتوكل ص 281.

عبد الله بن ياسين ص 40.

عبد المؤمن ابن علي ص 3، 12، 13، 18.

العبدري (أبو الفضل يحيى) ص 148.

العبدري (صاحب الرحلة) ص92، 114، 139، 141.

العبدري ص 148.

العبدوسي (أبي عمران) ص 115.

عثمان ابن يغمراسن ص 25.

العربي ص 104، 111.

العزفي (أبو القاسم) ص 143.

العساوي أبو عثمان ص 160.

العصنوني أبو عبد الله ص 244.

العفيف التلمساني ص 129.

العقباني (أبو عثمان سعيد) ص 109.

العقباني (أبو عثمان) ص 94.

العقباني (قاسم ابن سعيد) ص 64، 97. ص 180.

العقباني أبو القاسم سعيد ص 160.

العقباني سالم ص 118.

العقباني سعيد ص 64، 94، 97، 99، 107.

العقباني محمد ص 119.

عقبة بن نافع ص 134، 240

العلوي أحمد الشريف ص 169.

علي ابن أبي طالب (ك) ص 67.

علي ابن عيسى ص 120.

عمر بن الخطاب (ض) ص 250.

العمري ص 230.

عياض (القاضي) ص 204، 206.

عياض أبي الفضل ص 89، 97.

عيسى (أبو موسى) ص 71، 82، 108، 109.

الغافقي (أبو بكر خطاب) ص 141.

الغافقي (أبو بكر) ص 129.

الغافقي (محمد بن عبد الله) ص 129.

الغانيون ص 38.

الغبريني ص 95.

الغدامسي (عبد الله الكومي) ص 194.

الغزالي أبي حامد ص 65، 91، 102.

الغساني (أبو محمد) ص 129.

الغلاوي ص 258.

الغماري (أبو يعقوب) ص 133.

الغماري (الزاوية) ص 77.

الغماري (صدر الدين) ص 96.
غون (مسجد) ص 198.
الفاسي (محمد ابن أحمد) ص 204.
الفاطميون ص 308.
الفجيجي (إبراهيم) ص 247.
الفرديس الثغلبي ص 119.
فرنك (مسجد) ص 198.
الفشتالي ص 119.
الفقويش (شمس الدين) ص 322.
الفلالي (محمد) ص 214.
فوديا محمد فوديكي ص 199.
الفولانيون ص 48.
الفيجيجي (عبد الجبار) ص 122. 246.
الفيروز بادي ص 99.
الفيلالي (محمد) ص 199.
القباب ص 115.
القرباني أبو الحسن ص 179.
القسطرلي أبو عبد الله ص 180.
القصار ص 99.
قلاوون ص 45.
القلشاني (عمـــــر) ص 100.

القلشاني أبو العباس ص 181.
القلصادي ص 62، 100، 101، 113 ،161. 179، 180،181، 182.
القلعي ص 114.
القلقشندي ص 248،1، 223.
القيجاطي (محمد) ص 99.
القيرواني (أبي زيد) ص 204.
القيروانيون ص 295.
القيسي (أبو زكرياء) ص 149.
القيسي (عبد الله) ص 112.
قيمغ ص 35.
الكابري (محمود) ص 210.
الكاربي محمد ص 216، 219، 221. 223
كافزغاوة ص 40.
كري (محمد بن محمد) ص 194.
الكريمي شمس الدين ص 182.
كعت (محمود) ص 6، 48، 53، 192، 219، 220، 23
كنكا موسى ص 45.
لازدي أحمد ابن البناء ص 211.
اللخمي ص 99.
اللقاني (شمس الدين) ص 248.
اللقاني ناصر ص 218.

لمتونة ص 40، 56، 238.
اللمطي عبد العزيز ص 224.
مارمول ص 5.
المازري (أبو القاسم) ص 99.
المازوني ص 101.
الماكودي ص 99.
المالقي عبد الله ص 93.
الманديغ ص 43، 201،
مانسا ص 44، 45، 50، 51.
مانو ص 16.
مبروك الدالي ص 54.
المجاسي ص 170.
المجاصي (محمد) ص 110.
المحلي جلال الدين ص 182.
محمد (أسقيا) ص 189، 192، 196، 197، 208، 219، 226. 234، 324 ص 227
محمد أسقيا (المسجد) ص 197.
محمد ابن النجار ص 163.
محمد ابن تومرت ص 3، 12 ، 18.
محمد البكري ص 218.
محمد الفزازي (المسجد) ص 197.
محمد الفزاني (الليبي) ص 197.

محمد بان ص 52.
محمد بغبغ ص ص218، 219.
محمد بن قو ص 45.
محمد بنب كنات ص 228.
محمد زنقا بن يعقوب ص 250.
محمد كعت ص 220.
محمود ابن عثمان ص 25.
المختار النحوي ص 222.
المخزومي (أبي المطرف) ص 130.
المديوني محمد ابن علي ص 170.
المرابطون ص 1، 39، 41، 309.
المرازقة ص 322.
مرك ص 54.
المرينيون ص 22، 27، 60، 65.
المسلمون ص 300.
مسوفة ص 40، 314.
المسيحيون ص 272.
المشدالي (أبو عمران موسى) ص 83، 107. 159
المشذالي (أبو القاسم) ص 118. ص 129
المشذالي (أبو موسى عمران) ص 94، 110.
المشذالي (ناصر الدين) ص 105، 107.

المشذالي أبو الفضل ص 161.

المشذالي أبو عبد الله ص 159.

المشذالي أبو علي ناصر ص 159.

المشذالي أبو موسى عمران ص 159، 170.

المشذالي المنصور ص 178.

المشذالي محمد ابن محمد ص 159.

المشوش (أحمد ص 107.

المشوش أبو العباس ص 94.

المصامدة ص 1، 12.

المصمودي (إبراهيم) ص 71، 85، 98، 99، 117، 170

المصمودي (عبد السميع) ص 119.

المعاقيل ص 238.

معلوم ادريس ص 198.

مغراوة ص 14، 25.

المغيلي (محمد المسجد) ص 197.

المغيلي ص 122، 124، 125، 126، 189، 207، 208، 210، 211، 220، 225، 235، 238، 241، 243، 244، 245، 246، 249، 250، 251، 257، 262.

المقدسي ابراهيم ص 223.

المقري (أبو عبد الله) ص 61، 95، 108، 110. 151

المقري (الاخوة) ص 322.

المقري (الجد) ص 120.

المقري (صاحب نفح الطيب) ص 143.

المقري الكبير ص 135. 175، 179

المقريزي ص 78. 230

المكلاتي ص 108.

المكناسي ابن الصباغ ص 168.

المكودي (أبو عبد الله) ص 136.

الملائي ص 224.

الملالي أبو عبد الله ص 181.

المنجلاتي (أبي الحسن) ص 103، 112.

مند آكوما ص 51.

المنذري ص 104.

منسا سليمان ص 45، 47. 297

منسا موسى ص 188، 193، 194، 208، 214، 217، 226،321 230، 301.

المنستيري أحمد ص 181.

منوفي ص 110.

المنياري (أبو يحيى) ص 251.

الموحدون ص 12، 13، 14، 16، 65.

مود بكر تروي ص 228.

مود موسى ص 228.

مور كنكي ص 225.

مورد ما غاكو نكوي ص 199.

المورسكيون ص 62.
موسى ابن علي الكردي ص 20.
ميغا ص 8.
الميموني ص 224.
ناركنت ص 45.
الناصر ابن أبي الحسن ص 28.
النجار أبو عبد الله ص 175.
النصري (أبو عبد الله) ص 144.
نغيغ (الامام) ص 195.
نمطا ص 40.
النويري (أبو البركات) ص 249.
النويري زين الدين ص 182،181.
النويري ص 99.
الهنتاتي ص 18.
هنري بيرس ص 1.
الهوسا ص 262.
وتريكة ص 40.
الورتيدي (عبد الجبار) ص 119.
الورجلانيون ص 295.
الوزان ص 2، 5، 28، 43، 81، 315.
الوغليسي ص 118، 120

الولوف ص 41.

ونزمار ص 33.

الونشريسي (أبو العباس) ص 105.

الونشريسي (عبد الواحد) ص 105.

الونشريسي أبو بكر ص 160.

الونشريسي أحمد ابن يحي ص 118.

الونشريسي ص 204.

الونغيلي (الضرير) ص 115.

الونكري (محمد بن محمود) ص 196.

الونكري محمد ص 226، 227.

الياسيتيني ص 105.

اليحصي (أبو عبد الله) ص 109.

اليزيدي (سليمان) ص 180.

يعقوب ابن عبد الحق ص 23، 24، 81.

يعقوب عبد الحق المريني ص 167.

اليعقوبي ص36، 296.

يغمراسن أبو عنان ص 22.

يغمراسن ابن زيان ص 15، 19، 23، 60، 70، 92، 93، 94، 106، 130، 321.

ين زاغو أحمد ص 180.

ين وانسول ص 215.

يهود توات ص 243، 244.

الونشريسي (عبد الواحد) ص 105.

الونشريسي أبو بكر ص 160.

الونشريسي أحمد ابن يحيى ص 118.

الونشريسي ص 204.

الونغيلي (الضرير) ص 115.

الونكري (محمد بن محمود) ص 196.

الونكري محمد ص 226، 227.

الياسيتيني ص 105.

اليحصبي (أبو عبد الله) ص 109.

اليزيدي (سليمان) ص 180.

يعقوب ابن عبد الحق ص 23، 24، 81.

يعقوب عبد الحق المريني ص 167.

اليعقوبي ص 296.

اليعقوبي ص 36.

يغمراسن أبو عنان ص 22.

يغمراسن ابن زيان ص 15، 19، 23، 60، 70، 92، 93، 94، 106، 130، 321.

ين زاغو أحمد ص 180.

ين وانسول ص 215.

يهود توات ص 243، 244.

اليهود ص 124، 245، 272.

يوسف ابن تاشفين ص 94.

يوسف ابن عبد المؤمن ص 13.
يوسف ابن علي ص 31.
يوسف ابن يعقوب ابن عبد الحق ص 24، 278.

فهرس الموضوعات

مقدمة ....أ ــ هــ

دراسة في المصادر و المراجع 1-9

الباب الأول : المغرب الأوسط و السودان الغربي سياسيا... 12-57

الفصل الأول

المغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان سياسيا 12-33

تمهيد 12-14

أولا : نشأة الدولة الزيانية .... 15 ــ 18

ــ يغمراسن بن زيان وتأسيس الدولة الزيانية.................. 15ــ17

ــ الحدود السياسية للدولة الزيانية.................... 17ــ18

ثانيا العلاقات الزيانية بالدولتين الحفصية والمرينية.................... 18ــ33

1ــ العلاقات الزيانية الحفصية 18ــ 21

2ــ العلاقات الزيانية المرينية.......................... 21ت33

ــ الحصار المريني الثاني لتلمسان 24ــ 31

الصراع المريني الزياني على مدينة تلمسان في عهد السلطان أبي العباس المريني ... 31-33

الفصل الثاني

السودان الغربي سياسيا 35-57

تمهيد 35-37

أولا مملكة غانة 35-41

* مملكة غانا سياسيا 37-41

* دور المرابطين في سقوط غانا 39-41

ثانيا : مالي 41-45

تأسيس المملكة 42-45

ثالثا : دولة سنغاي 45-57

ـ أهم مدن سنغاي 45-57

1- غاو 53

2- جني 53-54

3 تمبوكتو.. 55-54
4- التكرور 57-56

الباب الثاني : الحياة الثقافية و العلمية بالمغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان........... 184-59

الفصل الأول

المؤسسات الثقافية و العلمية 89-59
تمهيد 65-59
1- المساجد 75-66
* مسجد أغادير 67
* المسجد الجامع 69-68
* مسجد أبي حسن 70-69
*مسجد ابني الإمام 71
* مسجد سيدي إبراهيم المصمودي 72-71
* مسجد سيدي أبي مدين شعيب 73-72
*مسجد سيدي الحلوي 75-73
2- الكتاتيب 76-75
3- الزوايا 78-76
4- المدارس 86-78
* المدرسة ومصطلحا ووظيفة 80-78
*وظيفة المدرسة 79
* المدارس الزيانية 89-80
. مدرسة ابني الإمام 81-82
. المدرسة التاشفينية 84-83
.المدرسة اليعقوبية 85-84
.مدرسة أبي مدين شعيب 86-85
.مدرسة سيدي الحلوي 86
.مدارس وهران و الجزائر و مازونة 87-86
5- المكتبات 89-87

الفصل الثاني

علوم الفقه و التصوف 127-91

تمهيد 91

علوم الفقه و التصوف 127-91

الفصل الثالث

العلوم اللسانية و العلوم العقلية 184-129

أولا : العلوم اللسانية 165-129

ثانيا : العلوم العقلية 184-165

الباب الثالث : المراكز الثقافية في السودان الغربي و علاقاقما بالمغرب الأوسط 263-187

الفصل الأول 212-187

المؤسسات الثقافية و العلمية بالسودان الغربي ....

تمهيد 190-187

أولا : المساجد 200-190

أ- مسجد تمبوكتو.. 198-191

ب- مسجد جني و دوره الإشعاعي.................................. 199-198

ج- مسجد غاو 200-199

ثانيا : المدارس و الكتاتيب..................................... 203-200

- مراحل التعليم 203-201

ثالثا : المعاهد العليا.. 205-203

رابعا: العلوم النقلية و العلوم العقلية 212-205

1- العلوم النقلية 210-205

2- العلوم العقلية 212-210

الفصل الثاني

أعلام السودان الغربي و دورهم في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية 235-214

تمهيد... 215-214

أولا : أعلام تمبوكتو 225-215

ثانيا : أعلام جني 228-225

ثالثا : الكتب و التأليف المتداولة بالسودان الغربي........................ 235-228

الفصل الثالث 263-237

الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي ....

تمهيد 237

أولا : أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري و الديني بإقليمي توات و السودان الغربي 252-238

1- أثره بإقليم توات 252-238

أ- إقليم توات التسمية و الموقع 243-238

ب- أثره بإقليم توات.. 249-243

2- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري و الديني بإقليم السودان الغربي... 252-249

ثانيا : تأثير المغرب الأوسط في الفن و العمارة بالسودان الغربي............. 254-252

- الجانب الفني و المعماري 254-252

ثالثا: دور الزوايا و طرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الإسلامية 263-254

* الطرق الصوفية 263-254

1- الطريقة القادرية 258-255

2- الطريقة الشاذلية 259-258

3- الطريقة الغظفية 263-259

الباب الرابع : العلاقات الاقتصادية و التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان.. 331-266

الفصل الأول

الحياة الاقتصادية و النشاط التجاري بالمغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان.... 283-266

أولا : الحياة الاقتصادية 271-266

1- الفلاحة 269-266

أ/ الزراعة 268-266

ب/ الثروة الحيوانية 269-268

2- الصناعة 271-269

ثانيا: التجارة الداخلية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني 274-271

ثالثا : الموارد المالية بالمغرب الأوسط 283-274

1- الضرائب 277-275
2- السكة و النقود 283-277

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية و التجارية بالسودان الغربي 306-285
أولا : الحياة الاقتصادية 295-285
1- الفلاحة 290-285
أ/ الزراعة 288-285
ب/ الرعي و الثروة الحيوانية 290-288
2- الصناعة 295-290
أ/ الثروة المعدنية 292-290
ب/ الصناعات التقليدية 295-292
ثانيا : أسواق السودان الغربي 305-295
- تادمكت 296-295
- غاو 296
- تمبوكتو 298-297
- تغازا 298
- جني 299
- أودغست 300-299
- غانة 300
- ولاتة (إيولاتن) 301
- توات 305-301
ثالثا : العملة 306-304

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي........ 339-308
تمهيد 310-308
أولا : المسالك التجارية بين الإقليمين 314-310
ثانيا : نظام سير القوافل 316-314
ثالثا : المكاييل و الموازين و المقاييس المستعملة في المغرب الأوسط و السودان الغربي 321-317

* المقاييس و الموازين و المكاييل المستعملة في السودان الغربي............ 317-319
أ/ المقاييس 317-318
ب/ الموازين 318
ج/ المكاييل 318-319
* المكاييل و الموازين و المقاييس في المغرب الأوسط............ 319-321
أ/ الموازين 319-320
ب/ المكاييل...................................... 320
ج- المقاييس 321
رابعا : السلع و البضائع المتبادلة بين الإقليمين............ 321-332
1- المواد الحرفية 324-325
2- المواد الصناعية 325-327
3- المعادن 327
أ/ معدن النحاس 327
ب/ الذهب 327-329
ج/ الملح 329-330
د /العبيد 330-331
العاج...................................... 332
الخاتمة 333-339

فهرس المصادر و المراجع

فهرس المصادر و المراجع 363-340

1- المصادر 347-341

2- المراجع العربية 354-348

3- الرسائل الجامعية 357-355

4- المجلات و الدوريات 360-358

5- المراجع الأجنبية 363-360

الملاحق 378-364

فهرس الأماكن و المدن و الدول 391-379

فهرس الأعلام و القبائل 423-392

فهرس الموضوعات 430-424